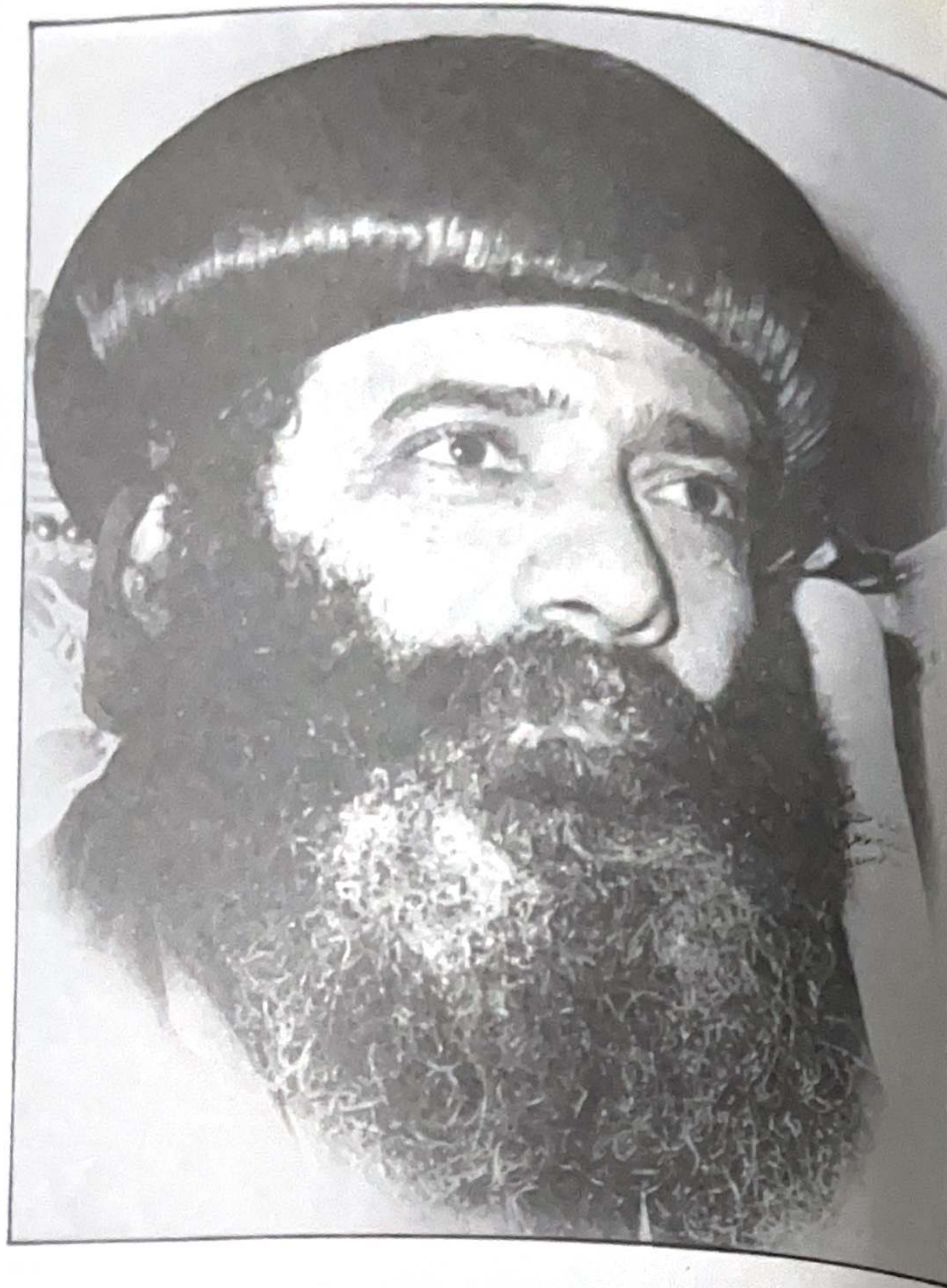


من مكتبة
الايغومانس إبراهيم لوقا

جهاد كاهن

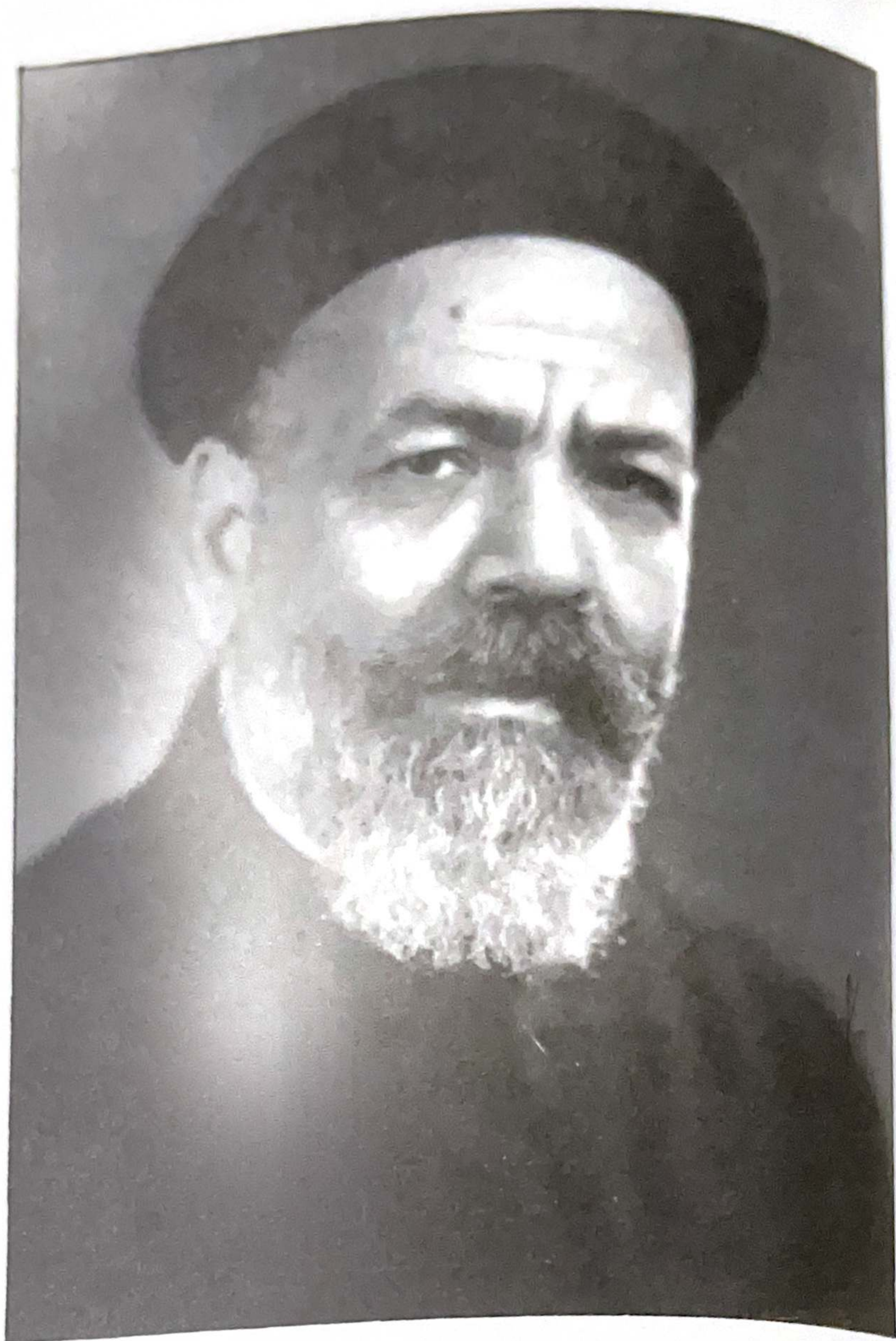
أرشيدياكون
فايز رياض



قداسة البابا شنودة الثالث

رقم الايداع ٨٦/٢١٣٨

دار العالم العربي للطباعة
٢٢ شارع الظاهر – القاهرة ت: ٩٠٦٧٠٦



الايغومانس ابراهيم لوقا

اهـــداء

الى أبى .... وصديقى .....
الى معلّمى ...ومرشدى ....
الى الأب الكاهن الصالح ..
الى الراعى المصلّى ... الواعظ الخادم ..
الى أب الاصـــلاح .....
الى الايغومانس ابراهيم لوقا

أهدى هذا الكتاب « جهاد كاهن » فهو ثمرةَ جهادك ...
غزير علمك .. منهج حياتك .. سجل خدمتك .. واسع تأملاتك ..
عميق تعاليمك .. وحكيم ارشاداتك ...

راجيا أن تذكر هذا المجهود المتواضع أمام عرش النعمة ..
ليحقق الله للكنيسة نجاح رسالتها ... وخلاص نفوس ابنائها ...
ويديم الله ذكراك « فذكر الصديق تدوم الى الأبد »

فـايز ريـاض

تقـــديم

هذا الكتاب ...

انتقل الى المجد الايغومانس ابراهيم لوقا فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٠، وعلى مرّ السنين أقيمت حفلات كثيرة لذكراه ، كما أنشأ مجلس كنيسة مار مرقس القبطية بمصر الجديدة « قاعة ابراهيم لوقا التذكارية » تخليداً لذكراه ...

ورغم ماقيل أو كتب عن الايغومانس ابراهيم لوقا خلال تلك السنوات فإنها لم تكن لتفيه حقه ، إذ كان شخصية نادرة جمعت من الفضائل مالايجتمع فى رجل واحد ...

لقد كان مدرسة حافلة بكل الدروس لكل من يريد أن يتعلّم .. للكاهن .. للخادم ... حتى للشخص العادى ...

كان دائرة معارف تشع نوراً وعلماً ، ينهل منها كل من يريد أن ينجح فى خدمته ...

ويجىء هذا الكتاب بعد خمس وثلاثين سنة من نياحته ، ولا نقصد به تمجيد شخصيته فهو فى فردوس النعيم ، يأخذ جزاء ماقدم لكنيسته من خير عميم ، ولشعبه من خدمة أمينة ناجحة .

والكتاب ليس مجرد تاريخ حياة لشخص عزيز ، ولكنه دراسة عميقة مستفيضة هادفة من « مكتبة الايغومانس ابراهيم لوقا » وما تركه بها من مذكرات وأبحاث ، وصفحات مجيدة من الجهاد المضنى .

فهو كتاب تعليمى يحمل تعاليم صادقة وتجارب عميقة ، وانتصارات للروح .. كما يشمل توجيهات وإرشادات للآباء الكهنة ، والاخوة الخدّام تعينهم على نجاح رسالتهم ..

فهو باقة من الزهور يفيح أريجها عبر الأيام لمن يريد أن يشتمّ رائحتها الذكية العطرة .

واذ نقدّم هذه الدراسة النافعة وفاء لحق الكنيسة علينا ، ولحق جهاد كاهن الله الأمين ، نرجوا أن تكون سبب خير وبركة للكثيرين « وحسنة هى الغيرة فى الحسنى » .

١٩ ديسمبر ١٩٨٥ **ارشيدياكون فايز رياض**

البـــاب الأول

الأيـــام الأولى ...

ولدت ونشأت بين يدى أمى التقية ... تعلمت منها كل فروض العبادة التى وجّهت نظرى الى الحياة الروحية ... وهذه أول بركة أشكر الله لأجلها كواسطة لخلاصى — استمريت حتى سن الرابعة عشرة أصلى المزامير ، أصوم جميع الأصوام ، وأحضر الكنيسة بانتظام .

بهذه العبارات بدأ الايغومانس ابراهيم لوقا مذكراته التى كتبها لتكون سبب سرور وفرح له فى المستقبل ...

... ولد ابراهيم لوقا بمدينة إسنا فى التاسع عشر من شهر يناير عام ١٨٩٧ عن أسرة مسيحية فاضلة ، وعاش وترعرع فى وسط مسيحى تقى ... وتعلم منذ بدأ حياته أصول الحياة المسيحية الحقيقية ... تلقى علومه الابتدائية بمدرسة قنا الابتدائية وحصل على شهادة الدراسة الابتدائية فى يونيو ١٩١١ ... وكانت دراسته الثانوية بمدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة وحصل على شهادة الكفاءة عام ١٩١٣ وعلى البكالوريا فى ١٥ يناير ١٩١٥ حيث كان ترتيبه الحادى عشر بين الناجحين .

دخلت دور الجهاد وشعرت أنه ليس لى سلاح ، وأن كل الوسائط الدينية التى كنت أؤديها لاقوّة فيها ، لأنى كنت أؤديها طقسيا ولم أعرف بعد معنى عشرة الله السرية فيها .. كنت إذ ذاك بالسنة الأولى الثانوية ... واستمريت على هذا الحال حتى ٢٢ مارس ١٩١٣ .

ويتعرض ابراهيم لوقا للتجارب التى تحيط بالشباب فى هذا السن ، يعيش بعيدا عن رعاية الأسرة التى كانت تعيش ببلدة أرمنت القريبة من الاقصر .

وحاول ابراهيم لوقا أن يعالج سلطان الأفكار الفاسدة والطبيعة الشريرة بالقراءة فى الكتاب المقدس والترتيل والصلاة لا كواسطة ليتّحد بالله ، إذ لم يكن قد أدرك هذا الأمر العميق بعد — ولكن كأمور مضادة للشر يمكنها أن تطرد الشر بعيدا ... لم يكن ناظرا الى قوة الله ، ولذلك جاء جهاده باطلا ، وكانت الحرب قاسية عليه ... فى الليل وفى النهار كما فى المدرسة والبيت ، وساعد على ذلك أن كان له عشير اندفع الى الفساد ببساطة مع أنه كان يصغره سناً ... وأترك الآن القلم لابراهيم لوقا ليكتب بنفسه قصته نقلا عن مذكراته .

تسليم الحياة ليسوع ...

وفى يوم ٢٢ مارس ١٩١٣ حضرت اجتماعا بخيمة قرب فندق سافوى ، حيث سمعت عظة عن اسحق ورفقة ... كانت العظة بسيطة ولكنها أثرت على حياتى تأثيرا كافيا لايقاظها ... فى الاجتماع الثانى وعظ الرجل عن أليشع والمرأة المديانية ، تأثرت كثيرا وتيقظت ، ولكنى لم أعرف بعد طريق الخلاص .

عند الخروج أمسكنى صديق ... وهناك على الأرض انطرحنا وصليت أول صلاة ارتجالية معبّرة عن شعورى .

واذكر تماما أن أجفانى كانت تضطرب فى تلك الفرصة ... عرفت معنى تسليم الحياة ليسوع ، فسلّمتها له .. وكان ذاك بدء حياتى الجديدة .. لاأقول أنى ولدت ثانية فلقد ولدت بالمعمودية بلا شك ، ولكن أنتعشت نار الروح المطفأة فىّ ... ولكنى لم أكن أعرف أن للتجديد درجات كما للولادة الثانية تماما ... نوال النعمة والثبات فيها والنمو الدائم ... وعزمت فى داخلى على خدمة الله ، كما يعزم كل شاعر بلذّة التجديد .

ويمضى الشاب ابراهيم لوقا فى حياته المدرسية موفقا وفى حياته الروحية موفقا وخادماً . ويواظب على حضور الاجتماعات حتى ينتهى العام الدراسى ويحصل على شهادة الكفاءة عام ١٩١٣ ، ويعود الى بلده منتصراً على كل فكر شرير بل وخادما أيضا للانجيل ، ويبدأ خدمة الارشاد والوعظ وكان أول موضوع له يفتتح به خدمته « ياابنى اعطنى قلبك » .

وتنتهى الاجازة الصيفية ، ويعود الى مصر ليبدأ السنة الثالثة الثانوية ... وتبدأ التجارب من جديد من زملائه الذين يعيشون معه فى المنزل الذى اختاروه لسكناهم ، وتشتد الحرب عليه وكان يخاف أن تهدم بناء استمر فى تشييده سبعة أشهر كاملة ، ويستمر ابراهيم لوقا فى الحديث عن هذه الفترة الهامة فى حياته فيقول ...

لم أكن قد أدركت أن هناك درجات للنعمة ، ولاأن هناك فرقا بين نوال النعمة والثبات فيها ... ولم أكن اعرف أنى قد نلت ، ولم يبق علىّ إلا أن أحصل على الثبات ، ولم أكن أعرف ان عدم الوصول للثبات ناشىء عن وجود اخطاء فى حياتى لم أكن أشعر بها ، ويندرج أهمها فى :

- عدم الايمان بأنى أخذت ، فاستمريت أطلب نوال التجديد كمن لم يتجدد ...
- عدم وجود روح الانتظار فى عباداتى لنوال ما كنت أطلبه من الراحة ، فكانت صلواتى تتخللها نشوفة ، وتشويش فى الأفكار ، وعدم انحصار فى الروح أو وجود فى حضرة الله ... وكل هذه انما كانت حيل شيطانية ليضعف روح انتظارى ويصور لى أن هذه الصلوات بهذه الحالة لم تكن إلا صلوات باطلة ، ولايجدر بى أن أنتظر منها نتيجة ... يا له من خداع ! كيف استسلم لهذه الأفكار ؟

- الانخداع بتجربة شبه الفشل .. ولم أكن بعد قد أدركت معنى الآية « دحرتنى دحوراً لأسقط أما الرب فعضدنى » .
- شدة الجهاد بعد الاطمئنان ... على حين فجأة أشعر بسلطان التجربة كأسد هاجم علىّ بكل قوته ، وعوض النظر الى يسوع كنت أنظر الى قوة الريح ، فكدت أغرق كما جرى لبطرس .
- عدم التسليم فى كل مايستلزم تركه .
- عدم الرغبة فى الخضوع لقانون النمو ... وهذه كانت أعظم التجارب التى كانت سببا فى تعطيلى ، فكنت أريد أن أكون رجلا قبل أن أمر على عهد الطفولية ، فكانت أقل حركة تحدث منى لاتدل على كمال الروحانية كنت أتخذها دليلا على عدم الروحانية ، ولذلك فالخطايا الصغيرة كانت دائما تحرك اليأس والاختناق .

هذه كانت حالتى ... ولذلك كان فى بعض الأوقات يقوم علىّ الفكر بأنه لابد أن يكون هناك أختيار ، والله لم يخترنى ! ولكن شكرا لله أنه لم يسمح لهذه الفكرة أن تسود علىّ ..

وتسير حياة الشاب ابراهيم لوقا فى طريق النمو والتقدم إذ نبهه الله الى هذه الأخطاء حتى لم يعد لهذه الضعفات تأثيراً عليه ، واعتمد على الوسائط الروحية المختلفة ... الصوم والصلاة دراسة الكتاب المقدس والمثابرة على التناول من الأسرار المقدسة ، وتنقلب كآبة السنة السابقة الى فرح ومسرّة .

لكن بين حين وآخر ، وعلى غفلة أخذ الشيطان يعاود هجومه بحيل وأشكال متنوعة ، إلا أن الشاب ابراهيم لوقا أخذ يقابلها وهو ناظر الى وجه يسوع رافعا صلواته وطلباته الى الله .

استمر ابراهيم لوقا فى حضور الاجتماعات الروحية التى كانت تعقد للطلبة الاقباط فى مدرسة السعيدية الثانوية وفى جمعية أصدقاء الكتاب المقدس ونهضة الطلبه ، وكثيراً كان يلقى العظات فيها ...

وحصل على شهادة البكالوريا فى ١٥ مايو ١٩١٥ وكان ترتيبه الحادى عشر ... ومنذ مارس عام ١٩١٣ كان قد عزم على خدمة الله وتكريس حياته لذلك كما سبق ذكره وهنا وجد الفرصة سانحة لكى يتم ذلك ، فرفض الالتحاق بكلية الطب كرغبة والده ، وكان قد وصله كتاب من كلية الطب تدعوه للانتظام فى الدراسة بها كما كان متبعا مع الأوائل فى ذلك الوقت .

اللهم ارسل فعله لحصادك ... زدت على خدمات الأحد صباحا خدمة قرية الريانية حيث ظهر لى المظهر الذى جعل يسوع « يتحنن عل الجموع إذ كانوا كخراف لاراعى لها » حضرت اجتماعات روحية فكان لها تأثير على جهادى الشخصى ، كما كان لها تأثير على جهادى من أجل الآخرين ، فلم أعظ إلا وأبكيت ، ونادرا ما كانت

تمر عظة بدون دموع .

بعد هذه الفترة إبتدأت قوى جسمى تضعف شيئا فشيأ حتى صرت غير قادر على الخدمة ... وفى كل يوم كان أملى يتجدد فكنت أركع مشتاقا ، ولكن عندما يضغط علىّ المرض كنت اختصر الصلاة ثم تنهمر الدموع على خدى وأقوم ... ماكنت أبكى لأنى خائف ألا يقوينى الله على تجاربى ، أو يسد احتياجى بسبب قصر صلاتى ، ولكننى كنت أبكى شعوراً بحرمانى من لذة العبادة ، والذى كان يزيد تأثيرى هو عدم ادراكى قصد الله وغرضه ، وسبب سماحه بهذه الحاله ... ولكننى لم أشك قط فى محبته ... وكانت هذه نعمة عظمى منه علىّ ...

وتزداد آلام المرض وتطول مدته ، ولا يدرك للآن غرض الله منه ... هل هو عدم رضاء بسبب ضعفات ؟ ... أم من سوء تدبير ؟ ... أم هو تمحيص ؟ ... أم هو تثبيت ؟ ... أم هو ناتج عن ضعف مقاومة للمرض ؟ ... أم هو مجرد تجربة شيطانية ؟

وفى هذا الوقت بالذات الذى تزداد الحرب مع الوالد على مستقبل ابنه ... والابن الراغب فى الخدمة فى حيرة وألم وما ينتج عن ذلك من تحول الى الشوق للعمل الى الدرس والعبادة ......

جال فى خاطره أمران .. العمل فى جمعية الأصدقاء ، ولكن يعوق ذلك كثرة الخدام الذى فيها يعطله عن أن يأخذ نصيب امهما فيها ... ودخول المدرسة الاكليريكية ... وكان المرض هو الذى أراحه فلم يفكر فى هذا أو ذاك ..

فى مدرسة النعمة

وقررت أن أدرس بنفسى ، لكن عدم معرفة برنامج وعدم توفر الحصول على الكتب اللازمة ... إذ لا مدرسة ولا معلم ولا كتب مطبوعة ، وقف حائلا ...

ولكن الله رسم لى البرنامج بنفسه فوضعته لنفسى بعد أخذ أرشادات وآراء الآخرين (القمص بطرس عوض الله — قبطى ، مستر ريشمند — أسقفى ، نصيف — انجيلى) ولم تتحدث عليه إلا تغيرات بسيطة ، ثم حصلت على الكتب اللازمة ... وهكذا كل شىء قد تمهد للبدء فى الدراسة العميقة ...

وخلال المدة من اكتوبر ١٩١٥ حتى مايو ١٩١٦ وهى السنة الدراسية كان ابراهيم لوقا قد درس فى اثنى عشر فرعا هى : تفسير — قوانين الكنيسة القبطية — تاريخها — طقوسها — اسلام — ابحاث مذهبية — تعاليم طائفية — قوانين الكنائس الاخرى — تاريخ عام — يونانى — قبطى — منطق .

وكانت ترتيب اليوم الدراسى كما وضعه لنفسه هو .. ٥,٥٠ — ٧,٥٠ صباحا عبادة ، ٧,٥٠ — ٩,٠٠ افطار ثم راحة ، ٩,٠٠ — ١,٠٠ دراسة ثم ١,٠٠ — ٤,٠٠ فترة غذاء وراحة ، ٤,٠٠ — ٨,٠٠ دراسات ، السبت والاحد أجازة .

وهكذا رأى أنه مادام يستفيد من وقته فى البيت فلا معنى للانضمام للاكليريكية وضياع الجهد .

وكان ان اجتمع مع ابراهيم لوقا تسعة من الشباب وقرروا العزم معه على حياة التكريس وخدمة الله ... وهكذا انتظم بعضهم بالاكليريكية وتشاركوا فى الخدمة فى جمعية الأصدقاء وفى خدمة الشباب بالمدارس .

تكلّم القمص مرقس سرجيوس مع أبى عن ضرورة دخولى كلية الطب وكان التأثير هو ماظننته ، فقد تألم والدى كثيرا وتجدد الامل عنده حتى اذا رضيت يقدم لى على الطب ، على أنى كلمته كلاما قطع منه كل أمل .

وبين الحين والحين كان الشيطان يحاول أن يضع العراقيل والصعوبات أيام حياة التكريس التى رغب فيها ابراهيم ... لكن الله كان يقويه ويثبت أركانه فى حب خدمته وتكريس الحياة له .

كثيرون من الطلبة لايعرفون ماهى المسيحية فى عقائدها وحقائقها ... اتحاد الطلبة والشبان (جمعية اصدقاء الكتاب المقدس) يجتهد ان يعرّفهم ماهى المسيحية ، واجب حمل الشهادة للاصحاب أصبح معروفا أكثر من ذى قبل ، وبسبب ذلك صار الطلبة متحققين من ضعف حياتهم عن الشهادة ، ولكنهم يجاهدون بالدرس والصلاة ليستطيعوا أن يعلنوا الحقائق .

هكذا كانت الحاجة الى خدام أمناء فى الحقل الروحى ، واشترك ابراهيم لوقا فى خدمات الخيام وخدمات تدريب العمال وفى برنامج الاعتزال وفى الخدمة الريفية حول أرمنت بلده ... وخلال الاجازة الصيفية عام ١٩١٧ وبعد الحاح من حبيب أفندى جرجس واعظ الكنيسة المرقسية قبل الانضمام الى المدرسة الاكليريكية ابتداء من أول اكتوبر ١٩١٧ لأنه « يليق بنا أن نكمّل كل بر »

ووجد ابراهيم لوقا نفسه بالاكليريكية وهو يقضى وقتا دون أى ثمر ، فالمدرسون يتعظّمون على التلاميذ وهم يجبنون عن أعلان رأيهم فى بعض الأفكار الاصلاحية للملأ « الكلام ده هنا بس مش علشان تتكلموا فيه برّه » وعدم راحة المدرسين بعضهم لبعض ... ومستوى الطلبة بسيط للغاية .

وإزاء ذلك عقد العزم على الاستمرار فى دراساته الشخصية بعد وقت الاكليريكية ، وفى نفس الوقت ابتدأ المتطوعون يتسربون واحد بعد الآخر ..

وتمضى الأيام ... ويظهر الوالد لوقا مرقس لابنه ابراهيم عن رضائه التام عن خدمته وعرض باسيلى بطرس (مؤسس جمعية أصدقاء الكتاب المقدس واتحاد الطلبة الشبان) لاستخدام جندى واصف بأسيوط ، وابراهيم لوقا بمصر ، وحافظ داود كمساعد ومراقب للمنازل ، وأما رياض سوريال فسيجتهد فى إلحاقه كمعلم دين بمدرسة الاقباط الكبرى ، وكان الغرض من ذلك أن يعملوا جميعا بصفة نهائية بمرتب سبعة جنيهات شهريا ، ولكن

ابراهيم رأى أن يعمل بدون مرتب راحة لضميره أمام الله والناس حتى يظهر منه نفع للخدمة .

باسيلى أفندى يطلبنى من الاكليريكية مع باقى الأخوة المتطوعين ــ يومى الاربعاء والجمعة ــ للعمل بالجمعية جزئيا من الآن ... وأنا سررت جدا لهذا الترتيب من كل جهة ... أولا لضيقتى الشديدة منها فأصبحت الثانية فيها بسنة وثانيا لأتمكن من الدرس أكثر ، وثالثا وهو الاهم لأتمكن من الخدمة مع الدراسة ، لأن ضميرى متعب لعدم الخدمة ولأنه قد انفتح لى باب فعّال لها .

استجاب ناظر الاكليريكية لهذا الطلب إلا إنه مالبث أن ألغى الاتفاق ، هل لأنهم أرادوا أن يحبسوا طلبة البكالوريا وسط جدران الاكليريكية دون تعويض بغيرهم ؟ ...

أما رياض سوريال فقد استخدم نهائيا كمعلم بالمدرسة القبطية الكبرى ، بشارة بسطوروس توظف بالمنيا ، حليم بشارة كان قد ترك التطوع قبلا .

أما أنا وجندى واصف فإنا مازلنا على فكرة العمل بالجمعية .. أننا نشعر بمقدار صعوبته ولكن أيضا نشعر بأهميته وامتيازاته الخاصة عن كل عمل آخر ، فليساعدنا الله .. كتبت لوالدى استرشده فى الأمر فسمح .. مسكين والدى كم أصبحت أعطف عليه واحبه أكثر ، فلقد سلك معى مسلك الحنان واللطف التامين ، وحتى أننى أصبحت احبه لامحبة والد فقط ولكن أيضا محبة شخص طيب القلب ، وكم أنا مسرور لأنه قابل رسامتى قساً بسرور ... كم أصبحت أشعر أن يد الله بالحق كانت عاملة بقوة فى مسألة تطوعى ، إذ أوجد هذه الآمال الواسعة فى فكره وفكرى عند الدخول ، ثم خلاص النفوس شيئا فشيئا ، فأصبحت أنا الآن ولاهم لى إلا خلاص النفوس مع المجاهرة بالحق كحق لابقصد الاصلاح العام ...

وتتأصل مفاهيم الخدمة فى نفس ابراهيم لوقا ... وأصبح يتوق الى اليوم الذى يطلب فيه للخدمة كراع مسئول ، وأصبح عزمه الأخير هو السعى أولا لخلاص النفوس ، ثم إصدار مجلة يضع فيها كل معلوماته الروحية والتفسيرية والتعليمية والاصلاحية وقد أخذ كثير من الملاحظات اثناء دراساته ، على شرط ألا يجاهر بالقسم الاصلاحى لاكإصلاح بل كتعليم .

على أنه لايبدأ بالاصلاح إلا بعد ما يوجد لنفسه مركزا مقبولا فى نظر الشعب ، لكى يطمئن من جهة خلاص نفوسهم ، فيرتاح لتأدية واجبه الأول الذى هو خلاص النفوس الهالكة ، ولكى يعينوه بالالتفاف حوله إذا ما بدت آثار مضادة ...

وحصل الشماس ابراهيم لوقا على دبلوم المدرسة الاكليريكية فى ٢٥ ابريل ١٩١٨ .



حساب عام

حيث أن هذا اليوم يعتبر كختام لهذه السنة فأرى أنه من المناسب أن أدوّن شيئا يكون كتقرير عنها فمن جهة الصحة فلله الحمد أحسن بكثير من العام الماضى ، ومن جهة حالتى الروحية فعلاقتى مع الله وله كل الشكر والحمد استمرت حسنة طول العام بفضل نعمته وعنايته الأبدية ، وإنى واثق إنها ستستمر كذلك لنهاية الحياة ، إذ لايستطيع أحد أن يخطف خروفا من يده ... أما أفكارى من جهة الخدمة فقد تغيرت فى النصف الاخير من السنة ، وذلك بالشعور بضرورة الاستعجال بالرسامة الكهنوتية ، ومن جهة الدرس فإنى أشكر الله شكرا جزيلا فقد استفدت منه فائدة عظمى رقّت مدراكى فيما يختص بكل أنواع اللاهوت .

ومن الأمور الهامة التى يجب تسجيلها فى هذا المقام أن ابراهيم لوقا قد درس خلال العامين الدراسيين الاخيرين مجموعة عظيمة من الكتب بلغ مجموعها ٤٥ كتابا وعدد صفحاتها ١٠٥٠٠ صفحة على النحو التفصيلى الآتى :



الشاب ابراهيم لوقا

الموضوع	فى العام الماضى	فى العام الحالى	عدد الكتب	مجموع الصفحات
لاهوت تعليمى	الأدلة السنية	البراهين الواقعية السدمنتى نظام التعليم جزء ١ ٣ مجلدات من الكافى	٤	٩٠٠ صفحة
تاريخ	الخريدة النفيسة يوسيفوس	مجلدين من الاصلاح المجموع الصفوى	٧	٣٦٠٠ صفحة
قوانين الكنيسة	الدسقولية قوانين المجامع	الدسقولية نفح العبير	٣	٩٠٠ صفحة
ابحاث مذهبية	القدرة البهية الرفش القوصى الاعتراف بحرية الايمان		٤	٥٥٠ صفحة
طقوس الكنيسة	العشاء الربانى مسحة المرضى	سر الزيجة المعمودية مردات الشماس	٥	١٣٥٠ صفحة
تفسير	موعظة الجبل أزمنة العهد الجديد التلمود كلام العرافة أسفار موسى قبائل العهد الجديد السامريون ديانة اسرائيل سفر الرؤيا	رسالة روميه للكنيسة القبطية رسالة روميه من دائرة المعارف رسالة روميه من مرشد الطالبين رسالة روميه لبنيامين بنكرتن رسالة أفسس انجيل لوقا	٦	١٤٠٠ صفحة
اديان	احمد وبولس علم الأعلام	دليل جديد البرهان الجليل الأقوايل القرآنيه منار الحق ميزان الحق المسيح فى الاسلام موت الانسان الكامل النتيجة العصرية هل صلب المسيح اختياريا انجيل برنابا الجواب الصحيح عقيدة الثالوث القديمة	١٤	١٣٠٠ صفحة
طائفية	القول اليقين		١	٢٦٠ صفحة
قوانين الكنائس	الصلاة العامة	نظام التعليم جزء ١	٢	٣٥٠ صفحة
لغات	قبطى يونانى منطق	قبطى		
المجموع الكلى	١٠ موضوعات		٤٥ كتاب	١٠٥٠٠ صفحة

أما عن الاكليريكية فقد انتهت الدراسة فيها فى ٢٥ أبريل ١٩١٨ ، وعمل أسبوع وعظ بكنيسة الفجالة وكان نصيب الشماس ابراهيم لوقا خدمة الوعظ فى اليوم الاخير منها . ثم بدأ أيضا الخدمة فى جمعيات القاهرة وبكنيسة البطرسية .

الاستعداد للرسامة

فكرة مازالت بقوتها ويتبعها فى ذلك فكرة الزواج طبعا ... أن أفكارى الأساسية من جهة الخدمة لاتوافق مبدئى فى الجمعية كسكرتير وحياتى قاصرة عليها إذ أن هذه الأفكار الأساسية تقتضى (١) أنى أخدم كقس وهذا لايمكن أن يكون إلا على كنيسة (٢) السير مع النفوس فى كل أدوار حربها الداخلية ، وهذا لاينفع إلا أن عرفت لى شعبا أنا مسئول عن حياته (٣) إنى لا أميل للعمل الادارى ولكن الروحى وهذا لا يتسنى لى كسكرتير للجمعية بل بالعكس (٤) إنى احتاج للمجاهرة بحقائق الاصلاح لشعب يسندنى فيما بعد (٥) أن يكون مورد معيشتى من غير الخدمة ..... ثم بدأت خدمتى فى جمعية مصر الجديدة .. قابلنى دكتور كدوانى وعرفنى أنه وزملاؤه فى الجمعية يضعون انظارهم على كواعظ حتى يتم بناء الكنيسة ثم يطلبون رسامتى كاهنا عليها .

بدأ الشماس ابراهيم لوقا خدمته فى مصر الجديدة واعظاً لجمعيتها . وكانت تعقد الاجتماعات فى شقة صغيرة بشارع عباس بمصر الجديدة ، ثم بدأ عمل حلقات دراسة بالمنازل .. وبدأ الاجتماع ينشط ويتقوى .

ثم أضيف اليه العمل بالماظة ، وعندما أقبل على العمل فيها كان لذلك لذه خاصة لديه ، لبساطة النفوس ...

وفى ١٩ فبراير ١٩١٩ انضم الشماس ابراهيم لوقا للجنة بناء كنيسة مصر الجديدة ، وفتحت اللجنة فى ذلك اليوم ــ ولأول مرة ــ بالصلاة بناء على اقتراحه ، وبعد أربعة

أيام أنتخب مساعدا لسكرتير اللجنة ... في ١٢ أغسطس ١٩١٩ شرع في طبع كتاب منتخبات للترانيم الروحية وتبرع بدخله لمشروع بناء الكنيسة ...

وسعى ابراهيم لوقا على تنشيط اعضاء اللجنة في تنفيذ المشروع إلى أن أعطى غبطة البطريرك الانباكيرلس الخامس الاذن ببناء الكنيسة ، وكان هذا أمراً مدهشاً في نظر اللجنة التي قضت خمسة أعوام وهي تسعى لذلك ، ولم يعلموا أنهم كانوا يسعون بدون أن يؤازرهم أحد بالصلاة ، وما لم يكن لهم من قبل صار الآن وقد استجاب الصلاة وتداخل لأن في يده قلوب البشر يحولها كمجاري المياه .

إلا أن التجارب صارت تتجمع على رجل الله وكما يقول هو عن نفسه :

صادفتني تجربتان من أعظم التجارب معا ، في ظروف مرّت على حياتي لم يمرّ علىّ مثلها .

أولا : فشل خطوبتي لأنه لم يخطر على بال خطيبتي أن تكون زوجة قس ...

ثانيا : وفاة جرجس بك يوسف ناظر الكنيسة وأكبر مشجع لي في العمل هناك .

أما خبر فشل الخطوبة فاني أشعر إن الله لم يسمح بها لأنه أعدّ لي شيئا أفضل ، أن الله لم يسمح بذلك إلا ليقدم لي فرصة فيها أظهر صدق محبتي له وثباتي في عزمي على خدمته ... أو بالاحرى كان برنامج حياتي كمتطوع كان يلزمه مثل هذه الفرصة ، وأنا أشكر الله من أجلها كثيرا لأنها أعطتني فرصة لمعرفة ضرورة وملازمة التجارب للحياة ، كما جعلتني أختبر بكيفية محسوسة عمل القوة غير المنظورة في النفس بمنحها قوة فوق قوتها الطبيعية عند الضرورة .

أما عن وفاة رئيس اللجنة الذي كان يدافع عن معيشة الكاهن في اجتماعات اللجنة لما سمع أحدهم يقول انه يعيش على التسول ، وقال آخر يكفيه ماهية أربعة أو خمسة جنيهات ... وأنا واثق أن كلمة تسول خرجت من فمه من قبيل سوء التعبير ولكن بتدبير من الله الذي علم أني محتاج لسماع مثل هذه الكلمات ... اهتززت حال سماع خبر الوفاة ولكن سرعان ما استولى علىّ روح هدوء تام .

وتمضي الأيام ... ويتقدم مرة أخرى لخطوبة فتاة ولكن موضوع القسوسية يقف عقبة في التنفيذ ... ولكنه يشكر الله لأنه أعطاه فرصة أخرى فيها كانت القسوسية سببا لنظر الازدراء الى شخصه وحياته ... ويقابل ذلك بهدوء تام ... ثم يسمح الله بإتمام هذه الخطبة المباركة في ٢٧ يناير ١٩٢٠ .

ومن جهة الخدمة عرض عليه الانبا يؤانس مطران الاسكندرية ان يكون واعظا بالاسكندرية ومدرسا للدين بمدرستها بمرتب شهري عشرة جنيهات ، وينشط في روح الجهاد والمصارعة من أجل القوة ... ويرفض هذا العرض .

كلمات الناس المفشّلة تتردد على مسمعي كل يوم .

كنت أعظ بكنيسة القللي الارثوذكسية وبعد الكلام اقترب الىّ شخص وقال لي « إني شعرت من كلامك بأن روح الله فيك ، ولكني علمت أنك ستكون قسيسا قبطيا ، بكل اخلاص يأخي أقول لك ارجع من هذا الطريق وإلا فيصيبك الفشل التام » وقال لي صديقي الدكتور كدواني أن والده بعد أن سمع عظتي بكنيسة القللي قال « سمعت شخصا اسمه ابراهيم لوقا يتكلم اليوم في الكنيسة فسررت منه ، ولكن سمعت أنه سيكون قسيسا قبطيا فتأسفت لأني اعتبر ذلك نذيراً بفقدان مبادئه » .

الناس كلهم يقولون ذلك ولكن صوت يسوع في الداخل يشجعني ويطلب مني أن أثبت ... فأي الصوتين اسمع ؟ .. لاشك أني سامع لصوت سيدي الذي لايجعل أدنى تأثير لكلام الناس المفشل ...

حتى خالي أرسل لي مرتين يثنيني عن عزمي لأجل القسوسية ويحاول أن يقنعني بأن هذا طريق مضاد لارادة الله ، أما أنا فأجاوبه بأني مستريح لأني خالي من الغايات النفسانية ليقودني هو برأيه ، وأثق فيه أنه لن يتخلى عني .

ولم تكن هذه الأمور تمرّ عليه عبثا ، ولكن كان له فيها أختبارات كثيرة أفادته في حياته وخدماته — ويقول عن اختباراته هذه في مذكراته ...

١ – استجابة الصلاة — فمن مدة وأنا أصلي من أجل منحي نعمة الايمان والتسليم وقد اختبرت سر الايمان والتسليم في الظروف الأخيرة بكيفية لم اختبرها من قبل ... وكان هذا جوابا من الله للصلاة .

٢ – فعل الايمان في راحة القلب ... فمشكلاتي اليوم ربما أكثر من قبل ولكني بحمد الله هادىء مطمئن .

٣ – سعة الصدر ... ففرق عظيم بين الحالة التي أقابل بها ظروفي الآن وبين الحالة التي كنت أقابلها بها هذه الظروف من قبل ... فحقاً « ان الايمان ينشىء صبراً » .

٤ – الحساسيات التي تولدت في نفسي أخيرا بسبب هذه الظروف ولاجلها أشكر الله كثيرا .

- **احتقاري للعالم « وأن كان لنا رجاء في المسيح في هذه الحياة فقط فنحن أشقى جميع الناس »**
- **ازدياد أشواقي وإنحصار آمالي في تمجيد الله في حياتي ، وشعوري بأن سعادتي الحقيقية موقوفة على استفادة الله من خدمتي .**
- **إزدياد شعوري بالحاجة الى النعمة .**
- **إزدياد طمأنينتي في كفاية نعمة الله .**

٥ – أحوال الكنيسة التى تزداد سوءا ... فاكليروسها يزداد شرّه ، وقد ظهرت شرور ردية فى هذه الأيام من المطارنة ، وبعضهم مقام ضدهم قضايا ... فمتى يرحم الله كنيسته ؟ ... فليرحمنا الله .

٦ – ... والذى كنت أراه رفيقا لى قد غير عهده مع الله وعزم على دراسة الطب ، لقد سرقه الشيطان بكيفية لم يشعر بها ، والآن أرى فيه قول الرسول « ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر » ... إنى انظر بكل خوف لحياته المستقبلة وأصلى بجهاد أن يضمن الله سلامته ويغفر له .

عزم ابراهيم على أن تكون خدمته مجانية ، وطلب من والده أن يكون معينه فى هذا السبيل وقد تيسرت حالته المالية بشكل محسوس للدرجة التى سمحت له أن يطلب دون أن يخجل ، فقد زادت أثمان القطن والقصب زيادة هائلة ، ولم تتحقق هذه الزيادة إلا فى الأسبوع الذى طلب منه ذلك .

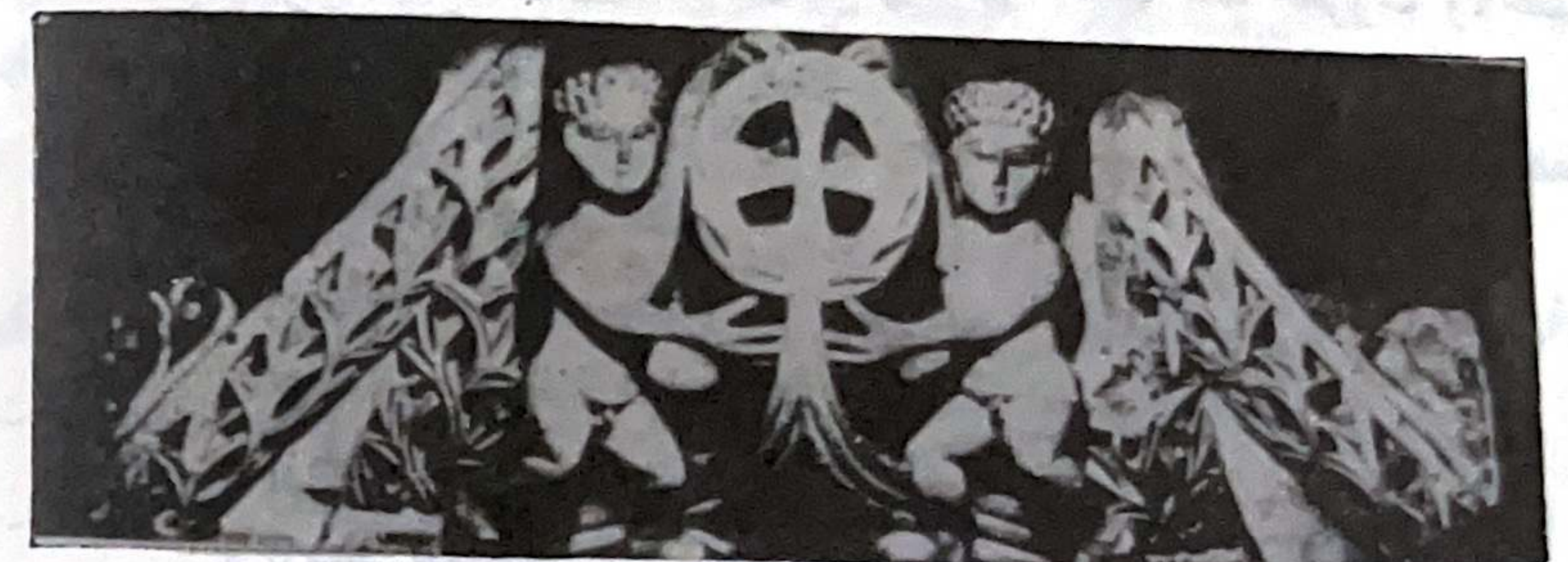
كانت فكرة الخدمة المجانية قد اختمرت فى فكره ، لأنه عرف أن صديق الشعب من لايمسّه فى جيبه ، وعدوه من يمسّه فى ماله ، وكشخص يريد أن يستخدمه الله لاعلان حق هام يجب أن يكتسب صداقة هذا الشعب ومحبته وكرامته له ..

وتزوج ابراهيم فى ٦ نوفمبر ١٩٢٠ ....

حالة شعبنا الروحية أصبحت أمرّ من أن تطاق .. زارنى صديق من البيوت القبطية المشهورة فى مصر وحكى لى عن حالة الفساد بما يقشعر منه الجسم ، مساكين فليس لهم من يعتنى بنفوسهم ، فهم مشتتون ومنزعجون ومنطرحون كخراف لا راعى لها ، وكل ما أتمناه أن الله يساعدنى لتقديم خدمة نافعة لهذا الشعب المسكين ، وكم أشعر بخطورة هذه المسئولية « لولا أنى آمنت أن أرى جود الرب فى أرض الأحياء » أشكر الله لأنى فى كل يوم أشعر بضعفى أكثر ، وفى كل يوم أزداد اطمئنانا فى الثقة بالنعمة الكافية الكفيلة ...

والله قادر أن يحقق لى هذا الأمل كما دعانى واختارنى لهذه الخدمة .

وتسير خدمته الواعية فى طريقها الذى رسمه لها الله ...



الباب الثانى
الخدمة

القس ابراهيم لوقا فى أسيوط

ودعانى الله دعوته المقدسة للانخراط فى سلك الكهنوت المبارك ... وتمت موافقتى لدعوة نيافة الأنبا مكاريوس مطران أسيوط لشخصى الضعيف لأكون قسا على كنيسة أسيوط الكبرى ... وتحدد يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٢٣ موعدا لاتمام الرسالة ... ياالله بارك خدمتى وبارك ضعفى ... وبارك جهادى ... وبارك رسالتى ....

وتأتى الساعة الرهيبة حين يضع نيافة الأنبا مكاريوس مطران كرس أسيوط اليد على رأس الشماس ابراهيم لوقا وينال نعمة الكهنوت ... ليرسم المثل الأعلى للكاهن الأمين الذى يرعى رعيته بخوف الله ....متفقداً الجميع بلا استثناء مواسيا للحزانى ، سائلا عن المرضى ، مخففا آلام الفقراء ... متبرعا بكل مايصل ليده عن طريق الخدمة الى مشروعات الكنيسة وخدمة الفقراء .

وكان ترتيب رسامته بأسيوط من الله ، حيث توجد أخف مظاهر للرئاسة ، كما أن أفكار نيافة المطران الأصلاحية التى صرّح له بها جاءت وفق أفكاره .

ولم تقابل الخدمات التى قام بها القس ابراهيم لوقا من النشاط فى الوعظ وفى الافتقاد مع رفض الحصول على أى مقابل لذلك بالارتياح ، اذ لم تكن هذه مواقفه لآراء بعض الخدام الآخرين ، بل أن بعض المطارنة والأساقفة أظهروا عدم موافقتهم على مجانية الخدمة ، وقالوا أن هذه حرب شيطانية ، غير أنه استمر فى المسير بهذه القدوة الحسنة ... إلا أن شعور الشعب الاجتماعى والجميل كان له أطيب الأثر فى نفسه ، فكان عونا له على الثبات على هذا المبدأ ، وبعد عدة أشهر من المحاولات قبل أن يأخذ مرتبا بسيطا نظير بعض تكاليف الخدمة .

وتزداد الخدمة الروحية نشاطا لم تعهده مدينة أسيوط من قبل ... فتعددت الاجتماعات الروحية بالكنيسة يدعمها ازدياد وعى الشعب وحبه للكنيسة ، وتنشط لجنة مدارس الأحد أيضا فى خدمتها ... ويقترح القس ابراهيم لوقا بناء كنيستين جديدتين بقبلى أسيوط وبالحمرة

إلا أن الحرب تزداد عليه ... حرب الصحة وتهديد المرض عليه ، وحرب الشيطان ضد نجاح الخدمة ... ولكن بركة الرب تزداد عليه ايضا ونعمته تقوّيه فقد اختبر دعوة الله بأن يعطى من يترك شيئا من أجل اسمه مائة ضعف ... وقد نال مائة ضعف فعلا من محبة الشعب والأقارب ولاسيما من والده وما أظهره نحوه من مشاعر عقب رسامته .

لا أنا ... بل نعمة الله ...

بقاء المرض بعد الرسامة كان يظهر قوة الله فى ضعفى ، وأن الفعل الروحى لايتعلق علينا ... على أحاسيسنا أو قوة حياتنا الروحية ، ولكن على بركة الله التى تغنى ولا يزيد معها تعب ... أجهدت نفسى فى العمل ... الى أن انتهيت الى حقيقة وجوب السير فيه على قدر ما أعطانى الرب من الصحة ، لأن عملى فوق طاقتى يجعلنى أولا أعمل كمجرد واجب بلا شعور أو لذة ، وثانيا فيه مراءاة ومحاولة أخذ قسط أكثر مما أعطانى الله ، فآخذ حق الله فى حمل المسئولية ؟ ... وثالثا فيه تجربة للرب !

شعرت بخطأ فكرة النظر الى النفس كالمسئولة الوحيدة عن خلاص النفوس ، واقتناعى بأن هذه المسئولية هى مسئولية الله ، ومن حقه وحده ، وطالما أنى أعمل الواجب فينبغى ألا أفكر فى النتائج تاركا العمل لله ، كما أنى لا أتوقع التأثير من كلامى بل من عمل النعمة فى النفوس ... وهذا أراحنى كثيراً .



القس ابراهيم لوقا

كذلك فى التأليف كنت أزعج نفسى لفكرة ضرورة وضع الحقائق بالكيفية التامة ، أما الآن فأنى أفعل ما أقدر عليه ، أما التكميل فحسب إرادة الله .

وبعد حوالى سبعة أشهر من رسامته قساً رأى نيافة الأنبا مكاريوس أن يمنحه رتبة الايغومانسية ... وكان ذلك فى ١١ من مايو ١٩٢٤ .

وتستمر خدماته ومواعظه وزياراته الرعوية فى نشاط دائب ، وكان من أثر ذلك أن عاد الى أحضان الكنيسة كثيرون ممن كانوا قد تركوها الى بعض الكنائس الأخرى نتيجة لعمل بعض الارساليات .

مجلة اليقظة

وكان من ثمار الخدمة بأسيوط أن أصدر الايغومانس ابراهيم لوقا مجلة « اليقظة » وهى مجلة شهرية وعظية تعليمية دينية صدر العدد الأول منها فى سبتمبر عام ١٩٢٤ ، وكانت فاتحته الرسالة التالية :

« وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب من جهته » كولوسى ٣ : ١٧

باسم الرب يسوع الابن الوحيد أفتح أول عدد من أعداد المجلة ، طالبا من عرش الرحمة والعون أن يسكب بركة خاصة تقدّس هذه الفاتحة لتكون أساسا لعمل مقدس ومبارك ويتمجد فيه الله ، ويرجع بالخير على كنيسته ، أمين هو الذى يفعل أكثر مما نطلب أو نفتكر .

وأقدم الشكر لله الآب من جهة ربنا يسوع المسيح لأنه حسبنى أهلا للقيام بمثل هذه الخدمة الخطيرة ، ولما آزرنى به من التشجيعات المتوالية التى دفعتنى للشروع فيها بقلب مملوء بالرجاء والثقة ، والذى ابتدأ سيكمل الى التمام « لأنه لم يعطنا روح الفشل بل أعطانا روح المحبة والقوة والنصح » .

كما أنى أقدم شكرى لجميع الأخوة الذين أبدوا شعورهم الحسن من نحو هذا المشروع ، والذين اشتركوا فى التعب فى بداءة هذا العمل ، سائلا إلهى أن يعطيهم جزاء تعبهم بحسب غناه فى المجد فى المسيح يسوع ...

وكما ابتدأت اختم بطلب البركة من الله الذى يظهر قوته فى الضعف ليعيننى فى هذا العمل حتى النهاية ، وليكون عملا مقدساً لاتمام مشيئته ومجد اسمه وخير شعبه وكنيسته ...

هكذا بدأت « اليقظة » رائدة عملاقة تحوى كلمات الوعظ ودراسات الكتاب المقدس وتفسير غوامضه والبحوث اللاهوتية ، مقدمة رسائل أخلاقية وسير أبطال الكتاب المقدس والقديسين الشهداء ورسائل الاصلاح ... وكانت تصدر فى ٦٤ صفحة .

وهكذا كانت « اليقظة » أقوى المجلات القبطية ...

وظل الايغومانس ابراهيم لوقا يتابع إصدار هذه المجلة الى أن ارتقى الى المجد فى ديسمبر ١٩٥٠ تاركا لها تراثاً كبيراً من البحوث والمقالات والعظات ... ولا زالت تصدر الى اليوم حيث بلغ عمرها ٦٢ سنة ... وبذلك فهى أقدم المجلات القبطية .

فى مصر الجديدة

كان الشماس ابراهيم لوقا ــ كما سبق أن ذكرنا ــ يخدم كواعظ بلجنة بناء كنيسة مصر الجديدة منذ بدء نشاطها عام ١٩١٧ ، وكان مركزها بشارع عباس بمصر الجديدة ، ثم انضم الى عضوية هذه اللجنة فى ١٩ فبراير ١٩١٩ حيث فتحت الجلسة فى ذلك اليوم بالصلاة بناء على اقتراحه ، وفى ٢٣ فبراير ١٩١٩ انتخب مساعداً لسكرتير اللجنة ، وقد طبع مجلداً عن منتخبات ترانيم روحية فى ١٢ أغسطس ١٩١٩ وتبرّع بدخله كلّه لمشروع بناء الكنيسة وقد احتفل بإرساء الحجر الأساسى لكنيسة مارمرقس بمصر الجديدة يوم الجمعة ١٦ يونيو ١٩٢٢ الساعة الخامسة بعد الظهر تحت رعاية غبطة الأنبا كيرلس الخامس البطريرك ورئاسة الأنبا يوساب مطران كرسى الفيوم والجيزة ، وألقى الشماس ابراهيم لوقا كلمة لجنة الكنيسة فى هذا الحفل .

وفى ١٢ مايو ١٩٢٥ اجتمعت لجنة بناء كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة وقررت باجماع الآراء ارسال خطاب الى غبطة الأنبا كيرلس الخامس البطريرك ، يلتمسون منه نقل الايغومانس ابراهيم لوقا الذى كان واعظا بهذه اللجنة قبل رسامته على كنيسة أسيوط الى كنيسة مصر الجديدة .

وكان فى ذلك الوقت قد تم انشاء حوائط الكنيسة ، وكان العمل يجرى فى استكمال الأعمال الانشائية ، وكانت الشعائر الدينية قد بدأت منذ حوالى خمسة أشهر ، وكانت الحاجة ماسة « لتعيين راعى مستديم لهذه الكنيسة من الآباء المعروفين بالتقوى والكفاءة الدينية والنشاط الروحى » .

وتفضل قداسة البطريرك بالموافقة فى هذا الطلب وأصدر أمره الكريم بذلك فى ١٤ يوليو ١٩٢٥ .

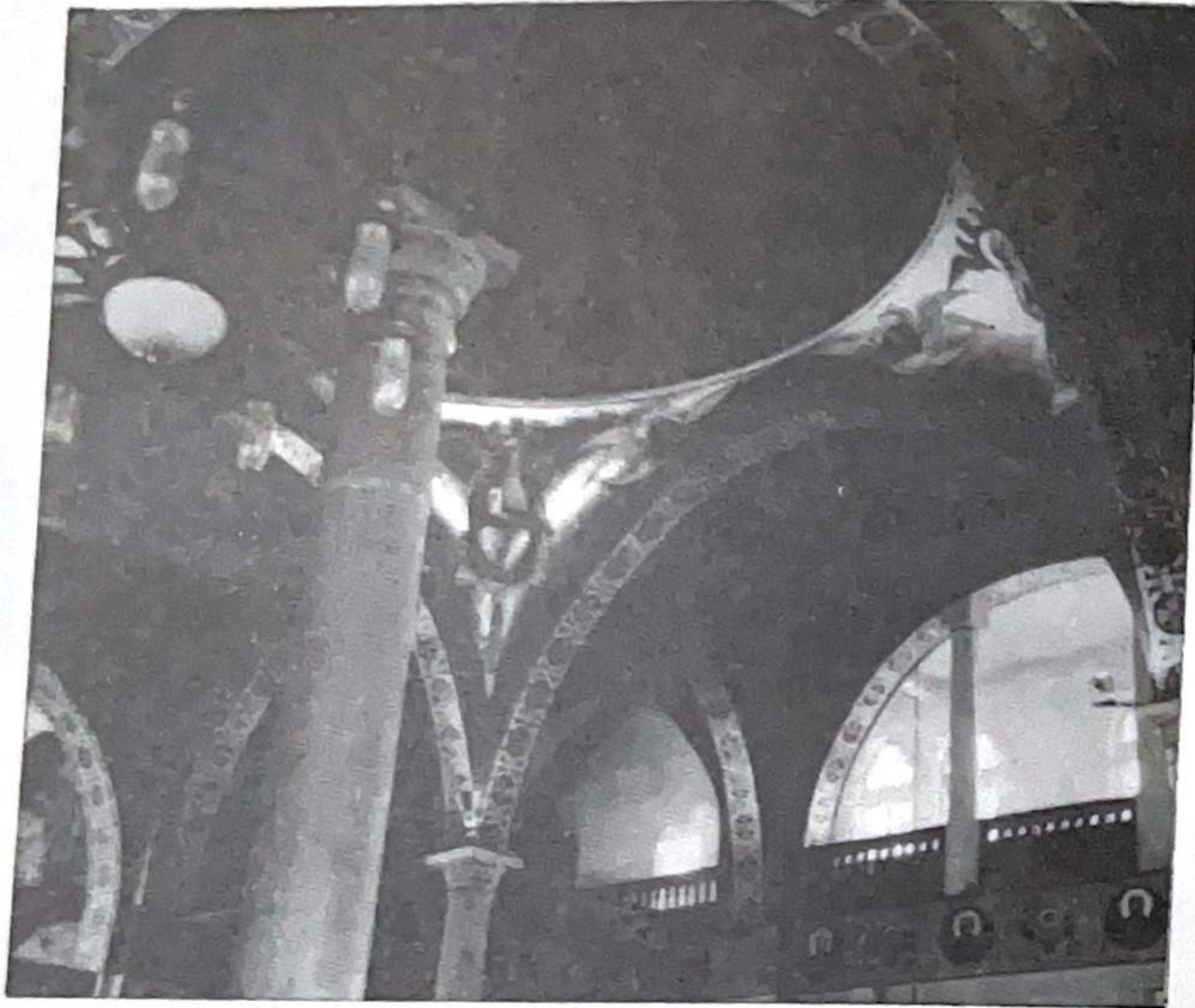
أما شعب أسيوط فقد أعلن تمسكه براعيه الايغومانس ابراهيم لوقا ، خاصة وأن المدة التى قضاها بينهم كانت لنفع الكنيسة ومصلحتها ورعايتها الحقة ، وعلى الاخص فى مدينة أسيوط التى تنتشر فيها المذاهب الأخرى .

أما نيافة الأنبا مكاريوس مطران أسيوط فقد اعتلى المنبر وعبّر عن شدة تمسكه ببقاء الايغومانس ابراهيم لوقا فى أسيوط بكلمات وتعابير مؤثرة ، وانهمرت من عينيه دموع ساخنة عندما ردد آيه سفر أيوب التى تقول « ان ليالى شقاء قد قسمت لى » .

وهكذا بدأ الايغومانس ابراهيم لوقا رعاية كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة ... وللوقت دب النشاط فى كل ناحية من نواحيها ... الروحية والأنشائية ... الاجتماعية والثقافية ...

عمارة كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة

وما أن بدأ الايغومانس ابراهيم لوقا الخدمة بكنيسة مصر الجديدة حتى أخذ يجمع التبرعات لاتمام مبانى الكنيسة ، وعمل بمؤازرة الأخوة أعضاء لجنة بناء الكنيسة على إتمام الأعمال الأساسية من أسقف وبياض وأرضيات ، إلا أن العمل توقف خلال فترة المرض التى أحاقت بقداسته فحدّت من نشاطه طوال خمسة أعوام من سنة ١٩٣٤ إلى سنة ١٩٣٩ وابتداء من عام ١٩٣٩ بدأ العمل ينشط مرة أخرى فبدأ إنشاء أسوار الكنيسة ومداخلها ، ثم عهد الايغومانس ابراهيم لوقا الى كبار المهندسين المتخصصين فى الفن القبطى ليضعوا تصميمات حجاب الكنيسة ومذابحها الرخام والقبة الرخام بالهيكل الرئيسى ، فأخذوا أساس التصميم من الفن القبطى فى عصره الذهبى ، بحسب الطرز الموجود بالمتحف القبطى ، وكان هدفه من ذلك أن يبرز لأبناء الكنيسة فى القرن العشرين الفن القبطى فى أزهى عصوره حتى يكون دافعاً لهم على أن يبدأوا من حيث أنتهى أجدادهم ، وساعده على تحقيق هذه الفكرة الصائبة كبار رجال الآثار وعلى رأسهم الأب الدكتور دريتون مدير عام مصلحة الآثار والدكتور توجو مينا مدير المتحف القبطى ، وتم تنفيذ هذه الأعمال فجاءت آية من الروعة والجمال ، وصارت الكنيسة محطا لأعجاب الزائرين من الأجانب والمصريين .



القبة الرئيسية



المذبح والقبة الرخام



جانب من زخرفة الكنيسة

وقد أخذت بعض الكنائس الأخرى بالقاهرة والجيزة والاسكندرية عن هذه التصميمات فأقيمت أحجبة كنائس مارجرجس بالجيزة والعذراء بمحرم بك ، ومار مينا بفلمنج ، وبالمندرة بالاسكندرية وغيرها على ذات الطراز ، وقد قام بتصميم زخرفة الحجاب المهندس حنا سميكه استاذ تاريخ الفن بكلية الفنون الجميلة المتخصص فى الفن القبطى من جامعة باريس ومعهد اللوفر .

وقيّض الله فنانا يونانيا — جورج بانتسوس — الذى تعلّم بالأكاديميات الأيطالية وتخصص فى عمل الايقونات فى أكاديمية أديرة أتوس بأثينا ، فأسند إليه الايغومانس ابراهيم لوقا أعمال النقش والزخرفة والايقونات بالكنيسة ، فجاءت كلها متكاملة متجانسة فزادت من رونق الكنيسة ، وجاءت على نفس السياسة التى انتهجت فى زخرفة الحجاب من اقتباس الرسوم والنقوش من العصرين الرابع والخامس الميلاديين من دير باويط ودير سان أرميا بسقارة ... وهكذا بدت الكنيسة نموذجا فريداً من روعة الفن .

مدافن ألماظة

كان من ضمن البرنامج الذى وضعه الايغومانس ابراهيم لوقا للعمل فى ضاحية مصر الجديدة إنشاء مدافن بألماظة ، وقد وافقت الجهات المختصة على تخصيص عشرة أفدنة لهذا الغرض ، وصدر قرار من المجلس الملى العام فى ٧ ديسمبر ١٩٣٠ بندب الدكتور ابراهيم فهمى الكبير والقمص ابراهيم لوقا لاستلام قطعة الأرض التى خصصت لذلك ، وصدر قرار آخر من لجنة إدارة البطريركية فى ٢٨ يناير ١٩٣٢ يقضى بأن مايزيد من إيرادات ثمن بيع المنفعة بهذه المرافق يخصص لكنيسة مارمرقس بمصر الجديدة لسد العجز فى ميزانيتها ويخصص الباقى لما يلزم لاتمام الكنيسة ، وقد تم تخطيط أرض المدافن وأنشىء سور حولها ، وقيض الله محسنا كبيرا لبناء كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بوسطها ، وهى كنيسة رائعة الفن والجمال ، وقد سمحت إرادة الله أن تضم أول من تضم جثمان الايغومانس ابراهيم لوقا بعد رحيله .

ونقول بحق أن الأيدى التى تسلمت العمل بمدافن ألماظة بعد نياحته قد جعلت من هذه المدافن أثرا خالداً .

كنيسة مارجرجس بألماظة

بالرغم مما قاساه الايغومانس ابراهيم لوقا فى صحته من آلام وسقام يقدر مالاقى فى خدمته ورعايته من نجاح وانتاج وتوفيق وتقدّم ، ففى أثناء فترة مرضه التى امتدت حوالى خمسة أعوام من عام ١٩٣٤ – ١٩٣٩ رأى أن حى ألماظة الذى كان يسكنه العاملون بشركة مصر الجديدة خاليامن الكنائس ، فكوّن جمعية لتقوم بالخدمة فى ألماظة ، وطلب من شركة مصر الجديدة التبرع بقطعة أرض لبناء كنيسة عليها هناك ، واستجابت الشركة ووضع غبطة الأنبا يؤانس البطريرك الأسبق الحجر الأساسى للكنيسة بتاريخ ١١ يونيو ١٩٣٨ ، ثم استلم شعب ألماظة القبطى هذا المشروع ، وبمساعدة مجلس كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة وغيرة أفراد الشعب وسخائهم تم تنفيذ هذه الكنيسة .

كنيسة منشية البكرى

وقيضت نعمة الله من يعزم على إنشاء كنيسة منشية البكرى ، إذ تبرعت السيدة الفاضلة المرحومه حرم المرحوم ميخائيل فلتس بقطعة أرض تملكها بموقع حسن بمنشية البكرى فأوقفتها لهذا الغرض ، كما تبرعت بنفقات بناء هذه الكنيسة ...

إلا أنها أنتقلت إلى السماء قبل البدء فى تنفيذ الكنيسة ، ولما لم توفّق البطريركية

فى الحصول على تصريح البناء بهذا الموقع ، تم بيع قطعة الأرض واستخدم ثمنها فى بناء كنيسة منشية البكرى الحالية .

كنيسة سراى القبة

وعمل الايغومانس ابراهيم لوقا أيضا على إقامة كنيسة أخرى بسراى القبة وتكونت لها لجنة خاصة قامت بشراء أرض بميدان الطاهرة إلا أنه لم يمكن أيضا الحصول على ترخيص ببنائها .

كنيسة مارجرجس بمصر الجديدة

فى ١٥ مايو ١٩٤٦ حصل الايغومانس ابراهيم لوقا على قطعة أرض مساحتها ١٥٦٤ متراً مربعا من شركة مصر الجديدة لتخصيصها لبناء كنيسة أخرى بمصر الجديدة مع بعض المنشآت الدينية ، وقد طلبت الشركة استبدال قطعة الأرض بقطعة أخرى تقع على ميدان عظيم وكبير ، وكان قداسته على وشك استلام القطعة الجديدة قبيل انتقاله .

وهذه الأرض هى التى بنيت عليها كنيسة مارجرجس بمصر الجديدة ، حيث شكّلت لها لجنة خاصة للقيام ببنائها .

البرنامج الانشائى للكنيسة

كان الايغومانس ابراهيم لوقا رجلا واسع الفكر ، متقد الذهن ، قوى الروح ، ثابت العزم ، فاتخذ لنفسه مركز القيادة فى سبيل النهضة بالكنيسة العامة ، عاملاً جهد طاقته فى سبيل الاصلاح الشامل للامة القبطية حتى تتبوأ المركز اللائق بها ، ومع أن ذلك كان يستنفد الجزء الأكبر من تفكيره وجهاده ، إلا أنه لم يترك العمل بكنيسته بمصر الجديدة بل خصّه بجزء من ثاقب فكره وعظيم مجهوده .

لقد أراد أن تقدّم كنيسته نموذجا عظيما فى شتى نواحى الخدمة الدينية والاجتماعية حتى تحتذى بها سائر الكنائس القبطية فتأخذ مكانها الجدير بها بين الكنائس الأخرى .

وفى أول عام ١٩٤٨ كان الايغومانس ابراهيم لوقا قد أعد برنامجا إنشائيا لكنيسة مصر الجديدة ، وأعلن هذا البرنامج على منبر الكنيسة ليلة عيد الميلاد فى تلك السنة ...

ويشمل هذا البرنامج :

١ – إتمام الكنيسة ومشروع نقشها بما يكفل روعتها وبهاءها.

٢ – إنشاء قاعة للاجتماعات وصالة للاحتفالات .

٣ – إنشاء نادى للشباب .

٤ – إقامة مستوصف لعلاج الفقراء مجاناً .

٥ – إنشاء مدرسة ابتدائية .

٦ – بناء مدرسة أولية تنتقل اليها المدرسة الملحقة بالكنيسة .

وقد وفقه الله فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٨ إلى شراء الفيلا الملاصقة للكنيسة ٦٢ شارع بيروت ومساحتها ١٥٨٨ مترا مربعا ، وبفضل جهوده ومساعيه الجليلة أمكن أن تساهم شركة مصر الجديدة بتخفيض ثمن هذه الفيلا من ١٢٠٠٠ جنيها إلى ٧١٩٠ جنيها .

وفى ٣٠ مارس ١٩٥٠ كانت التصميمات الهندسية قد تمت لاقامة مبانى النادى وقاعة الاجتماعات والمدرسة والمكتبة واعتمدت من شركة مصر الجديدة .

وهذا هو الموقع الذى أقيمت فيه القاعة التى تحمل اسمه تخليدا لذكراه .

النشاط الاجتماعى والثقافى

كان الايغومانس ابراهيم لوقا رائداً فى خدماته التى قام بها بكنيسة مصر الجديدة اخذت عنها الكنائس الاخرى ... وان كانت تلك الخدمات ينظر اليها اليوم بشكل عادى إلا أنها فى تاريخ إنشائها كانت شيئا غريباً .

ولقد كوّن الايغومانس ابراهيم لوقا عدة جماعات لتقوم بالنشاط الاجتماعى بالكنيسة ، وبعث فيهم روحا من روحه ونشاطا من نشاطه ، وأشعرهم جميعا بما عليهم من مسئوليات وتبعات نحو كنيستهم ، ودفعهم الى العمل المثمر المنتج ، وطبعهم بما يلزم للخادم من طبع ، وأعطاهم مثلا ناطقا فى المشورة الصالحة ، إذ كثيراً ماكان يسعى إليهم لأخذ مشورتهم ... لذلك أخذت هذه الجماعات تثمر وتزدهر حتى باتت الكنيسة خلية يعمل الكثيرون فى أنشطتها بروح الجماعة الرائدة .

صندوق الخير والرحمة

انشأ الايغومانس ابراهيم لوقا هذا الصندوق عام ١٩٣٠ لمساعدة الطلبة الجامعيين الذين تقصر مواردهم عن اتمام دراستهم ولمساعدة العائلات المستورة التى أخنى عليها الدهر ، ولا تستطيع أن تمد يدها طالبة العون والمساعدة ...

وانحصرت إيرادات هذا الصندوق فى التبرعات وجزء من عطايا الخدمات التى كان يقوم بها ويقدّم عنها ايصالات من هذا الصندوق ... وكم من المرّات كان يذهب الى حوارى وأزقة تتعثر فيها سيارته ليقدم لعائلة منكوبة عطية الله السخية تسبقها ابتسامة عطف وحنّية ، بل وكم صعد — وهو يقاسى آلام المرض سلالم لعمارات فخمة عالية ليقدّم هذه المساعدات لعائلات كريمة مستورة وجدت فى الايغومانس ابراهيم لوقا أبا ينسيها مرارة الألم وقسوة الحاجة .

كم كان هذا العمل خدمة كبيرة لأخوة اعزاء لم يكونوا يستطيعون أن يصلوا إلى حلّ لمشكلاتهم المادية من غير هذا الطريق .

جماعة السيدات

تكونت هذه الجماعة من السيدات والآنسات الفضليات لاعداد وصيانة مايلزم للكنيسة من ستور وملابس للخدمة ، ولملاحظة النظام فى الكنيسة وتدبير ما يلزم لنظافتها ولم يكن ممكنا فى أى وقت من الأوقات إلا أن ترى الكنيسة فى غاية النظافة والتنسيق ... وكنا نرى الكثيرات من السيدات والآنسات الفضليات يقمن بأعمال النظافة — حتى نظافة الأرض — بأنفسهن .

كما كانت هذه الجماعة تقوم بتوزيع مرتبات شهرية لبعض العائلات الفقيرة ، وبالاشراف اجتماعيا على الأولاد الذين يتعلمون فى مدرسة مارمرقس الأولية ، وكذلك تعليم البنات أصول التطريز والخياطة .

مدرسة مارمرقس الأولية

اهتم القمص ابراهيم لوقا بتعليم أولاد الفقراء تعليما أولياً بجانب التعليم الدينى فأنشأ مدرسة مارمرقس الأولية المجانية عام ١٩٤٢ لتضم أولاد المسيحيين الفقراء وتعليمهم تعليما أوليا مجانيا ، ولكى تبث فيهم الروح والتعاليم المسيحية وقد بلغ عدد تلاميذ المدرسة ١٢٥ طفلا فى عام ١٩٥٠ .

وليمة أخوة يسوع

وفى عام ١٩٤٨ وجّه الايغومانس ابراهيم لوقا الدعوة لبعض العائلات المسيحية بمصر الجديدة لتقديم وجبة غذاء لأطفال مدرسة مارمرقس الأولية ، فلبوا دعوته ، وأقيمت وليمة أخوة يسوع يوميا ، وبلغ عدد الوجبات التى قدّمت خلال ذلك العام ٨٣٠٩ وجبة ، وإزاء هذا النجاح نفّذت هذه الفكرة فى عام ١٩٤٩ على نطاق أوسع وبنظام أتم ، وصارت تقدّم وجبتان للأطفال يوميا ... ظهرا لأبناء المدرسة ، ومساء لأطفال المدرسة منضما إليهم أولاد فقراء حى العمال الذين كانوا يحضرون لأخذ قسط من التعليم أيضا ، فبلغ عدد الوجبات ٢٩٩٧٨ وجبة قدمت فى عام ١٩٤٩ ، وفى عام ١٩٥٠ تضاعف عدد الوجبات ووصل إلى ٧٤٩٥٣ وجبة .

وهكذا بارك الله فى هذه الوليمة كما بارك فى وليمة الخمس خبزات .

مكتبة مدارس الأحد

وحتى يكفل لبناته وابنائه مايعينهم على زيادة ثقافتهم الروحية والثقافية والأولية والاجتماعية عمل على تكوين مكتبة ، وحث الاقباط على تزويدها بالكتب المناسبة ، وقد بلغ عدد الكتب التى احتوتها المكتبة أكثر من ألفى كتاب فى عام ١٩٥٠ استخدمت فى الاطلاع الداخلى والاستعارة الخارجية .

رحمة مدارس الأحد

لم ينس الايغومانس ابراهيم لوقا أن يربى أبناء مدارس الأحد على مد يد المساعدة والعون لأخوتهم الفقراء ، فعمل على جمع بعض المساعدات البسيطة منهم ليقوموا هم بأنفسهم بتوزيعها على الفقراء والمحتاجين فى المواسم والأعياد ، وقد بلغ مجموع من شملتهم هذه الرحمة ٦٨٧ فقيراً عام ١٩٥٠ .

خدمة حى العمال

وقد عمل الايغومانس ابراهيم لوقا على نقل الخدمة الى حى العمال ، فرتّب اجتماعات دورية أسبوعية فى بعض بيوت العمال لتلقينهم وأسرهم المبادىء المسيحية القويمة وتثبيتهم فى كنيستهم ... مع تقديم العناية الطبية والأجتماعية لهم ...

وهكذا نجحت الخدمة بين العمال نجاحا كبيرا فى كافة النواحى الروحية والثقافية والصحية .

جماعة الخدمة العامة

تكونت هذه الجماعة لتلقى الشكاوى وفحصها والعمل على حلّها حتى يصل الحق إلى أربابه ، وكان الآب ابراهيم لوقا والدا عطوفا حنونا لكل من يتقدم اليه بمطلب أو احتياج ، يتحامل على نفسه رغم مشغولياته الكثيرة ليقوم بالاتصالات اللازمة مع كبار رجال الدولة ويتابعهم فى سبيل الوصول الى حلول المشاكل الكثيرة التى كان يرفعها اليهم .

والذى يطّلع على مفكرته اليومية كان يجد قسما خاصا قد أفرد فيها لمثل هذه الطلبات والشكاوى ، لكى يتصل تليفونيا أو يقوم بزيارة شخصية لهذا أو ذاك من المسئولين ، حتى تكلل مساعية بالنجاح .

وفى مكتبه بالكنيسة ، وفى بيته الخاص ، بل وفى غرفة نومه أثناء مرضه كان أصحاب الحاجات وطالبى العون والوساطة لاينقطع سعيهم ... كان ذلك فوق مقدور الانسان ، ولكنه كان يخدم بصدق وأمانة .

ولم تكن الخدمات العامة التى يقدمها مقصورة على ابناء كنيسته بمصر الجديدة فقط ، لكنها امتدت الى ابناء الكنيسة العامة فى الايبراشيات المختلفة ، بل كانت رئاسة الكنيسة تطلب منه القيام بالاتصالات بالجهات الرسميةللحصول على مطالب الكنيسة .

الخـدمة الروحـية

نظام العبادة فى الكنيسة

كانت عناية الايغومانس ابراهيم لوقا بترتيب ونظام العبادة فى الكنيسة عناية بالغة ، فقد قام بدراسة كافة طقوس الكنيسة دراسة مستفيضة ، كما قام بدراسة أسباب عزوف الكثيرين عن العبادة فى كنائسنا وذهابهم الى كنائس اخرى رغم صدق عقيدتنا وثباتها على الايمان القديم المسلّم لنا ... ورغبة منه فى أن تقدم الكنيسة لأبنائها عبادة روحية طقسية فى خدماتها رأى أن يعتنى عناية كاملة بنظام وترتيب الخدمة ، وأتخاذ كل مايلزم لتقديم كافة الخدمات الروحية وفق مواعيد منتظمة وبطريقة هادئة تحبّب المصلّى فى الاستمرار فى حضور الخدمات ...

وكم كان محبّبا أن تحضر خدمة القداس بكنيسة مصر الجديدة وأنت تعرف جيداً متى تبدأ ومتى ستنتهى الخدمة ، وأنه لايمكن أن تجد أى تشويش على الصلاة .. ورغبة فى أن يستمتع المصلون بألحان الكنيسة المؤثرة أدخل الأرغن فى العبادة رغم ماأثير حول هذا الموضوع من معارضات رد عليها فى حينها ، كما استخدمت بعض الترانيم الروحية فى فترة التوزيع ... وهكذا ازداد حضور العابدين إلى الكنيسة إزديادا واضحا ومفرحاً .

وهكذا جعل من كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة كنيسة نموذجية من جهة الخدمة ونظافتها وتعدد القداديس بها ، وجعل الوعظ جزءا أساسياً فيها لاتزيد مدته عن عشرين دقيقة ، وأصبح نظام العبادة بها مضرب الأمثال فى الدقة الترتيب .

وفى خدمات العماد كنت تستمع إلى صلوات قداس المياه كاملة وبعدها الصلوات الطقسية للعماد ... وبحق كانت صلوات العماد تشعر الانسان بفرح كبير بانضمام عضو جديد إلى سجل المسيحيين ، وكم كانت مشاعرنا عندما أقيمت هذه الخدمة لأنضمام عائلة يهودية مكونة من تسع وعشرين شخصا الى حظيرة المسيح ونالت نعمة المعمودية فى يوم واحد ... .

أما خدمة الاكليل المبارك فكانت تؤدى بالكنيسة وتأخذ طابعها المفرح المبهج فى هدوء بالغ ونظام تام وروحانية تتفق مع مالهذا السر من مكانة ، ويحلو للعروسين أن يسجدا أمام هيكل الله المقدس ليأخذا البركة ، وكم كنا نراه دامع العين وسط هذه البهجة ولكنه

كان يردد القول « انني أصلي الى الله من أجل هذا البيت الجديد الذى يؤسس بهذا السر » ، ولا نستغرب فإن أكثر من نصف الأكاليل فى القاهرة كانت تعقد بكنيسة مارمرقس بمصر الجديدة .

أما فى الصلاة على المنتقلين فكانت إهتماماته بالغة بخدمة الوعظ بها إلى جانب الصلوات الطقسية ، لأنه كان يجد أن هذه فرص يحضر الى الكنيسة فيها كثيرون من غير المسيحيين للمجاملة ومن الأوفق أن يسمعوا بعضا مما فى المسيحية من كنوز وتعاليم ... فلا يقتصر الكلام على التأبين .

خدمات أسبوع الآلام

كان الايغومانس ابراهيم لوقا يقدّس خدمات اسبوع الآلام تقديسا خاصا لأنه كان يرى ان الانسان يختزن من بركات هذا الأسبوع ما يمكن أن يكفيه للسنة بأسرها ... وكان يعدّ كتيبات خاصة توزع على الشعب لتعينه على الاشتراك فى رفع الصلوات إلى الله وفى عبادته العبادة الحقيقية ...

ونستطيع أن نقول بحق أن خدمة أسبوع الآلام بكنيسة مارمرقس بمصر الجديدة هى الخدمة النموذجية الطقسية العميقة ، وكان قداسته يصدر نبذا ورسائل توزع على المصلّين بهذه المناسبات .

خدمة صوم العذراء

وإذ نذكر الخدمات التى تقدمها كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة من القداسات الالهية اليومية التى تقام من الساعة السادسة الى السابعة والنصف صباحا ، وخدمة رفع بخور العشيه والوعظ والتمجيد والتى بدأها الايغومانس ابراهيم لوقا عام ١٩٤٨ نشكر الله من أجل ما أخذته سائر الكنائس عن هذه الخدمة حتى كادت تعمّها كلها .

الرعـــاية

« والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » . يوحنا ١٠ : ١١

كان الايغومانس ابراهيم لوقا راعيا نموذجيا وكاهنا عالما غيورا أمينا . وكان السر فى ذلك هو طهارة حياته وعفة لسانه ، ونظافة يده وسعة صدره ، وعمق ايمانه وواسع علمه...

كما أظهر مسئولية الكاهن الكبيرة فى رسالة كتبها الى أخوته يقول :

إن مسئولية الكاهن عظيمة وعمله خطير للغاية ، وطوبى لمن يؤدّى خدمته بأمانة ،

ومسكين هو الخادم الذى يخون عهد خدمته لله ... وعمل الخدمة لايقتصر على مجرد القيام بالفرائض والخدمات للكنيسة وإن كان فيه نصيبه من لذّة الخدمة وله أهميته العظمى ، إلا أنه من الخطأ أن ينظر إليه ككل شىء فى حياته وكواجبه الوحيد الذى سيسأل عنه فى اليوم الأخير .

فالكاهن كما ينتظر منه أن يقوم بالخدمة فى الجماعة من تقديس وعماد وصلاة للمرضى وتكليل ، كذلك ينتظر منه أن يعلّم ويعظ ، ويحل مشاكل خصومات ، ويوطّد روح السلام بين نفوس شعبه التى اؤتمن عليها وعنها سيعطى حسابا لراعيها الأعظم الرب يسوع المسيح .

وقد أشارت القوانين المقدسة الى واجب القس من جهة التعليم فى مواضيع عديدة ، فجاء فى الباب الرابع من الدسقولية أن « القسيس معلم » وفى الباب السادس قوله « فليكن القسس عندكم معلمين لمعرفة الله ، واقبلوا أنتم منهم كلام الايمان المستقيم والتعليم الصحيح الذى يبشرونكم به » وجاء فى الباب الرابع والثلاثين « للقسس سلطان واحد هو أن يعلم ويعمد ويقدس ويبارك الشعب » وقوانين اخرى كثيرة غير هذه ومنها القانون القاضى على من يتوانى فى هذا الواجب بالقطع من وظيفته وهو « اسقف أو قس أو شماس يتوانى عن أن يعلم كهنته وشعبه خدمة الله وخوفه فليفرق ، وإذا دام على توانيه فليقطع » . رسطا ٥٣ ورسطب ٥١ ورسطج ٢٧ و ٣٦ .

والقيام بهذا الواجب بأمانة يعوزه أموراً كثيرة ، ومن بين هذه الأمور وضع نظام للحياة يساعد الخادم على تنظيم أفكاره وترتيب أوقاته بما يمكّنه من تأدية ذلك الواجب الخطير ، وللنظام فى الحياة علاقة كبرى بنجاح الخادم فى عمله وتسهيل القيام بمسئوليته العظمى .

نجاح الخدمة

ولكى ينجح الكاهن فى رعايته وخدمته ينبغى أن يتعلّم جيداً أركان حياته وكيف ينبغى أن يسير فيها ، فأن للخادم حياتان .. حياة المسئول عن نفسه وحياة المسئول عمن وضعهم الله تحت رعايته ... ويسترسل القمص ابراهيم لوقا حديثه فيقول :

ونرى الرسول بولس يقول للأساقفة فى خطبته فى ميليتس « احترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » لهذا نجد حياة الخادم تتضمن جهادين ... جهاد من أجل النفس وجهاد من أجل الآخرين ، وأساس جهاده عن نفس عبادته ومصارعته مع الله طلبا للقوة ، وجهاده عن الآخرين يستلزم أولا استعدادا وثانيا خدمة وسعياً ، ومن هذا وذاك تتكوّن حياته وفي هذا وذاك يحتاج لتنظيم أموره ... وفيما يلى أهم مايتعلق بنظم الحياة الخادمة .

عبادة الخادم

وللتبكير فى العبادة بركة خاصة ، والذين يستيقظون باكرا بنشاط للانفراد بالله فى العبادة يكون لعبادتهم روح حار وشعور بحاسيات التعبد بما لاتشعر به النفس التى تقترب الى عرش الله بعد الافراط فى النوم والاستسلام لروح التراخى والكسل ، وعلى قدرما تبكر النفس بالصلاة على قدر ماتشعر فيها باللذة ونوال البركة ، وعلى قدر ماتتقدم إليها متأخرة على قدر ماتكون روحها منطفئة ولذتها ضعيفة وفائدتها ضائعة ... والصلاة المبكرة تحفظ لليوم بركته وتشعر النفس بسعة فى الوقت ونشاط فى العمل ، وتؤدى فيه الواجبات بلا إرتباك ولا إرهاق .

والصلاة المبكرة تقتضى أمرين ... أولهما الاستيقاظ الباكر ، وثانيهما عدم الانشغال بشىء عند الاستيقاظ قبل الصلاة ، لابحديث ولا بعمل .. ومسيحنا مثال للخادم فى هذا الأمر إذ يقول عنه الكتاب أنه فى صلاته كان مبكرا « وفى الصباح باكرا جدا قام وخرج الى منطقة خلاء وكان يصلى هناك » مرقس ١ : ٣٥ .. وحسن للخادم أن يجعل شعاره فى هذا قول المرنم « ياالله إلهى أنت اليك أبكر » مزمور ٦٢ : ١ .

وأركان العبادة الفردية صلاة وتسبيح ودرس لكلمة الله ... والمفروض أن كل خادم يصلى ، وكل خادم يفهم ماهى الصلاة ، وأن الخادم الذى لايصلى هو ليس فقط بعيداً عن حياة الخدمة الحقيقية ، ولكن بعيد عن الحياة المسيحية نفسها ، وهو لايستحق لقب خادم ولا مسيحى ... والتسبيح له أهمية فى العبادة ، ولو لم يكن كذلك لما أوصى الكتاب المؤمنين قائلا : « لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل كلمة معلّمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغان روحية بنعمة مترنمين فى قلوبكم للرب » كولوسى ٣ : ١٦ ، أما الاختبار فقد علمنا أن اقتران الصلاة بالتسبيح ينعش روحها ويقضى على كل فتور يحارب به الشيطان النفس عند اقدامها على الصلاة ، ويساعد على المثابرة على الصلاة أكثر ..

واذا كان كل عابد لله لايقرن صلاته بدرس كلمة الله فعبادته تكون ناقصة ، وكل مؤمن فى حاجة عظمى ليلهج فى ناموس الرب وكلمته .. وطبيعى أن يكون الخادم أحوج من غيره لهذه الرياضة الروحية ... والرسول يوصى المؤمنين عموما بأن يواظبوا على درس الكلمة « وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله » افسس ٦ : ١٧ ، « والمرنم يطوّب الرجل الذى » فى ناموس الرب يلهج نهارا وليلا « مزمور ١ : ٢ ويتغنّى بذكر تلك الكلمة فى موضع آخر قائلا : « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » مزمور ١١٩ : ١٠٥ فكلمة الله لازمة لكل من يطلب حياة النصرة والظفر ، وأن كانت هى كذلك للمؤمنين جميعا فانها للخدام ألزم وحاجتهم إليها أقوى ، فهى لازمة لخلاص أنفسهم ، ولازمة لهم لنجاح خدمتهم على حد قول الرسول بولس لتلميذه

تيموثاوس « الى أن أجىء اعكف على القراءة والوعظ والتعليم ... لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لأنك اذا فعلت هذا تخلّص نفسك والذين يسمعونك ايضا » تيموثاوس الأولى ٤ : ١٣و ١٦ ففى كلمة الله يعرف الخادم كيف يخدم إلهه بأمانة وكيف ينجح فى خدمته ، وكلمة الله هى الذخيرة التى فيها يحصل على مادة الوعظ والتعليم ، وبالاجمال فعلى قدر مايكون الخادم نشطا فى درسه لكلمة الله على قدر ماتزداد حياته استعدادا لخدمته ونجاحا فيها .

ولعلنا نشير هنا إلى أن سرّ نجاح القمص ابراهيم لوقا فى رعايته أنه منذ عام ١٩٢٦ قد درس العهد القديم سبعا وعشرون مرة والعهد الجديد ثلاثا وأربعين مرة ، أما سفر المزامير فقد درسه مائة وأربعة وسبعون مرة ، كما ذكر فى نسخة الكتاب المقدس الخاصة به ، واذا كان له هذا الكنز العظيم فلا عجب ان تتدفق انهار كلمة الله من قلبه مسطّرة بخدمته ، معلّقة بلسانه ، ظاهرة فى شخصيته وخدمته ، ونشير ايضا الى فترة العبادة الصباحية التى كان يكرسها للرب ، وكانت تشمل الصلاة ، دراسة الكتاب ، قراءات روحية ، تأليف مع تسبيح ...

خدمة الصلاة

كان الايغومانس ابراهيم لوقا كاهنا مصليا ... وما أحوج الكنيسة الى الكهنة المصلّين ... فمع أنه لم يوهب الصوت الموسيقى المرتفع لكنه كان كلما وجد أمام مذبح الله يقف مصليا بروحه حتى ان الكنيسة كلها كانت تقف وراءه رافعة الصلوات أمام الله بقلوب خاشعة متهللة .. لقد كان يصلى بقلبه وروحه ، بصوت هادىء حنون يسكب نفسه فى كلمات ، ويعصر قلبه فى تضرعات ، لا تعرف صلواته إلا معنى الانسكاب أمام الله الذى يستجيب الصلوات .

الوعظ والتعليم

وكان كاهنا واعظا معلماً ومرشداً ... كانت عظته لاتستغرق أكثر من عشرين دقيقة ، ولكنها كانت تحمل تأملات ومعان وتعاليم كثيرة ، فى غير تكرار مما يسبب للسامع تشتت الفكر أو الملل ... ومع ثقته فى موهبته وقوة موقفه وثباته كان وديعا متواضعاً لايصعد الى المنبر دون أن يكون قد استعدّ للمنبر استعدادا كافيا ، ثم يخشع مصليا أمام مذبح الله طالبا ان تكون الكلمة من فوق لا من عنده هو ، وأن يفتح قلوب السامعين لتتقبل الكلمة وتأتى بثمرها ...

الاستعداد للمنبر

يشدّد الرسول بولس فى ختام رسالته الثانية الى تلمبذه تيموثاوس على الوعظ والتعليم ويوصى قائلا : « أنا أناشدك أذن أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته .. اكرز بالكلمة ، اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب ، وبّخ ، انتهر ، عظ ، بكل أناة وتعليم ... وأما أنت فاصح فى كل شىء ، احتمل المشقات ، اعمل عمل المبشر ، تمّم خدمتك » تيموثاوس الثانية ٤ : ١ — ٥ ، ويكتب القمص ابراهيم لوقا فى رسائله الى اخوته الكهنة عن هذا الأمر ...

وعندما نتكلم عن واجب التعليم فى حياة الكاهن فنحن نتكلم عن أمر خطير ، فالتعليم ليس من الأمور الهيّنة ولكنه عمل عظيم ، إننا لاننكر أنه يمكن لكل انسان ان يعلم ، ويعلم بسهولة ، هذا إذا نظر الى التعليم كمجرد وظيفة تؤدى ، ولكن الذين يريدون أن يعلّموا تعليما صحيحا ، الذين يريدون أن ينوا حياة الآخرين بتعليمهم ، الذين يريدون أن ينتشل تعليمهم نفوسا غارقة وبتعليمهم يساعدون على تخليص الوسط الذى يعيشون فيه من مفاسد العالم وغشّه وانحطاطه ، الذين يرغبون فى هذا النوع من التعليم يعلمون أنهم يقومون بواجب خطير وعظيم ... والعمل العظيم يحتاج لاستعداد عظيم وهو استعداد مزدوج ... استعداد فى القلب واستعداد فى الذهن .

أما الاستعداد القلبى فطريقه سكب النفس أمام الله قبل الشروع فى تجهيز الرسالة التى يريد الخادم أن يعظ بها شعبه ... توجد رسالة من السماء وتوجد رسالة من الأرض ... رسالة السماء تخترق أعماق النفس وتميّز أفكار القلب ونياته ... ورسالة الأرض هى أشبه شىء بالنحاس الذى يطنّ والصنج الذى يرنّ بلا فائدة ولا جدوى ، وكم أصوات تصعد من المنابر لايمس شىء منها قلوب السامعين ... رسالة السماء تنحدر من السماء الى القلب ، ومن القلب تصدر والى القلوب تدخل فتعمل عملها العظيم ، ورسالة الأرض من الأرض تنبع ومن الفم تصدر والى الهواء تطير ... وإذن فإن كنا نريد رسائل حية فلنفتح قلوبنا أولا لتنحدر فيها رسائل السماء ، وهذا أنما يتم بالصلاة .

أنه من النافع للخادم أن يفكر فى موضوعه ، ولكنه أمر أنفع وأهم أن يصلى أولا لأجل تجهيز الرسالة التى يريد أن يبلّغها لشعبه ، فمن الممكن أن نعظ وعظا مؤثراً دون أن نجد وقتا للتفكير ، ولكنه من المستحيل علينا أن نجد للكلمة التى تخرج من أفواهنا قوّة ونحن لانستمدّ لها معونة من الأعالى أولا ، طالما كان فى مقدورنا وطاقتنا أن نفعل ذلك .

وقليلون من الكهنة الخدام الذين يستعدّون لوعظهم بصلاتهم ، ولذلك فقليل جدا من عظاتهم ماله تأثير نافع فى الذين يسمعون ... ومسيحنا قد أوصى تلاميذه بألا يخرجوا

الى خدمتهم إلا بعد أن يلبسوا قوة من الأعالى ، وكل خادم يطأ المنبر وهو لم يفتح قلبه لنوال القوة قبل أن يجهّز رسالته انما هو يخدم خدمة باطلة بلا جدوى .

ويأتى بعد الاستعداد القلبى الاستعداد الفكرى ... والمقصود بذلك أن يذخر الخادم الرسالة التى يريد نقلها للآخرين فى ذهنه قبل أن يقف على منبره .

وكثيرون يهملون هذا الأمر ارتكازا على قوة ذاكرتهم وكثرة مادتهم ... أو لأنهم يظنون أن هذه الطريقة مضادة لروح الايمان ، وفاتهم أن الايمان هو عطية الله ، وأن الله يقسّم هذه العطية على أولاده على قدر مايرى فيهم من الاستعداد كل حسب طاقته « فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة لكل حسب طاقته » متى ٢٥ : ١٥ وأنه من الخطأ أن يرتئى الانسان فى نفسه فوق القدر الذى منحه الله له من الايمان « فإنى أقول بالنعمة المعطاة لى لكل من هو بينكم أن لا يرتئى فوق مايبغى أن يرتئى ، بل يرتئى الى التعقّل كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الايمان » رومية ١٢ : ٣ فلسنا كلنا بطرس أو بولس فينا من الاستعداد مايؤهّلنا لأن لانحتاج لاستعداد فكرى فى وعظنا ... ولو كنا جميعا لنا من الايمان ما كان للرسل من قبلنا لصح القول بأن نظرية الاستعداد الفكرى هى ضد الايمان المسيحى ، أما وأنه ليس الجميع قد أعطوا هذا القدر المناسب من الايمان فلا معنى أبدا للاستعفاء من الاهتمام بتجهيز العظات قبل النطق بها .

أن معظم الذين يترفّعون عن الاستعداد فى عظاتهم انما ينشأ ترفعهم عن كسل أو ارتئى ، ولذلك هم يفشلون فى عظاتهم التى يقدمونها على غير استعداد مما ينفّر السامعين ، وليس هذا من الأمانة فى الخدمة والشعور الحقيقى بالمسئولية .

هذا ولاننسى أننا نجنى من طريقة الاستعداد فى الوعظ قبل إلقائه عدا فائدة تقوية الرسالة بما يجعلها نافعة للسامعين فوائد أخرى ، وهى الاحتفاظ بالمواضيع التى نؤلّفها بما يوفّر علينا تعب التفكير فيها اذا مارغبنا فى الكرازة بها فى مجال آخر غير الذى ألقيناها به ، ثم اعانتنا على تحديد الوقت الذى تستغرقه الرسالة حتى لانضطر بعد وقوفنا للوعظ أن نقضى فى الكلام وقتا يطول بالسامعين حتى الملل والسآمة .

على أن الاستعداد الفكرى يحتاج للاحتراس فى نقطتين ... الأولى ألا نفرّط فى الاعتماد على طريقة التحضير للدرجة التى بها لانستطيع أن نتكلم أن لم نجد وقتا للاستعداد قبل الكلام ، كثيرا ماندعى للكلام على غير انتظار أو سابق وعد ، فإن لم نكن قد عوّدنا أنفسنا على الكلام أحيانا بلا استعداد فإننا سنقف موقف الفشل الذى يخجلنا ويضعف مركزنا فعلينا أن نمارس الأمرين ... ان نستعد طالما لنا فرصة الاستعداد للوعظ قبل القائه ، وألا نحجم عن الكلام على غير استعداد طالما لاتتاح لنا الفرصة للتحضير ، أو بالاحرى لانرتئى ونجرّب الرب إلهنا ، ولكن أيضا لانكون ضعاف الايمان فى قوة الروح القدس على ارشادانا فى وقت الحاجة للارشاد .

أما النقطة الثانية فهى ان لانكون فى استعدادنا معتمدين على تفكيرنا واستعدادنا

الشخصى ، ولكن على نعمة الله ، فنسكب أنفسنا وقت التحضير أمام عرش الله مستمدّين نعمة الارشاد منه ، فنأخذ مما له لاَمما لنا لنعطى الآخرين رسائل حيّة مصدرها السماء ، لارسائل ميتة وضعتها أفكارنا السقيمة .

كما أنه يجب علينا فى إستعدادنا ألا نعتمد على تأليف سوانا وعظاتهم ولكن على كلمة الله والصلاة ، ذاكرين ان الوعظ هو اختبار قبل كل شىء ، والرسالة التى تبنى على إختبار آخرين لا على أختبارنا الشخصى تكون رسالة جافة عديمة النفع ، ونكون نحن فيها كالببغاء نلقيها بلا شعور حقيقى يجعل للكلمة القوة المطلقة للتأثير فى قلوب السامعين .

ولكى تكون لنا فى نفوسنا ذخيرة كافية تعيننا على تحضير المواضيع المطلوبة دون أن نستعين بمواعظ الآخرين يجب علينا أن نواظب بلا أنقطاع على التلاوة فى كلمة الله والدرس المستمر فيها فهو أعظم ذخيرة لامتلاء القلب والذهن معا بالرسائل الحيّة التى تفيد السامعين وتبنى حياتهم وتعزّى أنفسهم .

وكذلك الاكثار من قراءة الكتب الروحية والمؤلفات التقوية فإنها تنبّه الذهن الى نقط نافعة فى الوعظ وتترك فيه من المعلومات مايساعد كثيرا فى وقت التفكير فى العظات التى نريد أن نلقيها على الشعب الذى نقوم برعايته وخدمته .

وعلينا أن نحرص على تدوين كل مايخطر على بالنا من الأفكار أو النقاط أثناء قراءتنا والاحتفاظ بها ، حتى عندما نرغب فى تجهيز أى عظة نجد فى الملاحظات التى قد دوّناها فى أوقات متفرقة مايساعدنا على الاستعداد فيها دون عناء .

وكذلك إذا ما صادفتنا آية أو قصة نشعر بأنها تحمل تعليما نافعا نأخذ عنها مذكرة حتى بالرجوع الى هذه المذكرة نعفى أنفسنا من التعب الذى نتعرض له أحيانا عند الرغبة فى تعيين موضوع الوعظ .

وكخدّام فى الكنيسة القبطية كثيرا مايتعيّن علينا أن نتكلم فى مواضيع ولاسيما فى أيام المواسم والأعياد .

فأذا ماعنينا بالاكثار من قراءة كلمة الله والمؤلفات الروحية والحرص على تدوين خطرات أفكارنا والاحتفاظ بها ، نجد أن تحضير المواضيع من الأمور التى لاتحتاج لعناء أو اجهاد ، وفى الوقت نفسه نستطيع أن نجعل عظتنا مفيدة ، لا تحدث فى نفوس السامعين مللاً لامن جهة الكلام ولا من جهة الوعظ .

وهكذا فإن من يستعد لمنبره استعدادا قلبيا ثم استعدادا فكريا على نحو ماذكرنا تكون له خدمة الوعظ خدمة ملذّة ولشعبه خدمة مثمرة نافعة .

وينبغى أن نزيد هنا الى أن الخادم فى خدمته الوعظية لايحتاج أن يمهّد استعداده فى مواضيع وعظه بالصلاة فقط ، ولكن أيضا أن يتقدم أمام عرش الله بالصلاة قبل أن يتقدم للمنبر للكلام ... أن مهمة الوعظ ليست كمهمة الخطابة التى يرمى بها الى التأثير على الفكر وهذا لايحتاج إلا الى البلاغة الفكرية واللفظية ، أما الوعظ فغايته التأثير

فى القلوب والضمائر ، وهذه لا تمسّها الانعمة الله القدير ... فإن لم تصحب عظتنا مسحة النعمة فباطلا نعظ وعبثا نحاول البركة للسامعين ، والنعمة المرافقة ننالها عن طريق الصراع مع الله للحصول عليها .

إذن فالكاهن الذى يروم نجاحا فى عظاته عليه أن يستعد للوعظ بالصلاة ، وعلى الصلاة يضع اعتماده الأساسى ليعطه الله كلمة ، وليفتح قلوب السامعين لها .

وليكن للخادم فكر مستيقظ على الدوام يبحث به عن حاجات الشعب الذى يعظه حتى تكون رسائله نافعة ذات ثمر حقيقى وتعمل على معالجة أمراض الشعب المتنوعة ... وليصوّب اهتمامه الأول الى الضرب على الأمراض المتسلطة على الجموع والتى يخشى من أضرارها على حياة المؤمنين الروحية ، وليكن فى ذلك شجاعا جريئا لايحابى الوجوه موّبخا ومنتهرا بكل سلطان .

وفى الوقت نفسه يجب عليه أن يسير على مبدأ الرسول القائل « كتبت إليكم بكلمات قليلة واعظا » بطرس الأولى ٥ : ١٢ ، فليس التطويل فى الوعظ من المستحب دائماً ، بل على العكس فان الأختصار الذى لايخلّ قد يلزم لنجاح الخدمة فى كثير من الظروف .

ومن النافع ألا يستأثر الكاهن بمنبره بل على قدر الامكان يعطى فرصة لسواه ممن يثق فى تقواهم واستعدادهم للوعظ ، فإن فى هذا تغييراً للصوت وفرصة للانتفاع باختبارات الآخرين .

كان هدف الايغومانس ابراهيم لوقا من الوعظ محدداً ... خلاص النفوس ... فجاءت كلماته صادرة عن عقيدة راسخة ونفس راغبة فى الوصول الى الهدف ... لقد سكب قلبه فى كلماته فخيّل للسامعين أنه يذوب على منبر الوعظ ، فتلقوا كلماته بشوق ولذّة وأخذوها فى إيمان ويقين ، ولذلك أثّرت عظاته فى القلوب وأثمرت ...

ولم يسمعه أحد مازحا هازراً ، ولم يكن منبره مسرحاً تلقى منه الفكاهات أو النكات ذلك لأن الوعظ الروحى ينسج على منوال معلّمه يسوع ، يأخذ من لدنه ، ويسير وفق خطواته ...

ولم يكن المنبر عنده يوما مكانا للمهاترة أو للنيل من أعراض الآخرين ، وإنما كان منبره دائما منبراً مقدسا ، لأنه مستمدّ من تعاليم وقدوة الرب يسوع .

كم كان جريئا فى الحق يعلنه على رؤوس الأشهاد ، لايعبأ بوعد أو وعيد ، يعلن الحق للكبير كما للصغير ، ولا يرعى فى إعلانه للحق إلا ضميره مردداً قول السيد « من أجل هذا قد ولدت لأشهد للحق » .

ولقد وجدت بمكتبته جميع نقاط عظاته التى ألقاها والتى أعدها أيضا وتواريخ وأمكنة إلقائها ... وجدت جملة وتفصيلا مرتبة ترتيبا دقيقا ... وهى ذخيرة كبرى للأجيال ... وقد أمكن إحصاء هذه العظات فوجدت ١٤٦٢ عظة .

موعـد العظـة

أما عن موعد العظات ... فقد أخذ الايغومانس ابراهيم لوقا عن المتنيح الأنبا مكاريوس البطريرك الأسبق أن يكون موعد العظات أيام الجمعة كما فى القداس الأول أيام الآحاد خلال فترة التوزيع ، حتى تصل الكلمة الى أكبر عدد من المصلّين ، خاصة وقد انتفى الغرض الذى من أجله كانت الكنيسة تخصص للوعظ موعدا بعد انجيل القداس ، إذ كان لزاما أن تصل الكلمة الى جمهور الموعوظين الذين كانوا ينصرفون من الكنيسة قبل بدء قداس المؤمنين الذين لم يكن مصرّحا لهم حضوره ، وقد أخذت كنائس كثيرة عن ذلك فى مصر كما فى بلاد المهجر ، ووافق على ذلك الآباء البطاركة باباوات الكنيسة المتعاقبون من وقت الانبا كيرلس الخامس وحتى الآن .

اب الاعتراف

كان الايغومانس ابراهيم لوقا أبا للاعتراف ... والكنيسة تعطى لسر الاعتراف أهمية كبرى ، فهى تعرّفه بأنه « طب روحانى نسبته الى الروح نسبة الطب الجسدانى الى الجسد وكما أن الجسدانى لايتم إلا بطبيب خبير ، ثم بقبول المريض مايوصف له ، بإمكان المداومة من جهة الزمان والمكان وإلا فلا فائدة ، فكذلك الروحانى » (مجموع صفوى ٥١ : ١٦) ولذلك فإن الأسقف لايصرح لأى كاهن بممارسة هذا السر إلا إذا أثبت أنه قد تمرس فى خدمته وأظهر أنه قادر على القيام بالتطبيب الروحانى للمعترفين ، وتكون تعليماته وتوجيهاته وإرشاداته لهم مفيدة صالحة (مجموع صفوى ـــ تذييل الباب الحادى والخمسين) .

وكان ابونا ابراهيم لوقا انموذجا رائعا لمن يتقبلون الاعترافات ويرسمون أمام من يلجأون اليه طريق النصرة والنجاة والتخلص من خطاياهم ... كان يتابعهم ويلاحظهم حتى يثبتون فى سيرة صالحة مع يسوع الكرمة الحقيقة .

ونسجل له فى هذا الأمر تقرير العزم الذى كان يطلب من المعترف التائب أن يوقعه ليكون ملتزما أمام نفسه بعدم العودة الى الخطية .

تقـريـر عـزم

أعاهدك ياالله معتمدا على نعمتك بأننى ...

١ - أواظب على الصلاة وقراءة الكتاب المقدس وحضور الكنيسة والاجتماعات الروحية ولاأتخلّف عنها إلا لضرورة .

٢ - أن أتناول من العشاء الربانى بمواظبة ودون انقطاع كعادة الكنيسة الأولى عندما كان المؤمنون يتناولون من الشركة المقدسة كل يوم أحد .

٣ - أن أقدس حق ربى فى وقتى ومالى مجتهدا أن أكون أمينا فى أعطائه حقه الكامل .

٤ - أن أقدس إرادة الله فى حياتى وتصرفاتى ، وأن أحفظ جميع أعضائى طاهرة كمن قدسه المسيح بدمه ، محترسا من كل أنواع النجاسة ، وأن أعيش كجندى صالح مقاوما حتى الدم فى جهادى ضد كل خطية ، وأن أعامل الآخرين كمسيحى حقيقى بروح المحبة واللطف والصفح والمسالمة .

٥ - أن أقوم بواجبى المسيحى من نحو الآخرين ، بالصلاة عنهم للخلاص من الخطية ، وتعزية الحزانى وشفاء المرضى وتخفيف آلام المتضايقين ، والاجتهاد فى إرشاد الضالين ومساعدة المحتاجين .

٦ - أن أعمل من أجل أسرتى فأقدس الصلاة العائلية ، وأقوم بتربية ابنائى فى مخافة الرب ومساعدتهم على الحياة النقية ، وألا أسمح لبيتى بمجاراة التيار العالمى والظهور بما ينافى الروح المسيحية .

وأسألك ياإلهى أن تعيننى بنعمتك على القيام بأمانة هذا العهد .. ليتمجد اسمك فى حياتى ... آمين .

صلاة لتقرير العزم على الحياة مع آلله

أيها الآب البار ، يا من أرسلت ابنك وحيدك الى العالم ، وبذلته فدية عنى ليطهرنى من إثمى بدمه ويقدسنى لمدح مجد نعمتك ... ها أنذا كالابن الشاطر أسجد تحت قدميك قائلا « يا ابتاه أخطأت الى السماء وأمامك ولست مستحقا أن أدعى لك أبنا » ضللت كشاة غبياء ، وظننت أن أحصل على مسرّة لنفسى من الحفر فى الآبار المشققة التى لا تضبط ماء ... ركضت وراء الباطل ، وأفنيت قوتى فى السعى وراء مالايفيد ... وها أنا ياسيدى أعود حاملا خيبتى الى أحضانك الأبدية ملتجئا لمراحمك التى لاتوصف ومختارا إياك نصيبا صالحا ، مشتاقا الى جمالك ، راغبا فى الشبع والارتواء من لذيذ عشرتك ، موقنا أن لا سلام لى بعيدا عنك ، ولا شبع لنفسى إلا فى الالتصاق بك ... معترفا بقساوتى وتمردى ، طالبا الصفح عن خطايا جهالتى ... ففى ظلّ الدم المسفوك أسألك أن تطرح فى بحار النسيان معاصىّ ، وبنعمتك جدد حياتى ... استر وجهك عن خطاياى وأمح كل آثامى ، قلبا نقيا اخلق فىّ يا الله وروحا مستقيما جدده فى أحشائى احسبنى ضمن قطيعك ، وابنا وارثا لأمجادك ...

فيا متحننا أقبل وديعتى ... ويا راعيا صالحا ارتض أن تحملنى أنا الخروف الشارد على منكبيك وتتولى حراستى من الذئاب الخاطفة .

أيها الآب البار ... انى عالم بضعفى وشقاوتى وطياشة عقلى ، ولكنى استودع نفسى لنعمتك القادرة أن تخلص الى التمام ، وبنفس مطمئنة واثقة أسلم نفسى لحمايتك ، عالما بمن آمنت ، وموقنا بأنك قادر أن تحفظ وديعتى الى ذلك اليوم ... فأختم على عهدى

هذا بالبركة ، وضعني من هذه اللحظة في رعاية نعمتك ، لتحفظ دعوتي واختياري ثابتين الى يوم مجيء ابنك الذي يليق بك معه ومع الروح القدس المجد والاكرام الى دهر الدهور آمين .

الزيارات الرعوية

وكان الايغومانس ابراهيم لوقا بحق راعيا حياً .. وعلامات الحياة حركة ونشاط ومثابرة ويقظة ...

رعى رعيته كأحسن ماتكون الرعاية ، يعزى الحزين ويواسى المنكوبين ، يرد الشاردين وينذر الآبقين ، يصلى من أجل التائبين ، يعمل على جمع المتفرقين ، والاصلاح بين المتخاصمين ، وبث روح الحياة بين من كانوا فى الخطية غارقين ، يوقظ النائمين ويعيد الحياة الى كل من كانوا بالذنوب مائتين .. وفى رعايته الساهرة الثائرة لم يسكت عن تأنيب المتهاونين الذين داسوا الهزيل واكلوا السمين ورعوا انفسهم ولم يرعوا الغنم .

من أجل ذلك كان اهتمامه بالغاً بالزيارات الرعوية رغم مهامه الجسام ، وفى أيام الأعياد كان يحرص على أن يقضى وقته فى زيارة العائلات الحزينة المتألمة ، وقد كتب عن أهمية الزيارات فى حياة الخادم الرعوية يقول ...

الزيارات ركن هام من أركان الخدمة ، وهى لاتقل فى أهميتها عن خدمة الوعظ على المنابر ، بل طالما كانت أكثر تأثيراً فى عملها من تأثير الوعظ الجمهورى ، ذلك لأن الكلمة التى تلقى فى الزيارة الخاصة تتقبلها العائلة التى تلقى عليها باهتمام أعظم باعتبار أنها رسالة خاصة لها .

وللزيارات تأثير عظيم فى حث المؤمنين على الاشتراك فى العبادة الجمهورية فى الكنائس ، والخادم الذى لايعرف كيف يفتقد شعبه فى بيوتهم لايستطيع أن يرى وجوههم بمواظبته فى الكنيسة .. واهمال الخادم لهذا الواجب هو السبب الرئيسى لفتور الشعب فى حضور الخدمة بالكنائس .

ولاتقوم أهمية الزيارات فى مجرد تأديتها ولكن فى أن يتم الخادم الغاية منها ، والزيارة التى يقضيها الخادم كما يقضيها الآخرون فى تبادل الأخبار والتسالى والتسامر فى مواضيع خارجة عن حدود مهمته يفضل عنها عدمها .

ان الراعى يفتقد غنمه حتى يطمئن على سلامتها ويعالج مايحتاج للعلاج منها ، الخادم الموكل على رعاية خراف المسيح يقتضى عليه أن يفتقدهم فمن رآه مهملا فى حضور الكنيسة حضه على الاشتراك فى العبادة ، ومن رآه متغافلا عن واجب التناول والدخول فى العهد مع الله نبّه ذهنه الى أهمية هذا الأمر ..

ومما لاريب فيه أن كثيرين قد استفادت حياتهم عن طريق افتقاد الخدّام لهم ، فكسب البعض منهم نشاطا للاشتراك فى العبادة ، وربح الآخرون يقظة للانضمام لشركة العهد المقدّس ، كما أن كثيرين كان يمكن أن يكسبوا هذا وذاك ولكن بسبب اهمال الخدام وعدم قيامهم بواجب الافتقاد لم يحصلوا على ذلك الربح ، وعن هذا الاهمال سيطلب الله الحساب فى اليوم الأخير .

وتعزية الحزانى ومواساة المرضى والمتعبين هى من الواجبات الأساسية فى الحياة المسيحية ، وهوذا الرب قد ذكر الحزانى والمرضى بين الأمور التى سيحاسب عنها فى اليوم الأخير (متى ٢٥ : ٣٦ ، ٤٣) ، وان كان المسيحيون عموما مطالبون بواجب تعزية المتألمين فبالأولى يكون خدّام الرب ، وكما أن كلمة الله مملوءة رسائل للخطاة لارشادهم كذلك هى مملوءة من رسائل التعزية للمتعبين والمرضى وحزانى القلوب .. وعلى خدّام الرب أن يقوموا بتبليغ هذه الرسائل للمحتاجين اليها ، من الخطأ الفاحش أن يهمل خدّام الرب هذه الفرصة الثمينة .

وان كان سماع الوعظ من على المنابر له فائدته التى لاتنكر ، ولكن هذه الفائدة لا تغنى عن التعليم فى البيت لأن الذين نجدهم فى البيت قد لا نجدهم فى الكنيسة ، وعلى ذلك تكون فرصة التعليم فى البيت ضامنة على نوع ما لايصال الرسالة لمن لايستمعون الكلمة بالكنيسة .. كما أن فى البيت يتسع المجال للمناقشة والاستفهام مما يزيد فى الفائدة ..

ومن واجب الراعى الأمين ان يفتقد كل خراف قطيعه بلا استثناء ، ولكن من الواجب عليه أيضا ان يعطى عناية خاصة لمن يحتاجونها أكثر ، ولذلك يحسن به ان يجعل زيارته مرتبه حسب أهميتها .. فالاعضاء الحقيقيين فى كنيسته هم الذين قد أصبحت حياتهم بالتمام مع الله ، يلزم أن يعطيهم النصيب الأوفر من الزيارات باعتبارهم الدعامة التى تقوم عليها كنيسته ، وعلى ثباتها تتعلق حياتها ، وباعتبارهم وديعة فى يده أصبح مطالبا بالاحتفاظ عليهم حتى لايعود الشيطان ويقتنصهم ، فعليه أن يتعهدهم بالتربية الروحية التى تنمى حياتهم حتى يصلوا الى المقياس الكامل الموضوع أمامهم (تسالونيكى الأولى ٢ : ٧ ، ٨) .

والقريبين من الدخول فى العهد مع الله ، الذين قد فعلت فيهم الكلمة وأظهروا الرغبة فى الاندماج فى سلك أولاد الله هؤلاء يحتاجون لمؤازرته حتى يتمّموا الخطوة الأخيرة من عزمهم وينضموا نهائيا لجيش جنود الله .

والمتعبين من الحزانى والمرضى والمتضايقين يجب أن يكونوا أيضا فى عداد من يزورهم ، ثم باقى الشعب هو مسئول أن يضيف منهم أحجارا جديدة فى بناء كنيسته ليتمّم مسئوليته أمام الله و « يحضر كل انسان كاملا فى المسيح يسوع » كولوسى ١ : ٢٨



المعلم ... الخادم ... الأب ...

لقد كان قداسته معلماً تقياً ... تعاليم صافية نقية صادرة عن حياة مليئة بالبر متسمة بالخير ، وكان أساسها تلك القدوة السامية التى رسمها يسوع ، وتلك الصلة القوية بشخصه المبارك ، وعلى قدر صلة المعلم بالعلم نفسه إنما تكون صلة التلميذ بالمعلم ، فإذا انقطعت صلة المعلم بالعلم إنقطعت بالتالى صلة التلميذ بالمعلّم ... ولأنه اتصل بربه اتصل به شعبه ، وهذا هو سر محبتهم له وتعلقهم به .

وكان خادماً وفياً .. وفيا لربه فكان بهذا وفيا للناس ، ومن يستطيع أن يعرف قيمة الوفاء البشرى ما لم يكن أولا وفيا لله ؟

كان وفيا لله منذ يوم وضع نفسه فى يديه يتصرف فيها كما يشاء ، وإذا تسلمها الله جمّلها بالقداسة ، وألبسها ثوب الطهارة ، ودعمها على الايمان ، وحباها بالمحبة ، وأبرزها مكلّلة بالوداعة ...

ثم كان وفيا للناس ... فى الخدمة لايبارى إذ لم يعرف للراحة طعماً ، فعوّضه الله عن التعب الجسمى بالسلام القلبى ... وضع ذاته على مذبح التضحية فأنفق وقته وصحته بل وذاته ، يُنفق ويُنفق ، فشاع وفاؤه حتى كاد أن يكون مضرب الأمثال .

وفى وفائه للكنيسة كرّس جهوده ومواهبه وحياته فجاء بأينع الثمرات ، وأفاض الله عليها الكثير من البركات ... لم تكن خدمته مقصورة على هيئة أو جماعة أو مكان ، لا ينتظر أجراً ولا شكراً أو فخراً .

وكان أباً أبياً ... كان عطوفا فأرضع الرعية ماشاءت من لبن النعمة ، وغذّى البالغين ما استطاعوا أن يغتذوا من دسم الحياة ... فى هذه كلها كان أبىّ النفس ، لايأخذ ولكن يعطى ، وكان شعاره قول دانيال « هب هباتك لنفسك ولتكن عطاياك لغيرى » فما كانت المواهب عنده موضع مساومة ، ولا كانت رعايته محل تجارة ..

هكذا كان الأب الأبى ، فاضت روحه كرما ، وسمت نفسه شمماً ، وأعطى صورة صحيحة للأبوّة الحقة التى تبذل وتضحى الى النفس الأخير .

خدمة الاكليروس

كانت خدمته للاكليروس واضحة فى الارشادات التى كان يكتبها لهم وفى الكلمات التى كانت تلقى إليهم فى اجتماع الكهنة الذى كان يعقد كل يوم سبت ، حيث كان يعمل على زيادة معلوماتهم فى علوم الدين والتفسير والوعظ ، مع شرح واجباتهم للرعية وآداب الخدمة وحقوقها حتى ينال الراعى حظوة واحتراما فى قلوب رعيته .

كانت تلك الاجتماعات تبدأ بخدمة القداس الالهى ، ثم تنتهى حول مائدة المحبة يتناولون افطارهم فى أخوّة بارة وبساطة قلب يتلقون بعض التعاليم ويتناقشون فيما هو واجب

عليهم نحو كنيستهم .

وقد عمل جاهدا من أجل تنظيم العضوية الكنسية وبدأ ذلك بكنيسته ، فهذا مجلد يحوى أسماء وعناوين أقباط مصر الجديدة وذاك سجل للمعمّدين بالكنيسة ... وذلك تسهيلا للكهنة للقيام بواجبهم من نحو رعاية أبنائهم .

كما عمل أيضا من أجل تنظيم رواتب للآباء الكهنة تتناسب مع شرف خدمتهم وحقوق رعايتهم ، مع عمل نظام خاص لمعاشاتهم بجانب الخدمات التى تؤدى لشعبهم .

خدمة القرية ....

اسس القمص ابراهيم لوقا « جماعة النهضة الروحية » لتعنى بالوعظ والتبشير فى القرى ، وأفرد لذلك واعظا متخصصا بهذه الخدمة ... وأنفق على العمل فى القرية الكثير ، من أجل أن يتشارك ساكنوها مع اخوتهم فى المدن معرفة الله ، والسير فى طريق السماء والتقدم فى النعمة .

خدمات المصيف

وأينما ذهب القمص ابراهيم لوقا كان المكان كلّه يتحول الى كنيسة ... ففى المصيف كانت تقام خدمات القداسات الالهية والصلوات المتحدة المسائية ... ثم سرعان مايتحول المصيف الى حلقات دراسات فى الكتاب المقدس وفى أمور الكنيسة .

فعلاوة على صلوات القداسات صباح كل أحد بالكنيسة والخدمات المسائية ، يجتمع المصيّفون مع قداسته كل صباح لتلقى دروس فى الكتاب المقدس والتحدث فى حركات الاصلاح ، وتصبح فرص المصيف فرصا مباركة ومتجة بنعمة الله .

وكانت هذه فرص للاعتراف ويقبل كثيرون من المصيفين على الاستعداد للتناول ، وكان منهم من لم يعترف منذ مدة طويلة تمتد الى أكثر من العشر سنوات دون تقدم للأسرار المقدسة .. مبارك الله الذى يغيّر تفكيرهم ويهديهم الى تجديد العهد مع الله .

وهكذا رأينا هذه الخدمات فى المندرة بالاسكندرية حيث بدأ مصيف أصدقاء الكتاب المقدس ، ثم فى الخاشعة عام ١٩٤٦ حيث استأجر مكانا أقام فيه كنيسة مؤقتة ، وكانت هذه الخدمات المقدسة تضفى على المصيف بركات خاصة ... فلا شىء يجمّل الحياة ويعزّى فيها مثل خدمة الله ، وغير العزاء الروحى مع الله .

ثم تنتقل هذه الخدمات الى أماكن أخرى بفعل المثل الصالح .

معين المجرّبين

ومن أبرز الخدمات التى كان يقدمها الايغومانس ابراهيم لوقا خدمته للمتألمين والمجربين ... لقد كان حقا صديقا للمتألمين ، فلقد اختبر الألم بطريقة لم يعرفها إلا القليل من الناس إذ كان رجل الآلام .

ومن هنا صار لحياته رسالة خاصة هى حبّه للمتألمين ومشاركته لهم ، فهم أصدقاؤه ، متأثرا فى ذلك بسيّده الذى فتح صدره ليضمّ إليه جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، ويوما وجدته فى شدة الألم والضيق وإذ بنفسه ترتاح ويقول « لقد عرفت سبب آلامى ، ان الله يريدنى أن أنجح فى خدمتى لزملائى المتألمين والمجربين إذ اذكر قول الكتاب ...فيما قد تألم مجربا يقدر أن يعين المجربين » وكانت دموعه تمتزج بدموع المتألمين متذكرا الوصية الرسولية « بكاء مع الباكين » .

وقد عمل خادم الله الأمين فى هذا السبيل مالم يشاركه فيه أحد ، لقد وقف فى هذا الميدان الانسانى والمسيحى فريدا فى نوعه وفى رسالته .

كان بيته المفتوح مقصدا للناس من كل مكان ، وكان يقوم بخدمتهم حتى وهو على فراش المرض ، يواسيهم ويفيض بحنانه عليهم .. يبعث برسائل التعزية التى تحمل اكثر من الكلمات الطيبة يجبر خاطر أصحابها ، وكان يزور متى استطاع ولو كان فى أعياء من يحتاجون الى كلمات العزاء ، وكانت له طريقته الخاصة فى الحديث بلسانا للجراح إذ كان طبيبا نفسانيا يستطيع أن يصل الى أعماقهم ويقرأ أفكارهم .. كان ذات يوم فى حالة نفسية مريرة ، وإذ بجرس التليفون يدق فى غرفة نومه .. كان المتحدث خادم دين زميل فى الخدمة يقول له « سيدة فى حالة سيئة للغاية ، زارها كثيرون وزرتها الآن ... حاولنا عبثا أن ندخل العزاء الى قلبها الحزين وإذ بها تقول أريد القمص ابراهيم لوقا .. استدعوه حالاً ... » وإذ برجل الله يتحامل على نفسه ويقوم من على فراشه رغم آلامه القاسية يلبس ثيابه ويسرع ليواسى السيدة المتألمة .. وبارك الله الزيارة ، وعاد يشكر الله لأنه من آلامه استطاع أن يتحدث الى نفس متألمة ويأخذ بيدها .

لقد تألم بمشيئة الله واستثمر الألم بنعمته فى خدمة المتألمين .. ولم ينس ابونا ابراهيم لوقا أن يحرر فى مذكرته اسماء المتألمين الذين كان يجد فى زيارتهم لذة لاتفوقها لذّة وكان يتمثل بسيده الذى جال يصنع خيراً ، وبقديسيه الذين ساروا متتبعين آثاره .

مدارس الأحـــد

كان ابراهيم لوقا يؤمن إيمانا وثيقا برسالة مدارس الأحد ومانؤدّيه الى الكنيسة من خير ، ولذلك كان اهتمامه بالنسبة للصغار بالغا حتى يشبّوا أعضاء نافعين متنصرين ناجحين فى كنيستهم ، فوضع برامج خاصة لهم موزعة على فصولها وقام بطبعها وتوزيعها .. هذا كان عام ١٩٢٨ فى وقت لم تكن مدرسة الأحد تجد فيه الرعاية الواجبة والكافية .. وجهّز من بناته وابنائه من يستطيعون أن يحملوا عبء التدريس ، وكان يجتمع معهم ليعطيهم من خبرته وعلمه ونشاطه ، وكان يوصيهم بالأخذ بيد المتقدمين فى مدارس الأحد يوزعون عليهم الجوائز ... كان يوزّع عليهم المسئوليات ثم يلاحظهم عن بعد فمن نجح فى اداء واجبه قدّمه لخدمة أكبر .. وهذه هى التلمذة الحقيقية ..

ومن هؤلاء التلاميذ أخرج جيلا نافعا للكنيسة استطاع أن يحمل عبء مسئولية الخدمة الى أيامنا هذه .

وقد جاء فى مقدمة الدروس التى سجّلها لأبناء مدارس الأحد تحت عنوان لبن الأطفال .....

أن أفضل دور لوضع أساس الحياة الفضلى هو دور الطفولة ، وان أفضل الناس الذين نشأوا على المبادىء الصالحة ، ورسخت فيهم تلك المبادىء حتى نهاية حياتهم ، إنما هم أولئك الذين عنى بتربيتهم منذ نعومة أظافرهم ، وان ما نراه اليوم من ضعف فى الأخلاق وتفريط فى العقيدة إنما معظمه راجع لأهمال الطفولة وعدم العناية بها ، ولهذا يطلب الرب أن نأتى بالأطفال إليه ليباركهم فى طفولتهم حتى يكونوا مباركين فى مستقبل أيامهم .

وليس شىء أنفع لتربية الأطفال من الكتب المقدسة ، والذين عرفوا الكتب المقدسة منذ الطفولة هم الذين نشأوا رجالا صالحين .

ولما كان عقل الأطفال صغيراً فقد وجب أن يقدّم الكتاب المقدس لهم على حاله من البساطة التى تستوعبها عقولهم ، أن نعطيهم لبناً لاطعاما قوياً .. وهذا هو الغرض من سلسلة الدروس الآتية التى نرجو أن يستعين بها الوالدون ومن يهتمون بتربية الأطفال الدينية على تعليم الأولاد حقائق الكتاب والواجبات المسيحية ، وقد رتبت هذه الدروس بنظام يكفل تدريس حياة رجال الله القديسين فى العهد القديم والجديد فى أربع سنوات وهى مدة الدراسة الابتدائية باعتبار خمسة وعشرون درسا لكل سنة .
ونسأل الله أن يبارك هذا المجهود لخير أولاده الصغار .

ونقدّم فيما يلى نموذجًا من الدروس التى وضعها قداسته :

يوسف ... تعيينه حاكما فى مصر (تكوين ص ٤٠ : ٤١)

١ — خلاصة القصة

لما كان يوسف محبوسا ، كان معه فى السجن رئيس سقاة فرعون ملك مصر ورئيس الخبازين ، وحدث فى ليلة من الليالى أن رئيس السقاة ورئيس الخبازين حلم كل منهما حلما ، فاستيقظا فى الصباح منزعجين من حلميهما ، فرآهما يوسف وسألهما عن سبب انزعاجهما ، فأخبراه عن الحلم الذى حلمه كل منهما ، ففسّر لكل منهما حلمه ، وأخبر رئيس السقاة بأنه سيفرج عنه من السجن بعد ثلاثة أيام ، وأخبر رئيس الخبازين بأنه سيقتل بعد ثلاثة أيام ، وقد حدث ذلك فعلاً .

وعند خروج رئيس السقاة من السجن طلب منه يوسف أن يسترحم له فرعون ليطلقه من الحبس ، ولكن رئيس السقاة نسى ذلك بالمرة وبقى يوسف مسجونا ، وبعد مرور سنتين على هذه الحادثة حلم فرعون الملك حلمين فى ليلة واحدة ، ولما استيقظ فى الصباح كان منزعجا جدا ودعا جميع السحرة والحكماء ، فلم يقدر أحد أن يفسّر له الحلم ، وعند ذلك تذكر رئيس السقاة يوسف وأخبر عنه الملك فرعون ، فأمر الملك بحضوره ، ولما وقف أمامه وسمع الحلم وفسّره للملك وأخبره بأنه ستمرّ على بلاد مصر سبع سنين يكون فيها محصول الغلال وافرا وبعد ذلك تمر سبع سنين أخرى يكون فيها المحصول قليلا جدا ، ونصح يوسف فرعون أن يخزن الغلال فى سبع سنين الشبع حتى يأكلوا منها فى السنين التى سيكون فيها الجوع ، فسرّ فرعون جدا من يوسف وعيّنه وكيلا له وحاكما عاما على بلاد مصر وألبسه خاتما فى يده وثيابا جميلة ، وزوّجه ابنة رئيس الكهنة ، وكان عمره إذ ذاك ثلاثين سنة ، وابتدأت سبع سنين الشبع وخزن يوسف غلالاً كثيرة حتى امتلأت المخازن ، وبعد ذلك أتت سنين الجوع ، فابتدأ يوسف يبيع للناس من الغلال المخزونة .

٢ — تعاليم

١ - الناس ينسونا فى ضيقاتنا ولكن الله لاينسانا ..

طلب يوسف من رئيس السقاة أن يذكره عند فرعون ، ولكن مع ذلك نسى رئيس السقاة يوسف ، ولكن الله لم ينسه بل دبّر له طريقة لخلاصه من السجن ، ومن هذا نتعلم أنه إن نسانا الجميع فإن ابانا السماوى لاينسانا بل يعتنى بنا ويدبّر لنا كل أمورنا .

٢ - الله يخلّصنا وان تأنّى علينا ..

استمر يوسف سنيناً عديدة ينتظر من الرب أن يخلّصه ، ومع أن وقت انتظاره طال فإن الله لم ينسه بل خلّصه أخيرا ، فإن صلينا لأجل أى شئ نطلبه من الله لم يعطنا إياه حالا فلا نيأس بل نستمر فى الطلب ، ولا بد أن الله يعطينا إياه .

٣ - الله يعوّض لنا تعبنا لأجله بالخير الكثير ..

يوسف لما أطاع الله كانت النتيجة أنه سجن ، ولكن الله أخرجه من السجن ورفعه الى مركز عظيم جداً .. فإن كنا نتعب بسبب عدم موافقة الناس فى أعمالهم الشريرة ، فلنعلم أن الله لابد أن يكافئنا مكافأة عظيمة على طاعتنا ، ويعوّض لنا كل أتعابنا .

٤ - وجوب الاقتصاد ..

خزن يوسف القمح وقت كثرة المحصول ، فلما جاء وقت الجوع انتفع الناس بهذا القمح المخزون وخلّصهم من الموت ، والولد الحكيم هو الذى لايتعود على انفاق كل مايحصل عليه من النقود ، بل يكون مقتصداً حتى فى وقت الحاجة يجد مايصرفه على احتياجاته .

أسـئلة

١ - من كان مع يوسف فى السجن وماذا جرى بينهما ؟
٢ - ماذا جرى لفرعون ملك مصر حتى أخرج يوسف من السجن ؟
٣ - ماذا فعل فرعون ملك مصر ليوسف لما فسّر له الحلم ؟
٤ - ماذا فعل يوسف فى سنين الشبع وسنين الجوع ؟
٥ - ماذا تتعلم من نسيان رئيس السقاة ليوسف ؟
٦ - ماذا تتعلم من تعيين يوسف حاكما على أرض مصر ؟
٧ - ماذا تتعلم من خزن يوسف للقمح فى سنين الشبع ؟

٤ — الآية الذهبية للحفظ

« ان أبى وأمى قد تركانى والرب يضمنى » مزمور ٢٧ : ١٠

٥ — ترنيمة

لن يترك الصديق   فى الجوع أو فى الضيق
ولا يـهـان
ويهلك الفجـار   أعداء ربى البار
ليفنيـهم الجـبـار   مثل الدخان

٦ ـ صلاة

أشكرك يا أبى السماوى يامن تعتنى بى دائما ولاتنسانى ، وأسألك ياإلهى أن تجعلنى أعيش دواما فى طاعتك ورضاك ولا اشترك أبدا مع الأشرار فى أعمالهم ، وأن أنتظر دائما منك مساعدتى فى كل أمورى ، بالمسيح يسوع ربنا آمين ... أبانا الذى فى السموات ....الخ

صديق الشباب

كان الأساس الذى قامت عليه رغبة التكريس فى حياة ابينا ابراهيم أن يخصص جزءا هاما من خدماته للشباب ... والشباب هو الدعامة التى تستطيع أن يكون تأثيرها عظيما فى حياة الكنيسة ، وعلى قدر نهضة الشباب تكون رسالة الاصلاح .

أحب الأب ابراهيم لوقا الشباب وكرّس الجزء الأكبر من حياته لخدمته ... ومنذ يناير ١٩٢٣ كان قد أسس جمعية الاصلاح الأدبى وغرضها مقاومة روح التهتك والاستهتار التى تفشت فى الشباب ، والعمل على بناء جيل جديد من الشباب القوى ، وكانت تصدر رسائل شهرية فى كافة الموضوعات الشبابية وتوزعها مجاناً .



رحلة مع الشباب

وما أن نال نعمة الكهنوت حتى بدأ الأب ابراهيم لوقا رسالته الأبوية لأبنائه الشباب فكم من الساعات خصصها للجلوس معهم يأخذ اعترافهم ، ويرسم أمامهم سبل الانتصار على شهواتهم وكبح جماحها ، وفى تلك الجلسات كان ابراهيم لوقا أبا حقيقيا لكل من يلجأ إليه ، بل كثيرا ما كان الوالدون والوالدات يقدّمون أولادهم وبناتهم إليه لكى يأخذ اعترافاتهم ويعالج مشاكلهم ، يحدثهم عن يسوع البار وحياة الانتصار والنجاح والفلاح ، ويذكّرهم بصور رائعة ومثل صادقة سامية فى حياة القديسين المجاهدين ، ويضع أمامهم حياة العفاف كالغرض الأساسى والهدف الصادق الذى ينبغى أن يعمل الشباب على السير فى سبيله .

وقد وضع نبذة بعنوان مرض خطير عام ١٩٣٢ ثم تلاها بكتاب « العفاف » الذى طبع أربع مرات ، وقد قرّظه كبار الأطباء المسلمين والأقباط وكتبت عنه الجرائد وفى مقدمتها جريدة الأهرام والمقطم ومصر .

وكان يجمع الشباب حوله فى رحلات كثيرة ، كانوا يتسابقون للوجود معه أثناءها ، والتمتع بعذب أحاديثه وتوجيهاته .

نادى أون

وفى عام ١٩٣٢ أراد أن يؤسس ناد يؤمه الشباب ليحميهم من الأخطار التى يتعرضون إليها ، فقام بتوجيه الرسالة التالية الى بعض من كبار الاقباط .

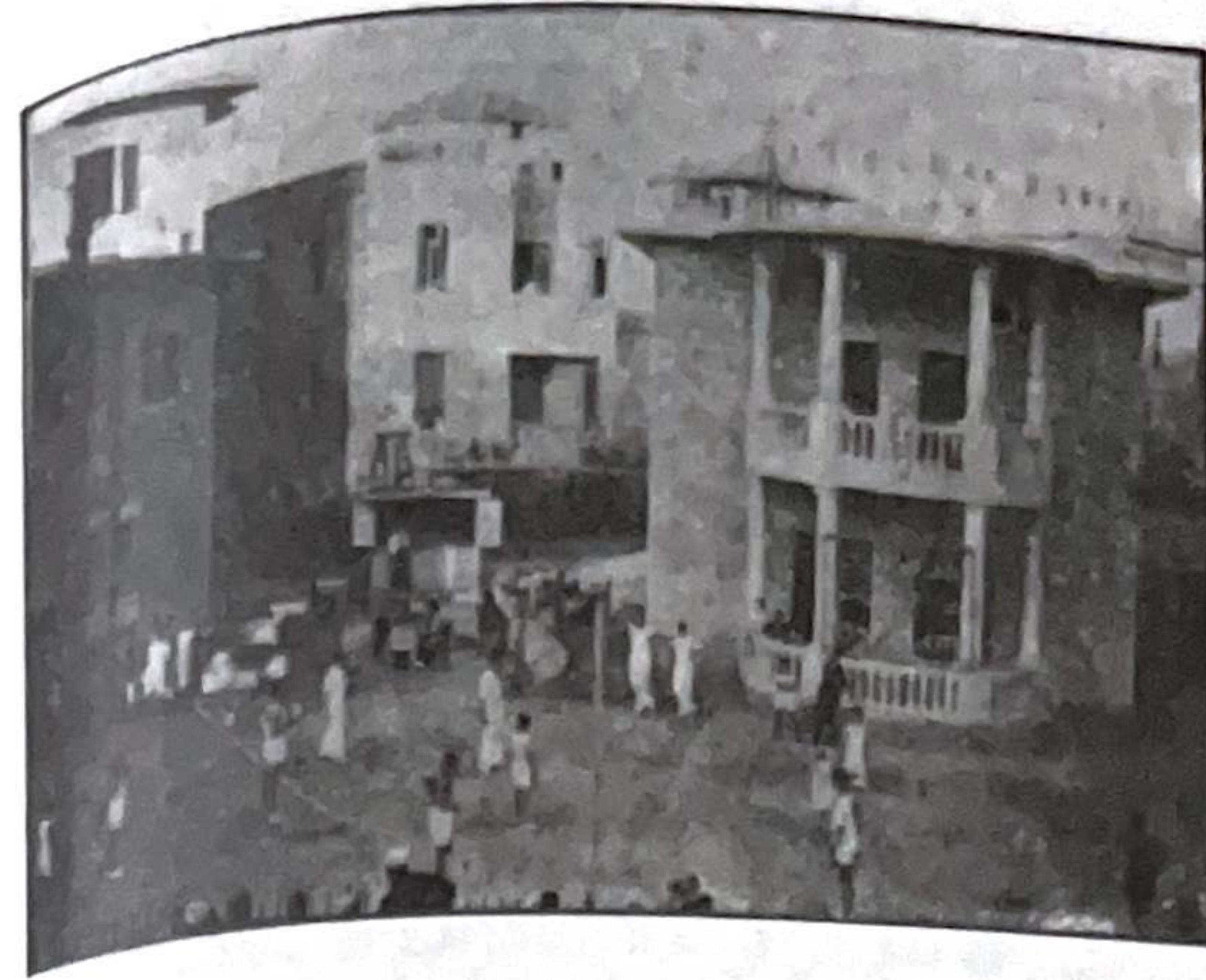
تحريرا فى ١٠ مارس ١٩٣٢

حضرة المحترم الفاضل

اهديكم سلامى مع وافر تحياتى واحترامى

تدفعنى ثقتى فيما جبلت عليه نفسكم الكريمة من حب الخير والتضحية فى سبيل اسعاد الآخرين ، ان اوجه رسالتى هذه اليكم فى موضوع اصبح الشغل الشاغل لحياتى وافكارى ، وله من الخطورة ما يستحق عطفكم واهتمامكم وان لى مزيد الرجاء ان تلقى رسالتى هذه منكم الاهتمام الذى الاجوه .

لى اهتمام عظيم بالعمل وسط الشباب لحمياتهم من الأخطار الادبية ومساعدتهم على العيشة الفاضلة النقية وكان نتيجة اختباراتى فى هذا العمل هى انى علمت ان الشباب اصبح فى حالة من الانحطاط الادبى تدعو الى التفكير العميق والاهتمام الجدى تحت تأثير عوامل الفساد التى اصبحت تحيط بهم من كل جانب ، كما ان تلك الاختبارات قد اثبتت لى ان معظم الشباب الذين عرفتهم وكانوا قد استسلموا للشهوات الفاسدة لم يختاروا تلك الحياة لرغبة فيها ، ولكن لانهم لم يجدوا من يساعدهم على الحياة الطاهرة الشريفة ، حتى انهم لمّا وجدوا مساعدة غيّروا فى الحال خطتهم ، وهم اليوم يعبّرون عن اغتباطهم بالحياة الفاضلة التى يعيشونها .



عمارة نادى أون (١)



عمارة نادى أون (ب)

واهم ما وقفت عليه فى عملى بين الشبان هو ان الخطر الأكبر الذى يهوى بالكثيرين الى الفساد والرذيلة انما هو الملاهى التى يتهافتون عليها ، ولقد دلّنى عملى بين الشبان على انه لو اتيح علاج نقطة الخطر هذه لكان ذلك واسطة قوية لأنتشال نفوس عديدة من شبابنا الغالى من وهدة الفساد ونكباته المرّة ، وعلاج هذه النقطة لايتأتى بمحاولة منع الشباب من ارتياد الملاهى فكل مجهود من هذا القبيل مقضىّ عليه بالفشل ولكن بتوفير اسباب التسلية البريئة التى يجد فيها الشباب ما يسره دون ان تمس اخلاقهم بأذى .

حرّكتنى هذه الاختبارات مجتمعة وبدافع المحبة للشبان والغيرة القلبية على مستقبلهم الى ان اشرع فى انشاء نادٍ يجمع أنواع المسرات الطاهرة والألعاب الرياضية وتلقى فيه

المحاضرات النافعة للحياة الأدبية ، وقد تألفت لذلك لجنة قدّرت بعد درساتها للمشروع ميزانية له قدرها ستة الآف من الجنيهات ووضعت له رسما ارسل مع هذا صورة منه .

وكان يمكن تأجيل هذا المشروع فى الوقت الحاضر ، ولكن ماتلمسناه من الحاجة للاسراع به نظراً لعوامل الشر التى باتت تعمل فى كل شدة وسرعة على اتلاف الاخلاق وافساد الشباب جعلنا نقدم على المشروع بلا إبطاء معتمدين على الله الذى لايعسر عليه شيء .

وقد جال بخاطرى أثناء تفكيرى بهذا المشروع قيام الخيّرين فى البلاد الاخرى بمشاريع عظيمة ينفق على كل مشروع فيها شخص واحد بمفرده ، ولدينا بمصر الجديدة كنيسة ومدرسة وملجأ للايتام وقد قام بكل من هذه المشاريع الثلاثة شخص واحد فقط وقلت فى نفسى لماذا لا اتوقع من بين الخيرين فى شعبنا وهم كثيرون من يعاوننى على انجاز هذا المشروع ان لم يكن بالقيام به باجمعه خدمة لله وتخليداً للذكرى فعلى الأقل بمساعدة جدية تعين على تحقيقه .

ولما اعلمه عنكم من الرغبة الصادقة فى اعمال الخير رأيت ان ابعث برسالتى هذه اليكم طالبا مساعدتكم وقلبى مفعم بالرجاء ان ندائى هذا سيلقى كل عطف واهتمام منكم لست اطمع فى قيامكم بالمشروع باسره ولكننى ارجوا ان أنال منكم مساعدة جدية تعين على تحقيق المشروع .. الذى ارجوه هو أن تتكرموا بدفع أقصى ما يمكنكم دفعه وانى ارجوا ان تثقوا من ان كل ما تقدمونه من التضحية فى هذا السبيل لايوازى الخدمة الجليلة التى ستساعدون على اتمامها وبها تنتشلون نفوسا غالية من وهدة التعاسة الى حياة الهدوء والسلام ، كما ارجو ان تثقوا من ان كل مساعدة تقدمونها فى هذا السبيل هى فى عين الله عظيمة القيمة والله لن ينساها لكم ولكنه يعوضها لكم فى جسمكم وفى مالكم وفى أولادكم بركات وافرة وجزيلة .

هذا وقد تقرر أن كل مبلغ وافر يقدم لهذا المشروع يقام به عمل خاص باسم المتبرع أو باسم من يريد المتبرع تخليد ذكراه .

الايغومانس

ابراهيم لوقا

وكلل الله مساعيه بالنجاح وكون لجنة خاصة للنادى ، وتم استاجار فيلتين بشارع بطرس باشا غالى بمصر الجديدة فى أول مايو ١٩٣٣ لتكونا مقراً لنادى « أون » ، الذى تأسس ليعين الشباب الغالى على قضاء أوقات فراغه على أحسن ما يرام ويشتهى من صحبة خيّرة وتسالى طاهرة بريئة ، بما يجمع من السرور الذى يطلبه الشباب والحياة المنتصرة التى يرجوها له محبوه ، وكم من الرحلات خرج فيها مع الشباب الى الخلاء يقضون أوقاتا هادئة ويتعلمون منه الكثير ، وكان بذلك سبّاقا عن جيله فى مثل هذا العمل .

حياة الأسرة

وفق الله الإيغومانس ابراهيم لوقا لزوجة فاضلة تقية .. السيدة « روجينا » صاحبة الروح الوديع الهادئ .. كانت مثلاً صالحاً في العفة والكمال ، وروحاً ... التواضع والهدوء .. لقد تمثلت سيدها يسوع الذي كان « لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته ، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ » .

كان لسانها عفاً وصوتها هادئاً لطيفاً ، وكلماتها ممزوجة بالمحبة تقطر ... اللسان وحلوة على كل مسامع ، لاتحب أبداً أن تتكلم في عمل الخير ، ولا تظهر ... بسبب .. لم تسلك طريق الأخريات في التمتع بمباهج الحياة وأطايبها ... لم تعرف حياة بالمظاهر أو الأزياء واللعب بل كانت زينتها الحشمة والورع والتعقل ، كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله في أعمال صالحة وتزين أنفسهن بملابس الحشمة .

انها لم تخلق إلا لتكون زوجة وفية لكاهن عظيم ، فكانت خير عون له في خدمته ، وكانت أماً حانية للسيدات الفاضلات نزعت فيهن البساطة أبرز صفاتها ، وغرست في نفوسهن الوداعة مع قوة في الحق ، وزهدتهن في حياة التواضع والكبرياء عن ترهات العالم ومظاهره الكاذبة .

لقد سلمت كل شيء لربها حتى نفسها ، فتركت كل كيانها روحاً وجسداً له روحاً محبة وعقل مسرة ، ولذلك كانت لغة قلبها دائماً وفي كل الظروف « لتكن مشيئة الرب » وتعمقت المحبة داخلها فانطلق لسانها دائماً « أشكر الله » .

وقد لحقت الوالدة العزيزة زوجها في المجد في ١٦ نوفمبر ١٩٥٣ ، ونحن نذكر طلباتها التي طلبتها من كاهن الله عندما كانت تتناول من الأسرار المقدسة قبل انتقالها بأيام قليلة « اطلب من الله أن يصفيني من آثامي ، حتى يكون فرحي بلقائه كاملاً » .

الصلاة العائلية

كان الايغومانس ابراهيم لوقا يقدس دائماً وقتاً محدداً للصلاة العائلية .. لا يمكن أن يعطله عن الاشتراك فيها مانع .. فما كانت الساعة تشير الى الثامنة مساء حتى يترك الجميع مشاغلهم ويحضروا الصلاة .. ومهما كان عنده من زائرين كان يدعوهم للاشتراك في هذه الصلوات المباركة .

والصلاة العائلية أثرها في البيت .. وما أحلى أن يتحول البيت الى كنيسة ، فيه ترتفع أصوات التسبيح والتضرعات ، وتقوم الصلوات شاكرة طالبة الحمى والعناية وفيض البركات ... وبها يسود البيت جو سماوي مملوء سلاماً لا يستطيع العالم أن ينزع منه ولا يقدر أحد أن يحرمه ...

في هذا الجو المسيحي الحلو الرائع نشأ بنات القمص ابراهيم لوقا الثلاث ... وبعض في محبة الرب ، وقضين الخدمة المثمرة في كرمه المبارك ، وغرس في نفوسهن العشق في العبادة والصلوات الخاصة مع دراسة الكتاب المقدس وحضور الاجتماعات الروحية والتمتع بالاشتراك في الأسرار المقدسة ، والتدريب على الخدمة في نواحيها المتعددة .. لقد رسم لهن مثلاً أعلى مكنهن من الانتصار والنجاح .. وهكذا يكون الثمر المتكاثر لمجد الله ..

الكاتب .. الفيلسوف ..

كان للايغومانس ابراهيم لوقا فلسفة خاصة في كتاباته .. وقد انتج انتاجاً فلسفياً ضخماً .. لم تكن هذه الفلسفات مجرد ألفاظ تردد بل حياة تبلورت وتركزت وتدرست وخلقت ، فأصبحت سفراً ضخماً من الفلسفة المسيحية .

لقد كوّن ابونا ابراهيم من دراساته العميقة سجلاً حافلاً من البحوث ، نشر بعضها وأعيد طباعة الكثير من مؤلفاته عدة مرات ، أما مالم ينشر منها حتى الآن فهو أكثر وأضخم مادة وبحثاً وروحاً مما تم نشره الى الآن .

وفيما يلي اسماء بعض مؤلفاته التي صدرت حتى الآن :

١ – بحث في حقيقة الايمان سنة ١٩٢٢

٢ – منتخبات الترانيم سنة ١٩١٩ وأعيد طباعته خمس مرات حتى سنة ١٩٤٦

٣ – نبذ مختلفة من رسائل جمعية الاصلاح الادبي سنة ١٩٢٢

٤ – الهروب لحياتك سنة ١٩٢٣ ، سنة ١٩٣١

٥ – التناول من الشركة المقدسة سنة ١٩٢٧ وأعيد طبعه عدة مرات

٦ – مرض خطير سنة ١٩٣٢

٧ – العفاف سنة ١٩٣٢ ، سنة ١٩٣٣ ، سنة ١٩٣٥

٨ – تأملات روحية في انجيل متى سنة ١٩٣٥

٩ – رسائل مجملة عن الكنيسة القبطية وعقائدها القويمة سنة ١٩٣٧ وقد ترجم الى اللغة الانجليزية وأعيد طبعه عدة مرات .

١٠ – المسيحية في الاسلام سنة ١٩٣٨ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٢

١١ – بيان ثم احكم سنة ١٩٣٩

١٢ – دليل العبادة المتحدة سنة ١٩٤٠

١٣ – الى الأعماق سنة ١٩٤٤ ، ١٩٥٢

١٤ – البطاركة ومن أي فئة يختارون سنة ١٩٤٦

١٥ – هل رجعت الى نفسك سنة ١٩٤٧ وأعيد طبعه عدة مرات »

١٦ – دليل العبادة المتحدة ومنتخبات الترانيم سنة ١٩٤٦

١٧ – يوم الرب سنة ١٩٥٠ .
١٨ – مجلة اليقظة التى بدأ صدورها عام ١٩٢٤ ولازالت تصدر حتى الآن ، حاملة مقالات وبحوث ودراسات وتفاسير كان قد أعدّها ، وهى أقدم المجلات القبطية .

هذه لمحة عن المؤلفات التى صدرت حتى الآن .. أما ماتحتوية مكتبته من المؤلفات الأخرى الثمينة فهى لاتعد .. نذكر منها :

١ – المحيط اللاهوتى وهو مؤلف ضخم جدا يبحث فى حقائق اللاهوت وعقائد الكنيسة الارثوذكسية والاختلافات بينها وبين العقائد الأخرى .
٢ – فلسفة الاسرار .
٣ – تفسير رسالة روميه وعدة تفاسير اخرى .
٤ – تأملات روحية فى أناجيل مرقس ، لوقا ، يوحنا ، رسائل بولس الرسول .
٥ – الرآسة البابوية .
٦ – بحوث اكليزولوجية (كنسية) .
٧ – رسائل الى الشباب .
٨ – رسائل الى الخادم .
٩ – مجموعات كبيرة من العظات .
١٠ – دراسات فى حياة المسيح .
١١ – الموجز فى اللاهوت الكنسى .
١٢ – لماذا ينبغى أن أكون مسيحيا .
١٣ – أنيس المجربين .

الى غير ذلك من المؤلفات العظيمة والمقالات العديدة التى نشرت فى مجلة اليقظة وغيرها من المجلات ، وهى تراث ضخم دسم صادر عن فيلسوف عظيم ، بل كان يستلزم أن يصدر عن فلاسفة أجيال متعددة ، خاصة إذا عرفنا أن التأليف لم يكن إلا ناحية واحدة من النواحى المتعددة التى كانت للايغومانس ابراهيم لوقا .

ولسنا فى حاجة الى تقريظ أو وصف مدى عظمة هذا التراث الفلسفى ، ولكننا نوجز تلخيص مؤلفين من هذه المؤلفات .

بحث فى حقيقة الايمان

هذا باكورة مؤلفات الشماس ابراهيم لوقا ، فقد صدر وهو فى سن السادسة والعشرين ، وليس معنى هذا أننا نجده يتأرجح بين الصواب والتعثّر أو بين القوة والضعف ، كما هو الحال فى مؤلفات أى شاب ناشىء ، ولكن نجد هذا الكتاب وحدة فلسفية عميقة يستلزم دراستها زمنا غير قليل ..

لقد عالج مؤلف الكتاب مشكلة من أهم المشاكل الفلسفية وهى مشكلة الايمان ، قدّم لها بأن الكلام فى الايمان بمعنى الاعتقاد بالحقائق الدينية والتسليم بصحتها هو حاجة من أعظم حاجات العصر الحاضر .

يشمل الكتاب أربع محاضرات ختمها بقانون الايمان بحسب معتقدات كنيستنا الارثوذكسية .

ويتكلم فى المحاضرة الأولى عن **الايمان كأحساس خلقى عام** .. والواقع أن موضوع الحاسة الخلقية موضوع فلسفى كثيرا ما كان موضوع مناقشات من أئمة الفلسفة فى القرن التاسع عشر بنوع خاص ، ولكن المؤلف امتاز فى طريقة عرضه للمشكلة فبيّن كيف أن الايمان حقيقة وجدت فى كل زمان ومكان ، وأنه طبيعى فى البشر ، فلم تخل منه أمة من الأمم ولا عصر من العصور ، ولقد دلّل على صدق رأيه بذكر نصوص مختلفة ترجع الى العصور الميثولوجيا القديمة ، ثم أشار الى العديد من الفلاسفة أمثال جيمس ولورد ايفيرى وسنت هيلار ودى كاتر فاج وشيشرون وموسهيم وغيرهم .، ولم يقف عند الناحية الفلسفية بل عاد الى الكتاب المقدس فنظر إليه من الناحية التاريخية فأشار الى العديد من الآيات التى تدلل على مايقول ، ثم انتقل الى ميدان التاريخ ليذكر من صفحاته الكثير من الأمثلة التى تثبت النتيجة التى يصل إليها وهى أن الايمان حقيقة لها وجودها فى كل العصور والأمم .

ولم يكن بد من أن يبحث الشاب ابراهيم لوقا حقيقة ثانية وهى كيفية ظهور الرغبة فى التعبد فبدأ فى البحث حيث أخترع البشر لأنفسهم آلهة تواصفوا على عباداتها ، ونلمّس من مناقشة هذه المشكلة إلماما بعلم الاجتماع وأبحاثه المختلفة فى هذه الناحية .

ويعرض فى القسم التالى من المحاضرة الى بيان مافى الديانات المختلفة من تضييق على النفس البشرية ، وما فيها من تناقض أو تضاد مع بعض المبادىء الدينية التى جاءت بها تلك الأديان ، ووصل من ذلك كله فى طريقة سديدة موفقة إلى أن ديانات الأمم القديمة كانت شاملة لكل مايلزم لقيام الديانة ومعرفة الله الحقيقية ، فأهم الأركان التى تقوم عليها الديانة ثلاثة :

- الايمان أو الاعتقاد بالحقائق غير المنظورة .
- الفرائض والطقوس .
- الناموس أو الشرائع والوصايا .

وجميع هذه الأركان موجودة فى الديانات القديمة ، ولم تكن الديانة فيها كلها أمراً عرضياً فى نفوس البشر ، بل كان أمرا جوهرياً فى نفس الانسان منذ أقدم العصور .
واستمرّ المؤلف فى محاضراته الأولى الى ان ختمها بقوله ...

« **ألا يكون من العدل أن نحكم بأن الايمان هو حقيقة ملازمة لتاريخ الانسان منذ وجوده ، وليس هو اختراعا حادثا ، وهو الحكم الذى يؤيده وجود روح الشك**

فى الكفرة ، إذ أن هذا الشك هو من أعظم الأدلة على وجود احساس باطنى فيهم بحقيقة الايمان ، لأنه إذا كانت عقولهم لم تقبل الحقائق فلماذا لم ينكروها البتة ؟ ألا يدل هذا على وجود قوة اخرى فيهم قاومت أفكارهم فمنعتهم من الأنكار البات ؟ .. وبماذا نعلّل هذه القوة إلا بالقوة الباطنية والاحساس الطبيعى »

ويخلص المؤلف من هذا كله الى أن المؤمن هو الشخص الذى يطيع الناموس الطبيعى الذى جبل عليه ، وأن الألحاد أو الكفر هو تضاد مع الناموس الطبيعى .. والايمان حقيقة فى النفس ، وعلينا أن نسلّم بوجوب الخضوع لناموس الايمان .

على أن فيلسوفنا لم يقف عند هذه النتائج فهو يرى أن الاكتفاء بها يعتبر نقصا .. فقد نسلّم أن الميل الى العبادة فطرة فى الفرد ، ولكن مع ذلك لانسلّم بأن هناك حاجة الى الايمان ... وهكذا كان الجزء الثانى من هذا الكتاب لاثبات أن **الايمان حقيقة لازمة لحياة الأفراد وقيام الأمم**.

وفى سبيل هذا الاثبات قدّم فصلا ساق فيه عديدا من الحجج التى تعتبر نغما فلسفيا متناسقاً يعتمد على منهج سيكولوجى تحليلى لحاجات النفس البشرية ، فالنفس تسعى الى تحقيق السعادة ، لكنها خاضعة فى الوقت نفسه لآلام كثيرة تفرضها الحياة الاجتماعية ، ولا يوجد مهرب من هذه الآلام إلى طريق السعادة إلا عن طريق إيمان هذه النفس بحقائق غير منظورة .. وفى سبيل تأييد رأيه يقلب فى صفحات الفلسفة فيشير إلى أراء أفلاطون وشيشرون وحتى فولتير الذى اقتبس منه عبارته المشهورة « **إذا لم يكن الله موجودا فلنفرض وجوده لأنه ضرورى لحياتنا** » وهكذا يقتبس من فلسفات غير المسيحيين نصوصا وآراء تدلل على قيمة الايمان وضرورته للحياة البشرية .

ولاتقف قيمة الايمان عند مجرد اعتباره مهربا للنفس من آلام الحياة الى سعادة تسعى الى تحقيقها ، بل يرى المؤلف أن من أهم مزايا الايمان توسيع دائرة النفس سواء من حيث المعلومات أو القوى أو الآمال .. فمن حيث المعلومات سوف لايقف الفرد عند مجرد الحسيّة بل سيتعداها الى معارف غير منظورة عن عالم آخر ، وأزمان ترجع الى الأزلية وتمتد الى الأبدية .. ومن حيث القوى سوف لاتقف أيضا عن مجرد ما تأتى به الحواس ، بل سيتأثر شعورنا بعلاقات مع عالم غير منظور وتكوّن لنا خبرات أوسع وأسمى من دائرة هذا العالم المادى .. وأما من حيث الآمال فقد ركزّها فى عبارة صغيرة وقوية « **ان آمال غير المؤمنين لاتتعدى القبر ، ولكن آمال المؤمن ترمى الى ما وراء القبر الى حياة أبدية لانهاية لها** » .

والأهمية المثالية للايمان أنه يعيننا على احتمال مصاعب الحياة ، فهو يرفع حمل الاهتمام بأمور الحياة الزائلة ، ويرفع منها الخوف من كل خطر تخشى أن يصيبها ، بل ويملأ قلب المؤمن بالرجاء والثقة بما يرجى ، وتشبع حاجة النفس الى التعزية سواء عند ذكر الموت أو عندما تحلّ ساعة محنة ، أو عندما تختبر النفس أنواع مسرات هذه الحياة فتجدها أضعف من أن تشبعها .

ثم يتابع المؤلف الحديث عن تأثير العقيدة المسيحية فى النفس على نوع خاص ، فيرى أنه « **وإن كانت التأثيرات السابقة تشترك فيها سائر الأديان إلا أن للمسيحية تأثيرا أقوى فيها** » وذلك نظراً لما جاءت به المسيحية من مثل عليا خاصة بها ، ولما تقم عليه عقيدة التجسد ومشاركة الله للبشر فى عقيدتهم ، ونظراً لما تضعه أمام النفس من المثال الكامل المؤثّر ، وهو شخصية يسوع المسيح .

ثم يتحدث عن تأثير العقيدة على الأمم ، ويعالج هذا الموضوع من حيث تأثير الايمان على الأمة لقيامها ، ومثلها العليا ، والعلاقة التى تربط بين أفرادها وأخلاقهم .

أما المحاضرة الثالثة فى هذا المؤلف فتعتبر درّة فلسفية عميقة لها قيمتها الخالدة ، وموضوع هذه المحاضرة هو **الايمان بازاء العقل والعلم** ...

لقد كانت مشكلة المشاكل فى الفلسفة الدينية الكلاسيكية فى العصور الوسطى هى العلاقة بين الايمان من ناحية والعقل والعلم من ناحية أخرى .

واستهل الكاتب حديثه بمناقشة العلم والعقل كمحك للحقيقة ، حتى تبين ان العلم والعقل لايصلحان كمقياسين ، فكثيرا ماتتضارب العقول مهما نضجت ، بل أن العقل الواحد قد يتناقض مع نفسه والعلم لايقلّ نقصه عن نقص العقل ، فالعلم خاضع لقانون التطور ولم يصل بعد الى مستوى لايتطور بعده ، وهكذا يمكن الحديث عن الايمان بازاء العقل والعلم على الأساس السابق ، فبينما سمو الدين لايجوز له أن يتعداه ، ولهذا ينبغى أن نجعل الايمان هو الأساس الذى نقيم عليه البناء ، لأنه يحل لنا مشاكل كثيرة يعجز العقل والعلم عن حلها ، وليس معنى ذلك أن المؤلف اتجه الى أن هناك تضاد بين الدين والعلم ، ولكنه على العكس ذهب الى المذهب التوفيقى الذى نادى به أيضا المؤرخ الأمريكى فسك ، وهو أن المقاومة بين العلماء ورجال الدين لم تكن إلا مقاومة بين نصّين مختلفين فى تفسير نظرية علمية ، أو بعبارة أخرى كانت مقاومة بين معتقدات العلم وآراء الأمس ومعتقدات العلم الحديث وآراء اليوم .

فهناك إذن تطابق بين العلم والدين ، ويزداد وضوحا كلما خطونا خطوة الى الأمام فى المباحث العلمية ، فإذا كان الأمر كذلك ـــ يتساءل المؤلف ـــ فلماذا إذا نرى العدد العديد من أصحاب الآراء الحديثة يتشدقون بالقول بمناقضة الدين للعلم ويتعللون بهذا القول على جحودهم للايمان؟...

وقد استلزم هذا التساؤل من المؤلف محاضرة رابعة للاجابة عليه ، ليعرض المشكلة من أساسها ، وهى **مشكلة الفكر والإلحاد**... وعاد المؤلف بهذه المشكلة الى أقدم العصور حيث أشار الى الآراء الفكرية فى القرن الثامن عشر بنوع خاص ، وما اصطبغت به الفلسفة المادية فى القرن التاسع عشر فى فرنسا والفلسفة العقلية فى ألمانيا ، ولكن لم تلبث هذه الفلسفات ان انكسرت وتحطمت على صخرة الايمان .

ومع ذلك نجد أن المؤلف رجل واقعى ، فلا يزال هناك مذاهب كفرية شائعة فى عصرنا الحالى يأخذ المؤلف سردها فى تسعة بنود مختلفة ، ثم يعمد الى تحليل العلل

التى تنتهى الى التشكك فى صدق الايمان ، فجاء هذا التحليل وهو الخطوة الأخيرة فى هذا المؤلف دليلا قويا على مدى خبرة المؤلف فى التحليل النفسى ، تحليلا لايقف عند مجرد الحالات الفردية ، بل يتجاوزها تجاوزاً استقرائيا فيصل الى نتائج عامة تجمع ماصادف ضعفاء الايمان من العثرات التى تؤول بهم الى الكفر والجحود ، أو الشك والارتياب — وأخيرا اختتم هذا المؤلف النفيس بأن قدّم العلاج الناجح كطبيب بارع أخذ على عاتقه أن يستأصل داء عضالا له خطره ، ثم هو يشفى مكان الداء فيصبح سليما معافى .

المسيحية فى الاسلام

يقع هذا المؤلف فى ٢٢٠ صفحة ، وقد قدم المؤلف كتابه بكلمات تعبر عن الاتجاه العقلى الذى كان فى ذهنه عند وضع الكتاب ، وقد جاء فى هذه الكلمة ..

« يظن الكثيرون أن الاسلام يطعن فى المسيحية ويحارب عقائدها ، وهذا الظن منشؤه — فى الحقيقة — عدم الالمام بما يذكره الاسلام عن المسيحية .. وان الباحث المدقق فى جميع الأقوال التى أوردها القرآن عن النصرانية والنصارى يتضح له أمران أولهما : أن نبى الاسلام قد حفظ للديانة المسيحية مركزها ، وأيد جلالها ، وأثبت صحة الكثير من تعاليمها ونادى بوجوب تقديس أوامرها والعمل بها ، واحترام كتبها المنزلة فكان بذلك شاهدا لها ، ومؤيدا لصدقها .

ثانيا : إن القرآن الكريم لم يهاجم المسيحية التى أسسها المسيح ونشرها رسله القديسون ، ولكنه هاجم بدعا خاصة ، كانت قد ظهرت عند ظهوره ، ونادت بتعاليم لاتقرها المسيحية ، فحاربها كما حاربتها المسيحية من قبل ومن بعد .. وكلنا يعلم أن الشرق — وقت ظهور الاسلام — كان مرتعاً خصباً للاضطرابات المذهبية ، فقد كانت الحرب لاتزال مستعرة نارها بين اليهودية والمسيحية من جهة ، وكانت الفرق المبتدعة الخارجة عن النصرانية تتناوأ مع بعضها من جهة ثانية كما كانت الوثنية تنازع هاتين الديانتين اليهودية والمسيحية من جهة ثالثة .. وكل من يطلع على تاريخ الهرطقات يقف محيراً إزاء ما كان بين هذه الديانات والمذاهب من تطاحن وعداوة وبغضاء ..

والواقع أنه كلما ارتقى الانسان فى تفكيره واتسع أفقه قلّ تمسكه بآرائه وكان أكثر قابلية لتفهم الآراء التى تخالف رأيه الخاص ، والتعمق فى هذه الدراسة لعله يجد فيها فكرا جديدا .. كانت هذه هى فلسفة الايغومانس ابراهيم لوقا ومنهجه فى هذا المؤلف ... فهو لم يقصر دراسته على مجاله المختص به وهو الدين المسيحى ، بل امتدّ مجال بحثه الى الدين الاسلامى وتعمّق فيه أيضا .. لقد درس القرآن الكريم والحديث الشريف دراسة دقيقة ، ثم درس الكثير من انتاج المفسرين ويخلص المؤلف الى توجيه **رسالة حب** الى اخوته المواطنين فالاسلام لم يطعن فى المسيحية ، بل جاء مؤيدا للكثير من تعاليمها ،

كما حارب الهرطقات التى كانت المسيحية تحاربها .. فلم يكن الخلاف ناشئا بين الاسلام والمسيحية ، بل بين الاسلام وتلك المذاهب المبتدعة التى كانت تتنافى فى تعاليمها مع العقيدة الصحيحة وقد فصل الاسلام بين المسيحيين وجماعة المشركين .. وما أحوجنا هذه الأيام الى مثل هذه الرسالة « رسالة الحب » لتسود بين المواطنين جميعا .

وقد خصص الباب الثانى من مؤلفه للحديث عن **الكتاب المقدس ككتاب منزل لم يحرّف** سواء قبل الاسلام أو فى عصر ظهور الاسلام أو بعد ظهوره ، ثم ذكر دعوى التحريف وأسبابها .. فهو كتاب سليم من التحريف ولم ينسخ وأنه يجب مطالعته وتفهم مافيه .

ويعالج الباب الثالث مسألة من أعمق المسائل اللاهوتية فى المسيحية وهى مشكلة **سرّ التثليث** .. ولاشك أن هذه النقطة ليس من السهل فهمها حتى بالنسبة لبعض المسيحين الذين لم ينضجوا فى الروحيات ، وقد نجح القمص ابراهيم لوقا نجاحا ممتازا فى عرض هذه النقطة فى وضوح وجلاء لايسمح للشك بأن يأتى من أمامها أو من خلفها .. استمع إليه وهو يقول ..

« وهذا الإله الأزلى الوجود والحياة والنطق ، هو مايعبّر عنه فى الديانة المسيحية بالثالوث الالهى الأقدس ، الواحد الذات والجوهر ، غير المنقسم من الوجوه الفرضية ، لأن وقوع القسمة فى الروحى البسيط منفى منطقياً .. وإنما تكون هذه القسمة فى الخواص الالهية ، التى هى صفات الأب والابن والروح القدس ، فوجوده عبارة عن صفة الأبوّة ، ونطقه عبارة عن صفة البنوّة ، وحياته عبارة عن صفة الانبثاق »

وهكذا يسير المؤلف فى عرض المشكلة فى وضوح مع أمثلة فى حياتنا المادية البسيطة لتقريب الفكرة الى الذهن ، فهو يستعين أحيانا بمثلث ذى ثلاث أضلاع ، فهو مثلث واحد رغم أنه من ثلاثة أضلاع ، ويشبّهه أحيانا أخرى بالنار التى هى جوهر واحد رغم أن لها ثلاث خواص هى النور واللهب والحرارة ، ولا يمكن إطلاق كلمة النار على أحدى هذه الخواص إلا بشرط وجود الخاصتين الأخريين ، وهكذا يتدرج فى الشرح حتى يوضّح فكرة جوهرية الله ووحدته ، رغم أن له ثلاثة أقانيم غير منقسمة ولا منفصلة ، فالله جوهر قائم بذاته غير مفتقر فى قيامه الى غيره كل الكمال ، **فالتثليث فى الأقانيم لاينقص وحدانية الله لأنه لايعنى التعدد .**

ثم عرض عدم التعارض بين فكرة وحدانية الله وفكرة التثليث المقدس ، بيّن أن الاسلام لم يحارب فكرة المسيحية عن التثليث ، ولكنه حارب تعاليما غير تعاليم المسيحية كانت تقول بالتعدد والاشراك والولادة التناسلية .. وقد أدركت الفلسفة الاسلامية أن عقيدة المسيحية الصحيحية فى التثليث هى غير تلك العقيدة المبتدعة التى حاربها ، فتكلم عن معتنقى تلك العقيدة الخاطئة كقوم مشركين ، بينما يذكر المسيحين الحقيقيين كقوم موحّدين ، ولذلك فإن التشريع الاسلامى حرّم على من يدينون بالاسلام أن يتزوجوا

بالمشركات دون أن يتخذن الاسلام دينا ، بينما أباح للمسلم أن يتزوج من المسيحية دون أن يشترط اسلامها لاتمام هذا الزواج وصحته .

أما الباب الرابع من هذا المؤلف فقد خصص للكلام عن « **المسيح** » جوهر الديانة المسيحية ونقطة ارتكاز إيمانها ، وقد بيّن المؤلف أن الحقيقة الثابتة ان الاسلام يقدّر ذات المسيح ويقدّسها ويصادق على عقائد المسيحية عن شخصه .. فهو يشهد له بالكمال الأدبى فى حياته ، وقدرته الفائقة على الطبيعة ، ومركزه الممتاز ، وماله من اختصاصات ووظائف .

وجاء الباب الخامس امتدادا مباشرا للباب الرابع إذ يستمر الحديث عن شخصية المسيح ولكنه يخصّ « **المسيح الانسان** » فهو الاقنوم الثانى الذى حمل رسالة التضحية والألم التى تمثّل العدل والرحمة فى تحقيق الفداء ، ويشير المؤلف الى أن « كفارة المسيح لم تبن إلا على أساس التعليم باتحاد الطبيعتين فيه ، مع احتفاظ كل منهما بكيانها وخواصها ، فالكفارة كانت تستلزم ذبيحة دموية حقيقية بلا لوم أودنس ، وهذه الذبيحة تستلزم جسدا حقيقيا تاما ، وهذا الجسد هو جسد ابن البشر لتكون له القيمة التى توفى مطالب العدل الالهى .

وينتقل المؤلف فى الباب السادس الى الحديث عن عقيدة **الكفارة أو الفداء** ، ويعتبر شرحه لهذه العقيدة حجة قوية وشرحها مسهبا دقيقا يوضح الكثير مما يغمض فى وقائعها .

فالانسان الأول سقط فى عثرة العصيان ، وبسقوطه أصبح واقعا تحت حكم الموت الذى أنذره به الله عندما وضعه فى جنّة عدن ، كما أنه خسر حالة الكمال الأدبى التى خلقه الله عليها ، وأصبح خاضعا لناموس الفساد وسلطان الخطية .

والله وان كان غير خاضع لناموس خارج عنه ولكنه مرتبط بناموس كماله الادبى .. فهو لايمكن أن يتصرّف تصرّفا تدعو إليه رحمته ويكون مناقضا لعدله ، كما لايفعل مايتطلبه عدله ويناقض رحمته .. ولما سقط الانسان تنازعه مطلبان .. العدل يطلب تنفيذ الحكم على الانسان بلا تساهل أو تفريط ، والرحمة تطلب من جانبها الصفح عنه بلا حساب أو عتاب أو قصاص ، وكلا المطلبين يغاير الآخر بل يناقضه ، وللجمع بين هذين المطلبين كان لابد من تقديم فدية ينال بها الانسان الصفح الغفران ، ويستوفى العدل الالهى حقوقه كاملة ، ولم تكن هناك فدية ماتتمم مطالب العدل والرحمة إلا فدية من جانب الله نفسه ، فالفدية يجب أن تكون طاهرة من كل عيب مقدسة بلا لوم .. وليس فى كائنات العالم بأسره من هو طاهر وقدوس وبلا عيب سوى الله جلّ جاله .. وهنا نشأت مشكلة أخرى هى ان الله ليس له جسد يقدّمه فدية عن العالم ، فلم يكن من بدّ أن يتخذ الله جسدا فيه يتحد اللاهوت بالناسوت ، وهذا ماتمّ فى المسيح إذ قدّم ذاته ذبيحة مقدسة كريمة .

ولما جاء ملء الزمان ظهر الله فى الجسد لمحبته الفائقة لخليقته ، وجال يصنع خيراً ، ثم مات على الصليب فداء عنا واتماما لمطلب عدله ورحمته ، ثم قبر وقام وصعد الى السموات .

ثم يذكر تصريحات الاسلام عن الحقائق الخاصة بعقيدة الكفارة ، فصادق على ان الانسان الأول سقط ، وكان سقوطه سقوطا للبشرية كلها ، وأن الأمر استلزم أن تكون الفدية بذبح عظيم ، وأن المسيح قد توفّى ثم رفع الى السموات حيا .. فما كان الاسلام إلا مصدّقا لعقيدة المسيحية .

ويختم المؤلف كتابه بذكر الآيات التى يرى بعض الناس فيها تعارضا مع العقيدة المسيحية فى ظاهرها ، ولكنها تتعارض فى حقيقتها مع البدع والهرطقات التى ظهرت من بعض الفرق المسيحية فى ذلك العصر ، فالمسيحية لاتقول بثلاثة آلهة ولكنها تؤمن باله واحد ، والمسيحية لم تقل بوجود والد ومولود ولد عن الله ولادة تناسلية ، وحاشا لنا ذلك ، والمسيحية لاترمى الى الاشراك والتعدد والتوالد التناسلى ، وهى لا تعلّم بالمسيح الها منفصلا عن الله ولا تتخذ مريم الها من دون الله .. إذن فالاسلام لايعادى المسيحية ولكنه يسير معها جنبا الى جنب فى اشهار الحرب على أولئك المشركين المبتدعين .

وهذا الكتاب « المسيحية فى الاسلام » غصن زيتون ، ورسالة حب واخلاص وسلام يبعثها رجل الكنيسة الى رجل المسجد .. وهل من هدية تقدم للوطن أعظم من رسالة الحب هذه فى عالم كله عواصف وأمواج وظلام ؟ .

وقد كتبت الجرائد تقاريظا عن كتاب « المسيحية فى الاسلام » فقالت جريدة الأهرام عنه فى عددها الصادر بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٣٨ مايأتى :

« **هذا كتاب حديث يصحّح خطأ الذين زعموا أن الاسلام يطعن فى المسيحية ويحارب عقائدها ، وينكر هذه الأحكام السطحية الخطيرة التى يلقيها الناس جزافا دون أن يتصلوا بالاسلام ويفهموا تعاليمه** . قرأ الآب « ابراهيم لوقا » القرآن الكريم قبل أن **يصحح الزعم الخاطىء القائل بعداء الاسلام للمسيحية** ، ودرس تعاليم الاسلام قدر جهده **حتى انتهى الى الرأى ... أن الاسلام يحارب الوثنية ويجاهد اليهودية ويؤاخذ المسيحية فى مذاهبها المبتدعة التى كانت تعاليمها تتنافى مع العقيدة الصحيحة فى الله تعالى .. وقد أيّد رأيه بآيات بينات من القرآن الكريم فى احترام المسيح ..**

فالاسلام لم يهاجم تعاليم المسيحية ، ولكنه هاجم بدعا خاصة كانت قد ظهرت **فى عهده ..**

والموضوع الذى تصدّى الآب « ابراهيم لوقا » لبحثه دقيق كما ترى ، يتهيّبه **الانسان ويخشى فيه الزلل . لكن الآب استعان على الموقف** باشياء ثلاثة : اعتداله ، **وثقافته الواسعة الخيرة ، ولباقته الماهرة !** .. فجاء كتابه بحثا قيما رائعا يشهد له **بالمقدرة البارعة ، والاطلاع الواسع ، والاخلاص للتوفيق والسلام** » .

كما كتبت عنه جريدة « المقطم » فى ذات التاريخ تقول :

« **هو كتاب حديث فى موضوعه ، قصد به مؤلفه أن يثبت أن ماجاء فى سور القرآن الكريم من الآيات عن السيد المسيح له المجد عن التثليث ، لا ينافى العقائد المسيحية الصحيحة بل يؤيدها .**

ومع دقّة هذا الموضوع استطاع جناب المؤلف بما وهب من حكمة أن يكتبه بقلم متزن بعيدا عن التطرف ، منزّه عن شائبة التحيّز ، ورائده فيه الاقناع بالحجة وحدها ..

فهو كتاب جدير بأن يقرأه الجميع من دون تحرّج ، لأنه يعزّز الاتفاق والتفاهم ، ويقرّب مسافات الخلف ، ويضع الأمور فى مواضعها فنثنى على فضله وأدبه » .



ايقونة للسيد المسيح على عرش المجد

الباب الثالث

النهضة الاصلاحية

كان الايغومانس ابراهيم لوقا بحق مصلحا نموذجيا يحب أن ينهض بخدمة الكنيسة العامة .. هذه الخدمة التى ترمى الى اصلاح الخلل وبعث روح النشاط فيها حتى تعود الى سابق عهدها الكنيسة المجيدة ذات التاريخ التليد .

فعندما كرّس حياته للخدمة كان يضع نصب عينيه الاصلاح .. الاصلاح الذى يبغيه ويشتهيه كل محبّ لهذه الكنيسة .. الاصلاح الذى يشمل كافة النواحى الروحية والكنيسة والمليّة والاجتماعية والادارية ..

فإذا ماذكرت كلمة الاصلاح فى الكنيسة لابد أن يذكر اسم ابراهيم لوقا بطل الاصلاح الذى عاش ومات من أجل أن يصل الى بغية قلبه .. وكان يرجع السبب فى الحالة التى وصلت إليها الكنيسة إذ ذاك الى عدم السير وفق دستور الكنيسة .. ونترك القلم له ليحدثنا عن رأيه فى الاصلاح إذ يكتب فى سبتمبر ١٩٢٧ تحت عنوان « فى سبيل الاصلاح » .

كنيسة مجيدة .. كرمة باسقة .. بدماء مرقس الانجيلى نبتت ، وبدماء الشهداء الابطال شبّت وترعرعت .. تاريخها المجيد قد حيّر العالم ، وهو موضوع دهشة الشرق والغرب معاً .. فمن ثبات عجيب رغم الضيق والاضطهاد اللذين خاض غمارهما الآباء البواسل بشجاعة نادرة وأمانة فائقة ، إذ احتملوا فيهما الأمرين ، وفيهما قد قبلوا أقصى أنواع العذاب والآلام فى سبيل حفظ إيمانهم سليم ، مفضّلين الموت بين براثن الأسود أو وسط لهيب النار المتأججة عن أنكار ذاك الذى مات لأجلهم .. ومن دفاع عن الايمان القويم ثبت فيه البطاركة العظام ثبوت الجبال الرواسخ أمام تألّب القوات المتنوعة وسلّموا فى كل شىء دون تسليمهم فى صدق عقيدتهم .. وهذا تاريخ اثناسيوس وديسقوروس باق الى اليوم ينطق بأعمال البطولة الفائقة والثبات العجيب على الأمانة التامة لله وحده .

هذه الكنيسة المجيدة ذات التاريخ العظيم قد أصبحت اليوم على حالة تملأ القلب حزنا وتفيض على النفوس بشعور الأسى العميق .. أبواب محرقة بالنار .. مدينة موحشة كل مشتهياتها أصبحت خرابا .. أين نقلب الطرف يعود كسيرا ، وحيثما نوجّه النظر تمتلىء النفس غصّة وأنينا ! .

ان نظرنا الى الحالة الروحية تألمنا وتوجّعت نفوسنا ! .. أين روحانيتنا ؟ .. أين روح التعبد لله ؟ .. أين المودّة الأخوية ؟ .. أين الحشمة والوقار ؟ .. أين القداسة

المسيحية ؟ ـ أين هذه جميعها ؟ ـ لقد خسرنا وخسرنا كثيرا فى الحياة الروحية خسارة فى حياتنا الفردية وفى بيوتنا وعائلاتنا مما يقود كل غيور محب للكنيسة أن يحذو بقول ارميا النبى الباكى « ياليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع فأبكى نهارا وليلا قتلى بنت شعبى » .

وان حولنا النظر الى أحوالنا الكنسية والاجتماعية والقومية حزنا وانكسرت قلوبنا ، فلا مظاهر تشرّف ، ولا وحدة ولا رابطة ولكن ضعف وانحطاط وخلل وفوضى !! ...

لقد تنسمنا رائحة الحرية لنساير العالم فى تقدمه ، ولكننا نلاحظ والألم يملأ قلوبنا أننا لم نكن فقط جامدين ولكنا رجعنا الى الوراء خطوات وخطوات واسعة وليست العلة كما يدعى البعض نقص فى دستور الكنيسة وتعاليمها ، فالكنيسة القبطية دستور يكفل تحقيق كل مايرجوه طلاب الاصلاح اليوم .. والكنيسة القبطية قادرة لو أنه قبلت اليوم لانتشلنا فى وقت قصير من هذا الانحطاط المريع الذى قد بلغنا قراره فى عصرنا الأخير .

ليس النقص فى نظام الكنيسة ودستورها ، ولكن النقص كائن فى إهمال ذلك النظام والسير على مايناقى دستوره القويم .

وكل ماتحتاجه الكنيسة اليوم فى اصلاح أمورها هو أن نسعى لاحياء دستورها المهمل وتطبيق أوامرها فى سياسة جميع مرافقها .. إننا لسنا فى حاجة اليوم لأن نطالب بجديد ، ولكن كل مانحتاجه أن نعيد القديم سلطانا قد جارت عليه أيدى الاهمال والمطامع .. وانه لأمر يملأ القلب أملا فى الوصول الى الاصلاح المنشود أن يقف دستور الكنيسة بجانب مطالب المصلحين خصما لعوامل الهدم والتخريب .

وان يوما تقدّس فيه الأوامر الرسولية المكوّنة لدستور كنيستنا المقدسة لهو يوم فيه تعود الحياة لها ، ويرجع إليها مجدها السالف وجلالها التليد ، وفيه قلوب شعب الله تفرح وتهلل .

وسواء كان من وراء المجاهرة بالحق الوصول للغاية المنشودة اليوم أو غداً .. فى الحياة أو بعد الممات .. فيكفى النفس غبطة أن تشعر بأنها أرضت ضميرها وسلكت بأمانة من نحو إلهها وكنيستها .

القيادة الصالحة

رأى الايغومانس ابراهيم لوقا أن أساس أى إصلاح فى الكنيسة هو إصلاح قيادتها ، فكيف تصلح سياستها إن لم تتوفر لها القيادة الرشيدة الحكيمة المخلصة النزيهة القوية الحازمة .. والنظام الطبيعى لبرنامج الاصلاح هو إصلاح للقيادة نحصل به على إصلاح فى السياسة ، وإصلاح فى السياسة يعيننا على إصلاح الرعاية ، وإصلاح الرعاية يحقق لنا إصلاح الحياة ..

فإصلاح القيادة هو الأساس الصخرى لجميع ماننشده من الاصلاح ، ولو تحنن الله على الكنيسة وحباها قيادة صالحة نزيهة مخلصة لتحقق لها من الخير مايفوق العقول ..

وما أن تنيح البابا كيرلس الخامس فى ٧ أغسطس ١٩٢٧ حتى بدأ قلة مع فريق من الاقباط المتنورين العمل والجهاد من أجل الحصول على قيادة مستنيرة قوية فى تفكيرها ، تحس بما يحس الشعب من علل وأمراض ، ويتقد قلبها غيرة على الكنيسة لاصلاح كل مابها من عبث وفساد .. قيادة تشعر بما عليها من مسئوليات وتقدر مايحيط بمهمتها من الأعمال والتبعات .. قيادة لاتحيا لذاتها ولكنها تعيش لكنيستها وللخراف التى مات المسيح من أجلها .. قيادة تدرك أن رسالتها ليست قاصرة على الناحية الروحية فحسب ، ولكنها تتناول جميع النواحى الاجتماعية والقومية ، قيادة تعرف كيف تجعل من شخصيتها نقطة الارتكاز التى تجمع الرجال المسئولين من الشعب حولها ، فتجعل منهم كتلة واحدة متحدة .. قيادة حازمة تحل المشاكل القائمة وتقوم بعملية الاصلاح فى شدة وصرامة ، لاتعرف فى ذلك هوادة ولا لطفا ولا محاملة .. قيادة تحسن اختيار من يحيطون بها فلا تختارهم إلا من الرجال الأمناء الشرفاء .. قيادة تعرف كيف تبعث دستورنا الكنسى من مرقده وتضعه موضع التنفيذ والتقديس .

وكان أن عقد مؤتمر فندق الكونتنتال فى ١٦ ديسمبر ١٩٢٧ برئاسة الدكتور سوريال جرجس عضو مجلس الشيوخ ومندوبين من جميع البلاد من الاسكندرية الى الخرطوم يتقدمهم كثيرون من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب وأعيان القاهرة ، وكان هذا المؤتمر أول مؤتمر نظامى يعقد ، وبلغ عدد المجتمعين فيه ٢٤٠ عضوا يمثلون جميع البلاد بمقتضى توكيلات ، للاحتجاج على ترشيح الانبا يؤانس ، وترشيح القمص يوحنا سلامه للكرسى البطريركى ، ولكن أمرا ملكيا صدر فى ١٦ ديسمبر ١٩٢٨ بتعين الانبا يؤانس بتدخل من توفيق دوس باشا وبطريقة لاتتفق مع قوانين الكنيسة وتم تنصيبه بطريركا فى ١٦ ديسمبر ١٩٢٨ .

وكان القمص ابراهيم لوقا قد أسس مجتمع الاصلاح القبطى برئاسة نجيب باشا غالى فى أوائل عام ١٩٢٦ ، وجاهد فى يوليو ١٩٢٦ مع الدكتور سوريال جرجس عضو مجلس الشيوخ فى ذلك الوقت حتى تم إعادة تطبيق لائحة سنة ١٨٨٣ للمجلس الملى العام وذلك فى ٣٠ مايو ١٩٢٧ .

ويكتب القمص ابراهيم لوقا فى مذكراته بتاريخ ٢٠ / ١٢ / ١٩٢٨ يقول ..

اعتقدت ان فى تجربة فشل مسعانا وتعيين الانبا يؤانس بطريركا قد اخبرنا ما يأتى

١ - اظهار ثباتى فيه أمام التجربة المرّة بسبب ارتداد الكثيرين ، ومرارة الفشل ونصرة الاعداء ، ولم يكن فى التجربة من الاغراء على الشك فى محبة الله وأمانته وقدرة الحرب الداخلية .

ب حفظ إيماني فيه ، ورجاء الخلاص رغم انقطاع كل أمل فى الخلاص ثم ليظهر لى اختبار ...

١ -وعد الله بأن يحفظ الايمان فيه وسط الضيق مهما اشتدّ .

٢ -التسليم فى الوقت نفسه لمشيئة الرب .

٣ -مع الأمانة الكلية لحقة فى التصرف .

٤ -ان الله يستجيب لصلواتنا ولكن بحسب رأيه لا ارادتنا .

٥ -لذة الاضطهاد لأجل الله .

٦ -الشعور بالاكتفاء بالله عندما يتركنا الجميع .

وفى عام ١٩٣٠ حاول غبطة الانبا يؤانس تعديل لائحة ١٨٨٣ مرة اخرى ووقف موقفا عدائيا مع المجلس الملىّ العام ورغب فى حلّه ، ولكن القمص ابراهيم لوقا أعدّ العدة مع جمعية الاصلاح القبطى برئاسة نجيب غالى باشا ، وعقد اجتماع عام فى ٨ أبريل ١٩٣١ ونجح المسعى فى عدم تعديل لائحة ١٨٨٣ ، وفى فبراير ١٩٣١ تشرع البطريركية فى محاكمة القمص ابراهيم لوقا وتجريده ، وفى ذات التاريخ المحدد للمحاكمة ١٧ فبراير ١٩٣١ تصل هدية امبراطور الحبشة وانعامه عليه بنيشان الكوكب وماكان فى ذلك من القضاء على تهمة إثارة سخط الأحباش ضدّه ، وتضطر البطريركية لغضّ النظر عن المحاكمة .

تمثيل الكنيسة
فى مؤتمرى الحياة والعمل ، والايمان والنظام بانجلترا

وبتاريخ ٦ مايو ١٩٣٧ أصدر قداسة البابا يؤانس كتابا الى القمص ابراهيم لوقا يقول ..

بعد منحكم البركات الرسولية ، يسرنى أن تنوبوا عنا فى تمثيل كنيستنا القبطية الارثوذكسية لدى مؤتمرى الحياة والعمل ، والايمان والنظام المزمع انعقادهما فى اكسفورد وادنبره فى يوليو وأغسطس ١٩٣٧ .

سلام الرب معكم ونعمته تشملكم دائماً .

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

يؤانس

وكانت هذه الفرصة العظيمة مكسبا لكنيستنا القبطية الارثوذكسية ، فقامت بواجبها ككنيسة لها مركزها بين الكنائس إذ اشتركت مع باقى الكنائس الارثوذكسية فى الهيمنة على مبادئها وتعاليمها .. وأثبتت شخصيتها واحتفظت بكرامتها بملء كرسيها وارتفاع صوتها ، وتفاضلت نعمة الله بانتخاب الايغومانس ابراهيم لوقا بين أعضاء اللجنة الدائمة بما يضمن بقاء اسم كنيستنا قائما ماقامت لذلك المؤتمر قائمة .. وقد قدّمت كنيستنا للعالم المسيحى فكرة حسنة عنها وأظهرت رغبتها الصادقة فى القيام بواجبها نحو المسيحية وخيرها ، وأنها بذلك ليست أقل كفاءة أو استعدادا من سواها .

وقد كان الحضور فى هذين المؤتمرين فرصة لنشر تعاليم كنيستنا ومبادئها القويمة ، وإعلان تاريخها المجيد للعالم المسيحى الذى لم يكن الجزء الغالب فيه يعلم إلا النذر القليل عنها ، وقد وافق المؤتمر على طبع المحاضرتين اللتين أعدهما القمص ابراهيم لوقا بالانجليزية على نفقته بصفة خاصة ، وكان وموضوعهما .. الكنيسة القبطية ... تاريخها وتعاليمها ..

وما أن بلغ مسامع البابا يؤانس هذا المجهود حتى أرسل الى القمص ابراهيم لوقا رسالته المنشورة صورتها بعد ..

واستمر الآب ابراهيم يناضل فى سبيل نهضة الكنيسة العامة ورفعة شأنها فى كافة النواحي .

مع البابا مكاريوس الثالث

وعقب نياحة غبطة البابا يؤانس فى ٢١ يونيو ١٩٤٢ رشح نيافة الأنبا يوساب مطران كرسى جرجا للكرسى البطريركى ، إلا أنه تم انتخاب الانبا مكاريوس مطران كرسى أسيوط فى ٤ فبراير ١٩٤٤ ، ويبدأ صراع جديد بين قداسة البطريرك والمطارنة والمجلس الملى العام .. ويتدخل الايغومانس ابراهيم لوقا للتوفيق بينهم .. فى موضوع الأوقاف .

وفى ٢٥ سبتمبر أرسل البابا مكاريوس الى الجرائد بيانا يقرر فيه اعتزاله الكرسى البطريركى وتقريره البقاء بدير الانبا انطونيوس بسبب المشاكل التى لم يستطع حلّها ، وبسبب اشتداد المرض عليه وأنه انتدب بالنيابة عنه لادارة الشئون الدينية لجنة من الانبا بطرس مطران سوهاج والانبا ديمتريوس مطران المنوفية والانبا توماس مطران الغربية على أن يكون القمص ابراهيم لوقا سكرتيرا لها ، ولجنة أخرى لادارة الشئون المدنية من الدكتور المنياوى باشا والدكتور نصيف سيدهم والاستاذين عزمى نوار وحسنى جورجي وأنه مصرّ على رأيه وسيبقى فى الدير حتى يدفن فيه ، ولن يقبل أى مفاوضة فى الأمر .

وهكذا توجد الكنيسة فى وضع شاذ ويسارع جميع اقطاب الكنيسة للوصول الى حلّ دون جدوى .

ويتم انتخاب جديد لأعضاء المجلس الملى العام .. ويعود البابا مكاريوس الى كرسيه مساء الأحد ٢٤ ديسمبر ١٩٤٤ . ثم يعيّن القمص ابراهيم لوقا عضوا بالمجلس الاكليريكى ، وبالتالى يكون عضوا بالمجمع المقدّس للكنيسة .

وتنيّح البابا مكاريوس الثالث فى ٣١ أغسطس ١٩٤٥ ، ويعيّن الأنبا اثناسيوس مطران كرسى بنى سويف قائمقام بطريركيا .

عهد البابا يوساب الثانى

ويرشح القمص ابراهيم لوقا نيافة الأنبا يوساب بطريركا مرة ثانية ويتم نجاح مسعاه ، حيث ينتخب فى ١٢ مايو ١٩٤٦ ، ويعيّن الايغومانس ابراهيم لوقا وكيلا بطريكيا فى ٢٢ مايو ١٩٤٦ ، حيث بدأ وكالته باعداد البرنامج الاصلاحى للبابا يوساب الثانى ويعلنه فى الرسالة الرعوية التى ألقاها فى حفل تتويج وتنصيب البابا يوساب .

ويعتقد الايغومانس ابراهيم لوقا أن الفرصة قد سنحت له لينفّذ رسالة الاصلاح فى جميع نواحى الكنيسة ومرافقها ، حيث يتجمّع معه صفوة الاقباط وكبار المفكّرين منهم ، الكل يعمل فى دأب ونشاط من أجل أن تتبوأ الكنيسة مجدها فى هذا العهد ، وتتشكل الهيئة الاستشارية للنهضة الاصلاحية بكتاب صادر من قداسة البابا .. من أعضاء من المطارنة والاكليروس ومن أراخنة الشعب المشهود لهم بالتقوى والسيرة الفاضلة والغيرة على الكنيسة ورجاحة الفكر .

الهيئة الاستشارية للنهضة الاصلاحية

اختصاصاتها :

١ – تنظيم البرنامج الاصلاحى ، ووضع النظم اللازمة لتحقيقه .

٢ – دراسة اللوائح التشريعية ، ووضع المشروعات السليمة ، واتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ ماينتهى الرأى فيها .

٣ – دراسة المشاكل الكنسية العامة ووضع مقترحات حلّها .

٤ – تنظيم الرعاية ، واطلاع الشعب على نظمها ، والحصول على كل معاونة لازمة لتحقيق البرنامج الاصلاحى .

وتكون مهمة هذه اللجنة استشارية حيث تقدّم تقاريرها لقداسة البابا لتقرير مايراه .

نظام العمل :

تختار اللجنة أربع لجان فرعية .. اللجنة التشريعية ، لجنة المشروعات ، لجنة الرعاية ، اللجنة المالية .

١ – تختص اللجنة التشريعية بدراسة اللوائح التشريعية ووضع مشروعات تعديلها وفقا للصالح العام بما يحق مصالح الشعب والكنيسة .

٢ – وتختص لجنة المشروعات بدراسة البرنامج الاصلاحى ووضع المقترحات الخاصة بتنظيمه وفى مقدمتها تنظيم العضوية الكنسية .

٣ – وتختص لجنة الرعاية بتنظيم الرعاية اللازمة لانارة الرأى العام ودعوته لتشجيع المشروعات الاصلاحية ومساعدتها .

٤ – وتختص اللجنة المالية بوضع الميزانيات المطلوبة للمشروعات الاصلاحية وتنظيم جمع المال اللازم لتنفيذها .

وفيما يلى اختصاصات اللجان المختلفة ..

اللجنة التشريعية

ا – تشريع :

— لائحة ترشيح وانتخاب البابا البطريرك .

— قانون المجلس الملى العام .

— تعديل قانون الأحوال الشخصية .

— لائحة لمحاكمة الاكليروس .

— وضع « كود » بقوانين الكنيسة .

ب – تحقيقات :

— الشكاوى المقدمة فى حق الاكليروس ، ثم رفعها لقداسة البابا أو المجلس الاكليريكى

— النظر فى شكاوى الاقباط والعمل على علاجها لتحقيق الوحدة الوطنية بين المواطنين

— تراخيص الكنائس

— التعليم الدينى فى المدارس

لجنة المشـروعات

وتختص بالنظر فى المشروعات الثقافية ، والانشائية ، والدينية .

المشروعات الثقافية : ا — الثقافة الدينية :

— كلية اللاهوت العليا .

— أكليريكية متوسطة .

ـ اكليريكية بكل دير للرهبان .
ـ ارسال البعثات لاعداد هيئات التدريس .
ـ معهد المرتّلين .
ـ نشر مخطوطات الآباء .

ب ـ الثقافة التعليمية :

ـ المعاهد التجارية والصناعية والزراعية .
ـ التعليم الدينى فى المدارس وزيادة العناية به .
ـ إحياء اللغة القبطية .

جـ ـ الثقافة الاجتماعية :

ـ المحاضرات .
ـ النشر .. الصحف والمجلات .
ـ النادى .

المشروعات الانشائية : ا ـ المدينة المرقسية :

ـ الكاتدرائية .
ـ القصر البابوى .
ـ الديوان البابوى .
ـ المكتبة .
ـ دار الضيافة .

ب ـ التعليم :

ـ المعاهد المختلفة .
ـ منازل الطلبة .
ـ النادى .

المشروعات الدينية : ـ تنظيم الرعاية ، وتنظيم مرتبات ومعاشات الكهنة ورجال الدين وتنقلاتهم .
ـ تنظيم العضوية الكنسية ، إنشاء السجلات المختلفة .. عضوية ، عماد ، تناول ، زواج ، وفاة ... مجانية الخدمات .

ـ تنظيم الكنائس ، مجالس الكنائس ومراقبة أعمالها .
ـ تنظيم الأديرة .
ـ تنظيم أديرة الراهبات ـ تخريج ممرّضات ، مرنّمات ، معزيات ، عاملات تطريز وخياطة للأدوات الكنسية (غزالة) .
ـ الكنيسة فى الخارج .
ـ تنظيم الموالد .
ـ الوعظ المتجوّل والمذبح المتنقّل .
ـ العلاقات المسكونية .
ـ الاشراف على الكتب والمجلات الدينية .

لجنة الدعاية

ـ الدعاية للمشروعات الاصلاحية والحثّ على التبرع لها .
ـ اثارة الرأى العام فى الشئون القبطية .
ـ احاطة الرأى العام بما يبذل من جهود وما يتم من مشروعات .
ـ نشر المقترحات والآراء التى لها علاقة بالنهضة القبطية .

وسائل الدعاية : ـ الصحافة .... الجريدة القبطية .
ـ النشرات .
ـ الخطب والمحاضرات .

اللجنة المالية

ميزانية الانشاء : ـ تبرعات الأديرة .
ـ تبرعات الشعب من انحاء الكرازة ـ الصندوق العام .
ـ رحلة بابوية ونشرات بابوية .

ميزانية الانفاق الدائم : ـ اشتراكات سنوية من الشعب .
ـ اشتراكات سنوية من الأديرة والاقاف .

ميزانية القصر البابوى : ـ موظفو القصر .
ـ تكاليف القصر .
ـ الاحسانات .
ـ الاجراءات اللازمة لتكوين الصندوق العام .

الصندوق العام
لمشروعات الكرازة المرقسية

« .. فعملوا صندوقا وجعلوه فى باب بيت الرب خارجاً .. ففرح كل الرؤساء وكل الشعب ، وألقوا فى الصندوق حتى امتلأ » أيام ثان ٢٤ : ٨ – ١٠

• ينشأ هذا الصندوق لتحقيق رسالة الاصلاح ، وتمويل المشروعات الانشائية ذات الصفة العامة مثل الكاتدرائية — القصر البابوى — الديوان — دار الضيافة — الكرازة — المكتبة — الوعظ المتجول — العضوية الكنسية ..الخ

• يساهم ابناء الكنيسة فى جميع انحاء الكرازة فى الصندوق بجزء من عشورهم قيمته السنوية لاتقلّ عن عشرة فى المائة منها (عشر العشور) .

والعشور دين على كل مسيحىّ لله ، ولما كان على كل مسيحى التزامات من نحو كنيسته المحلية والأعمال الخيرية فى منطقته ومن نحو أهله وعشيرته ، يراعى أن يفتح الصندوق العام بعشر العشور على الأقل ، وهو ليس بالشىء الكثير فهو أقل مايمكن أن نعبّر به عن حبّنا لكنيستنا ووفائنا لها ، وتقديرا لحياتها ونهضتها .

ان رسالة الاصلاح مهمّة تضعها فى اعناقنا أمانتنا لله ولكنيستنا وللدماء التى أراقها شهداؤنا رخيصة فى سبيل مجدها ، ثم مسئوليتنا عن نحو الأجيال القادمة .

• تكوّن لجنة للصندوق العام بقرار من قداسة البابا المعظم ، برئاسته أو من ينتدبه من الآباء المطارنة والأساقفة ، وعضوية ٣ من الآباء المطارنة أو الأساقفة ، ٢ من الكهنة ، ١٠ من الأراخنة .. وينتخب من بين أعضاء اللجنة مقرر ، وأمين للصندوق .

• وتجتمع لجنة الصندوق العام مرة كل شهر .

• يعيّن أحد المحاسبين مراقبا لحساباتها .

• تشكّل لجنة الصندوق العام لجانا فرعية على حسب الحاجة .

الاستقالة من الوكالة البطريكية

ويكتب الايغومانس ابراهيم لوقا كتاباته الخالدة بعنوان آلام ودموع ... الكنيسة الجريحة .. ويقول ..

وكانت فرصة اعتلاء البابا يوساب كرسى مار مرقس فرصة ذهبيّة للكنيسة ، وكان الأمل أن يكون ذلك العهد عهد خير وإسعاد تخلص فيه الكنيسة من متاعبها وتستعيد فيه مجدها وتعود الى سابق عهدها ، وذلك للاستعداد الطيّب الخاص الذى لمسه الشعب

فى قداسته ، وعلى أساسه أولاه ثقته واختاره لرعايته .. وكانت الآمال الكبار تجيش فى صدر القمص ابراهيم لوقا بأنه فى ذلك العهد لابد واصل الى تحقيق ما يرجوه للكنيسة من نهضة تتجدد بها حياتها وتتحرر من مذلتها وتخلص من متاعبها وضيقاتها .

وكان تحقيق هذه الآمال ميسوراً لابل ومنتظراً .. لولا أن قوما رأوا فى عطف قداسته عليهم فرصة مواتية لتحقيق شهواتهم الخاصة ، فاستغلّوا طيبة قلبه وسلامة نيّته فتظاهروا بالولاء والاخلاص لقداسته كما تظاهروا بالاخلاص لله ولكنيسته ، فراحوا فى لهجة معسولة وتمثيل متقن يدفعون عن أنفسهم كل اتهام ، ويقسمون بأغلظ الايمان بأنهم منه ابرياء ، وانهم ضحية الوشاية والافتراء .. أحاط بقداسته هذا الفريق من الناس الذى لايفكّر فى موت ولا يحسب حساب دينونة أحاطة السوار بالمعصم ، فلما أنست أنها أتقنت الدور وصارت موضوع ثقته أقامت من مجموعتها صحابة خاصة له وأصبحت هى أهل مشورته ....

وكان من هذا الوضع الخطر على الكنيسة ومصلحتها أن يتم فيها قول حبقوق النبى « لذلك جمدت الشريعة ولايخرج الحكم بتة لان الشرير يحيط بالصديق فلذلك يخرج الحكم معوجا » .

وراحت الحوادث المفجعة تترى ، الواحدة بعد الأخرى .. وفى كل حادثة منها صفعة للكنيسة ووجيعة ، وفى كل حادثة منها كارثة وفجيعة .

ومرة وقفت استير تخاطب الملك وتقول له « لأننى كيف استطيع أن أرى الشر الذى يصيب شعبى ، وكيف استطيع أن أرى هلاك جنسى » واليوم والكنيسة الجريحة تعانى ماتعانية من آلام وكوارث .. اليوم يشعر ابناء الكنيسة المخلصون لها بواجبهم من نحوها فيهبّون لنجدتها من مشورة الأشرار وخلاص شعبهم مما يعانيه من المذلة والعار ..

عند هذا لم أجد حلا إلا أن أسحب نفسى من جوّ كهذا لاقبل لى به ولا مقدرة على مباراته ، فرفعت استقالتى لقداسة البطريرك فى ١٠ سبتمبر ١٩٤٦ ، وفى هذه الاستقالة كتبت لقداسته :

« لما تفضلتم قداستكم وأوليتمونى شرف الوكالة شعرت أنى رزحت تحت عبء ثقيل ، ولكنى صدعت للأمر وأنا أرجو أنى سأستطيع أن أؤدى خدمة نافعة لقداستكم وللكنيسة ، عل أن المدة التى قضيتها قد أثبتت لى أنى لن استطيع أن أتمم رسالتى واضطلع بالمسئولية التى يفرضها هذا المركز الخطير ... لهذا أتشرف بأن ارفع استقالتى الى قداستكم »

على أن قداسة البابا رفض قبول الاستقالة وأصر على بقائى بمنصبى فصدعت للأمر ..

ولكن المسائل ازدادت سوءا ، فأرسلت لقداسته فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٦ رسالة عن طريق صديق فاضل شرحت فيها المساوىء الجارية ورأيى فى علاجها ...

وزادت الحالة سوءاً فرأيت أنه لاعلاج لها إلا أن يجرى قداسة البطريرك تحقيق فى التهم الموجهة الى تلك الجماعة .. فإن كانوا أبرياء ظهرت براءتهم واستراح ضميرى للبقاء ، وإن كانوا مذنبين قام قداسته بتطهير الجو حيث تسترد الكنيسة كرامتها وتستقيم الأمور لمصلحتها ، فكتبت لقداسته فى ٢٣ يناير ١٩٤٧ رسالة جاء فيها :

« ... عندما اقتضت ارادة الله أن أقوم بعمل الوكالة البطريركية ، أقبلت على هذه المهمة وقلبى فائض بالآمال الواسعة أنه ستتاح لى فرصة طيبة لأقدم لكنيستى ثم لشخصكم الكريم خدمة نافعة ، على أن الحوادث التى جرت متابعة جعلتنى مع الأسف ضعيف الأمل فى تحقيق أمنيتى كما جعلتنى أتوقع الفشل فى مهمتى .

فمحبة المال التى هى أصل الشرور قد سيطرت على قوم ممن يحيطون بقداستكم ، وتحقيقا للمصالح الشخصية أصبحت تقدّم المشورة الخاطئة ، فديست المبادىء المقدسة وانتصر الشر والفساد ، وكل هذا فى الوقت الذى كان الناس فيه ينظرون الى العهد الحالى كالعهد الذهبى الذى فيه تتم عملية التطهير فى الكنيسة وفق مشيئة الله الكاملة المرضية .

يضاف الى هذا ما باتت تلوكه الالسنة عن سياسة المؤامرات التى تحاك وفق المصلحة ، ثم مايشاع عن الرجس فى جو البطريركية ، وأن خطية ابناء عالى أصبحت ترتكب داخل اسوارها .

وقد صارحت قداستكم بهذه الأمور أحيانا بالتصريح وأخرى بالتلميح ، وكنت اتوقع أن أجد من قداستكم ، لا تسليما مطلقا بما أقوله ، ولكن عناية فى التحقيق تكشف عن الحقيقة ، ولكنى كنت مع الأسف لا أجد إلا اعراضا كما لو كنت أشكو مغرضاً .

وقد استغل اصحاب الأغراض طيبة قلبكم وصفاء سريرتكم وحسن ظنكم استغلالاً سيئاً فأمعنوا فى سياسة المشورة الخاطئة تحقيقا للمصالح الشخصية لدرجة لم أعد مستريحاً لها .

وظهر على الضيق والتبرم .. وهنا أحسست بأن موقفى قد أسىء فهمه إذ صوّر أصحاب الأغراض لقداستكم ان المسألة مسألة خصومة شخصية تدفعنى للتحامل والاتهام ،والله الذى يعرف سرائر الناس يعلم أنها ليست مسألة خصومة شخصية ، ولكنها مسألة المبادىء الصالحة التى تمتهن ، ومصلحة الكنيسة التى يعبث بها ، وكرامة الكرسى التى تمس .. وتلك حالة لايمكن السكوت عليها ، وانى أعتبر فى السكوت خيانة لله وللكنيسة .

وعلى ذلك جئت برسالتى هذه ألتمس من قداستكم التحقيق فى قضية هى قضية الكنيسة .. فإن ثبت الاتهام وجب تطهير الجو فى البطريركية من أسباب الفساد ، حتى يفسح الطريق لتحقيق رسالة الاصلاح .. وإلا فأرجو أن تتفضلوا بقبول استقالتى ، أما أن تأمرونى بالبقاء وفى الوقت ذاته لاتعملون على ما فيه راحة ضميرى وإفساح مجال العمل أمامى فأظن أنى ما أتيت إثما لأجله استحق هذا العذاب النفسى .

.. ولكن الأمور سارت من سىء الى اسوأ ..

وقد لمس كل من كان له اتصال بقداسة البطريرك رغبة صادقة فى تحقيق رسالة الاصلاح ، أو على الأقل وضع الحجر الأساسى للنهضة الأصلاحية فى عهده بما يمهد السبيل لتحقيقها فى المستقبل .

وقد أقر قداسته فكرة تكوين هيئة للنهضة الاصلاحية ، وأقر غبطته هذه الفكرة ، وفى مارس ١٩٤٧ أصدر أمره بتكوين « الهيئة الاستشارية للنهضة الاصلاحية » على رأسها ثلاثة من الآباء المطارنة ..

وقامت الهيئة بمجرد تكوينها بوضع برنامج مفصل لجمع المال اللازم لتنفيذ البرنامج الانشائى للمشروعات الاصلاحية فى مدة لاتتجاوز الخمس سنوات ..

ووضعت لذلك مشروعا اسمته « الصندوق العام » ووضعت له كل مايتعلق به من نظم ومطبوعات .

ولكن هذا البرنامج الطويل العريض بما كان يحيطه من أمل واسع كبير ما لبث أن انهار من أساسه وضاعت معه الآمال الواسعة التى كانت تحيط به ، فقد تحول الى فتور ، وهذا الفتور مالبث حتى انقلب الى نفور .

ولفظت الالسنة كثيرا بأن هذه الهيئة لاتتمتع برضاء قداسته وأنها متهمة بأنها أرادت أن تكون هيئة وصاية عليه ..

لقد كان موقف هذه الهيئة كما يشهد الله بريئا كل البراءة من كل ما نسب اليها ، بعيدا كل البعد عن الصورة التى ألقيت عليها ، فهى ما أرادت إلا خدمة خالصة مخلصة لله وللكنيسة ، كما أنها ماأرادت إلا أن تضع جهودها بين يدى قداسة البابا لتحقيق رسالته فى احترام كامل لحقوقه وتقدير تام لكرامته .

ولو أن هذه الهيئة تمتعت برضائه وتأييده لكانت رسالته الاصلاح قد شقت طريقها نحو بلوغ غايتها وتحقيق أهدافها ..

ايغومانس لوقا

هكذا كان الايغومانس ابراهيم لوقا قائد نهضة اصلاحية أسسها دعائم روحية قوية ، ولأنه كان عدوا للفوضى محاربا للفساد أينما وجد ، مقاوما للشر حيثما كان ومع أى انسان ، لذلك استقال نهائيا من الوكالة البطريكية فى ٢ يوليو ١٩٤٧ وأظهر المساوىء التى لحقت بالكنيسة من الحاشية البطريركية .

وكم كان تأثير هذه الاحداث [illegible] ما على ابينا ابراهيم — حتى كثيرا ماكان يبكى من هول ماحدث فيها مرددا قول ارميا النبى « ياليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع فأبكى نهارا وليلا قتلى بنت شعبى » ولكنه لايقطع الأمل فى أن يتمم الرب رسالته من نحو كنيسته فى الموعد الذى يراه ..

تمثيل الكنيسة فى المجلس العام للكنائس

فى ١٧ مارس ١٩٤٨ أصدر إليه قداسة البابا يوساب تكليفا لتمثيل الكنيسة القبطية الارثوذكسية فى مؤتمر امستردام بهولندا فى المدة من ٢٢ أغسطس الى ٤ سبتمبر ١٩٤٨ ، وفى هذا المؤتمر أعلن تكوين مجلس الكنائس العالمى ، وانتخب الايغومانس ابراهيم لوقا عضوا فى اللجنة العامة الرئيسية للمؤتمر ، وهى تجتمع مرة كل عام لتنفيذ برامج المؤتمر واعداد جداول أعماله فى الاجتماعات التالية .

الايغومانس ابراهيم لوقا وأثيوبيا

كان من ضمن اهتمامات الايغومانس ابراهيم لوقا تنمية العلاقات بين الكنيسة القبطية الارثوذكسية الأم والكنيسة فى اثيوبيا ، وكان يظهر عطفه المستمر على الطلبة الاثيوبيين الذين كانوا يتلقون تعاليمهم بمصر ، واوجد علاقات محبة أبوية بينهم وبينه فكان يداوم على زيارتهم والسؤال عنهم وتقديم الخدمات اليهم منذ عام ١٩٢٨ .. وكان توطيد العلاقات بين الكنيستين وبالتالى بين الشعبين المصرى والأثيوبى لابد أن يكون له أكبر الآثار ، فهؤلاء الطلبة الغرباء هم الذين سيكونون فى المستقبل قادة لبلادهم ، علاوة على أن الواجب الدينى والانسانى الذى أظهره القمص ابراهيم من ناحية اولئك الطلبة كان له أثر بالغ فى نفوسهم ، فلما بلغ مسامع جلالة الملك هيلاسلاسى ماصنعه معهم كان له وقعا حسنا لدى جلالته مما جعله ينعم عليه بالنيشان الذهبى المعروف بنيشان الكوكب ، وقد تسلمه قداسته من يد صاحب النيافة الأنبا بطرس اسقف مقاطعة الوللو فى ١٧ فبراير سنة ١٩٣١ ومعه خطاب باللغة الحبشية من جلالته ، وكتابين من مكتبته الخاصة هدية لقداسته ... يقول الخطاب :

من الأسد الخارج من سبط يهوذا هيلاسلاسى الأول المعيّن من الله ملك ملوك اثيوبيا الى الاب لوقا .

كيف حالكم ؟ .. نحن بنعمة الله على أحسن حال ، قد تسلمت رسالتكم ومعها الصندوق الفضى وبداخلة التوراة التى لأجلها أشكركم كثيراً جداً ، ولأجل التذكار ارسل لكم كتابين من مكتبتنا الخاصة لتضعوهما بمكتبتكم ووساما ذهبيا منقوش عليه رسمنا .. أرجو أن تذكرونى فى أقات صلواتكم .

هيلاسلاسى

وتمر الأيام وتأتى محنة الاحتلال الايطالى للحبشة ، فيتألم الشعب القبطى لذلك ويشارك الاحباش فى ضيقتهم وآلامهم ، ولما كان الايغومانس ابراهيم لوقا فى لندن فى صيف عام ١٩٣٥ تعاون مع سعادة عثمان محرم باشا والاستاذ قرياقص ميخائيل فى عمل

ترتيب اسماع صوت مصر بانجلترا فأقاموا مأدبة عشاء بمجلس العموم البريطانى تكريما لوزير الحبشة فى لندن فى اغسطس ١٩٣٥ ، وكان القمص ابراهيم قد القى خطابا فى مجلس العموم عن المشكلة الحبشية الايطالية فى ٢٢ يوليو ١٩٣٥ .

وفى ٥ سبتمبر ١٩٣٧ انتهز ابونا لوقا فرصة وجوده بلندن لحضور مؤتمرى النظام والعمل واشترك مع بعض كبار الاقباط الموجودين بلندن فى دعوة جلالة الملك هيلاسلاسى لمأدبة غذاء بجزيرة تاج على نهر التايمز ، وكان قد زار جلالته فى ٢١ أغسطس ١٩٣٧ وقد شكره جلالته على رعايته للأثيوبيين الموجودين بمصر أثناء الحرب الايطالية فكان لهم نعم الأب الحنون .

وتنتهى الحرب الايطالية الحبشية ، ويعود الامبراطور هيلاسلاسى الى عرشه فى ١٤مايو ١٩٤١ فيطلب توطيد العلاقات بين الكنيستين الأثيوبية والمصرية بعد الاحداث المؤسفة التى اجتازتها الكنيسة الحبشية إبّان الاحتلال الايطالى فى نوفمبر ١٩٣٧ حيث قبل الاسقف ابراهام اسقف مقاطعة فوجام تعيينه بطريركا على الحبشة واستقلت الكنيسة الحبشية عن الكنيسة المصرية ، وماتبع ذلك من اجتماع المجمع المقدس فى ديسمبر ١٩٣٧ وحرمانه وفرزه للاسقف المذكور مع حرمان المطارنة والأساقفة الذين قبلوا رتبهم الدينية ممن لايملك حق منحها .. وصلت رسالة الامبراطور الى نيافة الانبا يوساب قائمقام البطريركية بعد نياحة البابا يؤانس مباشرة فدعى المجمع المقدس للاجتماع وأصدر قراراته برفع الحرمان الموقع على الكنيسة الحبشية عام ١٩٣٧ ، وتصحيح المركز الدينى لها ، وبطلان أى تصرف مخالف للقوانين والتقاليد الكنسية الخاصة بعلاقة الكنيسة الأثيوبية بأمها الكنيسة القبطية ، وخضوعها لقداسة بطريرك الكرازة المرقسية دون سواه .

وفى يونيو عام ١٩٤٤ طلبت اثيوبيا تعيين مطران اثيوبى بعد انقضاء عهد الانبا كيرلس مطرانها فى ذلك الوقت ورسامة خمسة أساقفة اثيوبيين ، وكان البابا مكاريوس الثالث قد أوفد بعثة الى اثيوبيا برئاسة الأنبا تيموثاوس واستمرت المفاوضات بين الكنيستين دون نجاح حتى أوفد قداسة البابا يوساب الثانى الدكتور ابراهيم المنياوى باشا وكيل المجلس الملىّ العام والقمص ابراهيم لوقا الوكيل البطريركى الى اثيوبيا للمفاوضة فى المسائل المعلقة بين الكنيستين ، خاصة مسألة رسامة الأساقفة الاثيوبيين وذلك فى الفترة من ٢٤ يوليو الى ٣ أغسطس ١٩٤٦ إلا أن المفاوضات تعثرت وعادت البعثة دون نجاح .. واستمر الايغومانس لوقا يسعى جاهدا فى سبيل الوصول الى حلّ ، وداوم الاتصال بجلالة الامبراطور الذى كان يثق فى قداسته ثقة كاملة .

وقد كان لسفر الاستاذ حافظ داود (القس مرقس داود) سكرتير عام جمعية أصدقاء الكتاب المقدس الى أديس ابابا فى ١٥ أغسطس ١٩٤٤ ليعمل مديرا للمدرسة الاكليريكية بأديس ابابا أكبر العون فى اتمام الاتصالات برجال الكنيسة والقصر .

ويجتمع المجمع المقدس فى ٢٢ يوليو ١٩٤٧ ويقرر مايعزز الاتحاد المقدس بين الكنيستين ويديم الصفاء بينهما ، وانتدب قداسة البابا يوساب نيافة الانبا كيرلس مطران قنا

والايغومانس ابراهيم لوقا لمقابلة القائم بأعمال المفوضية الاثيوبية وابلاغه ذلك .. وتستمر المفاوضات الى ١٢ يوليو ١٩٤٨ حيث تم الوصول الى الاتفاق الكامل بين الكنيستين وأصدر المجمع المقدس قراراته التاريخية التى تحدد العلاقات بين الكنيسة فى اثيوبيا والكنيسة المرقسية فى مصر وهى :

١ - يتم اختيار المزكى مطرانا لاثيوبيا من الاثيوبيين الرهبان أو الاساقفة ممن تنتخبهم الكنيسة الاثيوبية ، وبعد اعتماد جلالة امبراطور اثيوبيا .

٢ - رسامة ووضع اليد على المطران الاثيوبى تظل من اختصاص البابا السكندرى .

٣ - يتم اختيار المزكين لرتبة الاسقفية من رهبان الاديرة والكنائس طبقا للقوانين ، على أن يكون مشهوداً لهم بالكفاءة والخبرة والسيرة .

٤ - يخول لمطران اثيوبيا سلطة رسامة الأساقفة الاثيوبيين بعد رفع قرار بذلك الى قداسة بابا الاسكندرية وموافقة جلالة الامبراطور ، ويصدر البابا السكندرى مرسوما بطريركيا يخول للمطران الاثيوبى بالاشتراك مع الاساقفة فى رسامتهم دينياً ووضع اليد عليهم بعد توقيعهم على تعهد بأن يظلوا أمناء للعقيدة الارثوذكسية وللقوانين الكنسية وبعدم تنصيبهم بطريركا لهم .

٥ - يقوم بمهمة الاتصال بين كنيسة الاسكندرية وكنيسة اثيوبيا مندوب من رجال الاكليروس من قبل بابا الاسكندرية وهو بحكم اختصاصه ينقل الى المطران الاثيوبى المرسوم البطريركى الذى يمنحه سلطة رسامة الأساقفة الجدد كما ينقل الى البابا التعهد السالف الذكر المأخوذ على الأساقفة فى محضر رسامتهم .

وتنتهى هذه المشكلة بسيامة خمسة أساقفة بتاريخ ٢٥ يوليو ١٩٤٨ وتعود الروابط القوية بين الكنيستين وذلك بفضل الجهود المتفانية التى قام بها القمص ابراهيم لوقا فى سبيل تقريب وجهات النظر وتحقيق الاتفاق .

وتلبية لدعوة خاصة من جلالة الامبراطور هيلاسلاسى سافر القمص ابراهيم لوقا الى اديس ابابا فى ١٦ يناير ١٩٤٩ لينزل ضيفا على جلالته مدة الزيارة ، حيث قام بدراسة مشروعات مشتركة بين الكنيستين لتقوية للنهضة الروحية والعلمية والطبية والتجارية والزراعية ، والعمل على أن توفد الكنيسة القبطية « ارسالية مارمرقس » لأثيوبيا ، ويحتفى جلالة الامبراطور ورئيس وزرائه وكبار رجال الكنيسة والشعب بالقمص ابراهيم لوقا احتفاء كبيرا بشبه الاحتفاء بالعظماء والملوك .

وبتاريخ أول مارس ١٩٤٩ أنعم عليه جلالة الامبراطور هيلاسلاسى بنيشان نجمة أثيوبيا من طبقة ضابط عظيم وهو من أرفع النياشين وبعباءة امبراطورية ، وقد تفضل وقلده هذا النيشان بيده الكريمة فى هذا التاريخ .

وعاد قداسته الى مصر بعد حفاوة بالغة منقطعة النظير فى ١٢ مارس ١٩٤٩ ، حيث تقدم الى قداسة البابا برجاء تأليف « لجنة الشئون الخارجية » لتقوم بتوطيد العلاقات بين



الايغومانس ابراهيم لوقا بعد القداس فى اديس ابابا

الكرسى المرقسى والرعوية التابعة له فى انحاء أفريقيا ، فتفضل قداسته بتأليف تلك اللجنة لتعمل تحت رعايته وبرئاسة نيافة الأنبا باخوميوس أسقف الدير المحرق وعضوية القمص ابراهيم لوقا والسادة اسحق عبد السيد ، دكتور مراد كامل ، نبيه يوسف ، سعد فخرى عبد النور ، مترى رزق ، ابراهيم بشارة ، عبد الشهيد يسى وذلك فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٩ ، ويكون من مهمتها تدعيم العلاقات بين الكرسى المرقسى وبين المطرانيات التابعة له ، وعلى رأسها مطرانية أثيوبيا ، والقيام بكل الأنشطة اللازمة لنهضتها روحيا واجتماعيا ، وتنظيم مطرانيات بالجهات التى لم تنتظم فيها بعد كارتريا وجنوب أفريقيا وكينيا وأوغندا ونيجيريا .

ومشروع مثل هذا يحتاج فى بدء تكوينه الى مجهودات كثيرة ووقت طويل ، ومع الخطوات التى اتخذت لتنفيذه فإنها لم تحقق الأهداف المنشودة لمرض ابينا ابراهيم ثم انتقاله فى سنّة المبكر .



الحركة المسكونية

لقد جاء المسيح ليعلن للعالم تعاليمه عن المحبة التى هى عنوانه الكمالى ، والمحبة هى عمل مسيحى طبيعى .. وقد رأينا مسيحنا يصلى من أجل الوحدة المسيحية « ليكون الجميع واحداً » .. ولابد أن صلاة المسيح هذه سوف تستجاب فى الوقت المناسب وبالطريقة التى يراها ..

ومنذ الأيام الأولى لحياة الايغومانس ابراهيم لوقا وجد أن هناك جماعة تعمل من أجل الوحدة فعمل معها جاهدا وكان عضوا بارزا فى جمعية الاتحاد المسيحى بمصر .. كانت خدمة الصلاة المتحدة تقام سنويا فى أحدى الكنائس ، وما أحسن أن يجتمع الأخوة معا يرفعون الصلوات بالقلب الواحد لله .

ونهضة الاتحاد المسيحى ترمى الى أن تقترب كل كنيسة نحو الاخرى بروح المحبة والتفاهم ، وأن تعيش كل كنيسة مع الاخرى فى سلام وتعاون ، حتى يتسنى للكنائس المسيحية بأسرها أن تؤدى للعالم المضطرب الحائر رسالتها ، عاملة فى ذلك فى وحدة مقدسة كما يليق بها .

كما أن تلك النهضة ترمى الى غاية نهائية مجيدة تلك هى أن تعود بالمسيحية بأسرها الى ماكانت عليه فى العهد الرسولى الذهبى كنيسة واحدة وحيدة .

والانقسام فى المسيحية يعطل رسالتها ويحول دون إتمام مهمتها .. فهناك مشاكل عديدة روحية واخلاقية واجتماعية ، وعبء حلها إنما يقع على عاتقها ، وكان المقدر أن تؤدى المسيحية واجبها فى هذا السبيل ولكن أنقسامها يقضى على روح التعاون فيها ويجعلها فى حالة من الضعف تقصر معها عن اداء مهمتها .. وانقسام المسيحية الى مذاهب يعطل عملها التبشيرى للبعيدين عن حظيرتها ويكون عثرة كبرى فى سبيل قبول رسالتها .

والتبشير القوى الفعال إنما هو تبشير الحياة العملية لاتبشير الأقوال الكلامية ، وما دام العمل يناقض القول فمهما كان كلامنا بليغا وقويا ، فإنه يذهب أدراج الرياح بلا فائدة ولا جدوى ، ونحن نقدم المسيحية للعالم اليوم كديانة المحبة والوحدة والسلام ، على أن العالم إذ يرانا قد انقسمنا بعضنا على بعض الى شيع ومذاهب لايقيم وزنا لكلامنا ، بل كثيرا مايجعل هذا سببا للطعن فينا والتشهير بنا ، ويتخذه البعض برهانا ضد صدق رسالتنا ودعوتنا .

لنكتب فى المسيحية ولنشغل فى ذلك حيزا جهد استطاعتنا ، ثم لنعظ عن المسيحية ولنكرز فى كل مكان بها مستعملين فى ذلك كل بلاغة حسب طاقتنا ، ولكن لتبق المسيحية متفرقة متنافرة ، فستروح كرازتنا ضعيفة عاطلة وستكون مجهوداتنا فى ذلك ضائعة باطلة .

لنصمت عن الوعظ والكلام ، ولنكف عن التبشير والكرازة ، ولكن لننضم جميعنا الى وحدة مقدسة تحت علم المحبة — علم ربنا ومسيحنا — وعند ذلك سيرى العالم

المسيحية فى صورتها الرائعة وجمالها الحقيقى ، وعند ذلك سيتم القول المكتوب « لا قول ولاكلام لايسمع صوتهم ، فى كل الأرض خرج منطقهم والى أقصى المسكونه كلماتهم » مزمور ١٩ : ٣و٤ .

لهذه الأسباب مجتمعة رفع الرسول صوته عاليا يهيب بالمسيحيين عامه أن كونوا « مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام ، جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضا فى رجاء دعوتكم الواحد ، رب واحد ، إيمان واحد ، معمودية واحدة ، إله واحد واب واحد ، للكل على الكل وبالكل وفى كلكم » أفسس ٤ : ٣ — ٦

وهكذا رأينا القمص ابراهيم لوقا خادما أمينا لكنيسته وعقيدته ، فليس معنى الاشتراك فى الحركة المسكونية أن يناقض عقيدة كنيسته .. وقد قرأنا له فى مجلته « اليقظة » العديد من البحوث « الاكليزيولوجية » الكنسية التى يظهر فيها أنوار العقيدة الارثوذكسية وامتيازاتها وصدق تعاليمها عن الطوائف الأخرى .

وقد أشرنا فى الباب السابق الى ندب قداسة البابا يؤانس له لتمثيل الكنيسة القبطية الارثوذكسية فى مؤتمرى الحياة والعمل ، والايمان والنظام فى اكسفورد وادنبره ، صيف عام ١٩٣٧ ، وقد نشرنا صورة لكتاب البابا إليه شاكرا جهوده وأبحاثه فى هذين المؤتمرين .

كما أشرنا أيضا الى ندب قداسة البابا يوساب له تمثيل الكنيسة فى مؤتمر هولندا عام ١٩٤٨ والذى تأسس فيه مجلس الكنائس العالمى ، وانتخب القمص ابراهيم لوقا عضوا باللجنة التنفيذية له .

وبعد نياحة أبينا ابراهيم لوقا نشطت حركة المسكونية فى مصر نشاطا بالغا ، فأصبح للكنيسة القبطية الارثوذكسية أسقفا عاما هو المتنيح الانبا صموئيل ، وكان من ضمن اختصاصاته العمل المسكونى فى مصر وفى العالم ، فكان رئيسا للجنة الاستشارية للخدمات المسكونية فى مصر ، كما كان عضوا عاملا مع نيافة الانبا اثناسيوس مطران كرسى بنى سويف فى لجان مجلس الكنائس العالمى .

ومما يثلج القلب أننا تحدثنا يوما الى نيافة الانبا صموئيل قائلين « كنا نود أن يعيش ابونا ابراهيم لوقا الى اليوم الذى يرى فيه نجاح الحركة المسكونية فى مصر إلى حد اضطلاعكم والانبا اثناسيوس بهذه الجهود » فكان ردّه « لقد وضع ابونا ابراهيم البذرة وها نحن نتولى الزرع ليثمر .. وان لم يكن قد وضع هو هذه البذرة من كان يدرى ماذا كان يكون الحال اليوم وسط هذا النشاط العالمى المثمر » .

وهكذا رأينا الكنيسة القبطية وعقائدها الراسخة ومبادءها القديمة وقد عرفت بين الكنائس العالمية .. وحضر الى مصر مندوبون من جميع الكنائس لحضور حفل افتتاح الكاتدرائية المرقسية الجديدة فى عهد البابا كيرلس السادس ، وحفل تنصيب قداسة البابا شنودة الثالث .. ورأينا كذلك تأسيس مجلس كنائس الشرق الأوسط الذى تعتبر كنيستنا واحدة من دعائمه .

وهكذا رأيناك ياأبانا ابراهيم تعيش حقاً قبل جيلك بجيلين .

الدعوة الى الاتحاد الارثوذكسى

كان اتحاد الكنيستين الارثوذكسية الشرقية والغربية من أكبر أمانى القمص ابراهيم لوقا ، ذلك لشعوره بأن الكنيسة المسيحية أحوج ماتكون الى الوحدة والتعاون لعلاج المشاكل الروحية والايمانية والاجتماعية التى تواجهها بصفة عامة .. هذا من جهة .. ومن الجهة الأخرى كان يرى أنه ليس هناك مايبرر بقاء أى مظهر من مظاهر الخلاف بينهما .. وأن عناية يوليها الرجال المسئولون فى الكنيستين لبحث الخلاف الشكلى القائم بينهما لكفيل بالوصول فى فترة قصيرة الى التفاهم التام وتحقيق أمنية الاتحاد الكامل بينهما .. ولو أن رجالنا المسئولين فى الكنيستين عنوا بانتداب هيئة تضم فريقا من رجال اللاهوت فى كل منهما للتفاهم فى موضوع الخلاف المزعوم لأنتهت هذه الهيئة حتما الى القضاء على الخلاف القائم ، وأصبحت الارثوذكسية كتلة واحدة متحدة .

ولذلك بدأ فى نشر بحوثه عن الخلاف اللفظى بين الكنيستين فى عددى مجلة اليقظة من شهرى أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٧ .. كتب يقول :

بحوث اكليزولوجية

اتحاد الطبيعتين فى المسيح

قضية إتحاد الطبيعتين فى المسيح كانت — ولا تزال موضوع خلاف بين الكنائس المسيحية ، وهذه هى القضية الوحيدة التى تكاد تقف فيها الكنيسة القبطية وحدها .. وحتى الكنيسة اليونانية التى تتحد معها فى عقيدتها إتحادا وثيقا تختلف فى هذه القضية معها .

ولما كانت هذه القضية موضوع تساؤل الكثيرين فقد رأينا ان نكتب فيها كلمة موجزة لنعطى القراء فكرة عامة عنها .

الكنائس جميعا تتفق فى أصول عقيدة الاتحاد :

وأول مانذكره فى صدد هذه القضية هى أن الكنائس جميعها تتفق اتفاقا تاما فى أصول عقيدة الاتحاد فى المسيح . إن أصول هذه العقيدة هى أن الاتحاد القائم بين الطبيعتين فى المسيح قد تم دون اختلاط ولا امتزاج ولا تغير ولا انفصال ، أى أن كل طبيعة قد حفظت خواصها كما هى وكل منهما لم تنفصل وقتا ما عن الاخرى ، وهذا التعلم الذى تقول به الكنائس الاخرى بأسرها كما تقول به كنيستنا ، يدل على هذا اعترافها الذى ترفعه فى ختام خدمة سر الشكر « وجعله واحدا مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير . بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين » .

كنيستنا المقدسة وتمسكها بالعقيدة السليمة :

ومن عجب أن يوجه الاتهام للكنيسة القبطية بأنها انحرفت عن هذه العقيدة السليمة وانها تميل فى تعاليمها الى شىء من معانى الاختلاط بين الطبيعتين والمزج بينهما ، وهى لم تفعل شيئا من هذا فى أى مرحلة من مراحل تاريخها ، بل انها على العكس فلما قام أوطاخى ينادى بهذا التعليم الغريب تجندت لمقاومة بدعته وحكمت عليه بالفرز من الكنيسة هو وكل من شايعه فى هرطقته .

نقطة الخلاف بين الكنيسة القبطية والكنائس الاخرى :

أما نقطة الخلاف بين الكنيسة القبطية وغيرها من الكنائس فهى أن الكنائس الاخرى تفرّق بين المسيح الاله والمسيح الانسان ، فتخص ما للاهوت باللاهوت وحده وما للناسوت بالناسوت قائما بذاته ، أما كنيستنا القبطية فإنها ترفض هذا التفريق ، وتعلّم بأن كل ماله علاقة باللاهوت وكل ماله علاقة بالناسوت على حد سواء ، ينسب معا إلى الكلمة المتجسد دون توزيع ولاتفريق .

ومعنى هذا أن الاختلاف اعتبارىّ محض لايمس جوهر العقيدة وأصولها .

صحة نظرية الكنيسة القبطية :

وتقوم الادلة متجمعة على صحة نظرية الكنيسة القبطية فى هذه القضية ، وفيما يلى بيان موجز لهذه الأدلة :

١ – المنطق : لقد ركز آباء الكنيسة القبطية دفاعهم عن وجهة نظرها على أساس فكرة منطقية ، وهى اننا إذا فرقنا بين ماللاهوت وما للناسوت لانتهينا إلى نتيجة خطيرة تنهار معها نظرية الكفارة الميسحية من أساسها ، فنحن نؤمن ان كفارة المسيح كانت كفارة كافية لوفاء العدل الالهى لأنها كانت كفارة إلهية .. ومن المسلّم به ان اللاهوت لم يمت ولم يسفك دما لان الله ليس له لحم ودم .. وهو حى لايموت ، وإنما الذى مات هو الناسوت والدم انحدر من الناسوت .. ولكن لان هذا الناسوت كان متحدا باللاهوت اتحادا تاما سريا ، اعتبرنا الموت موتا الهيا والدم دما الهيا . ومن ثم اعتبرنا الكفارة كفارة الهية . تلك هى النتيجة التى نصل اليها بنظرية الكنيسة القبطية التى تعلم بعدم التفريق بين الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية .

ولكن هذه النظرية تنهار رأسا على عقب إذا ماسرنا وراء نظرية الكنائس الأخرى التى تخص كل طبيعة بخواصها والاعمال الصادرة منها ، فإننا تبعا لهذه النظرية نضطر ان نعتبر الذبيحة ذبيحة بشرية عادية ، والذبيحة البشرية لايمكن أن تكون ذبيحة كفارية ، فالمنطق إذن هو بجانب الكنيسة القبطية .

٢ – السند الكتابى : وكلمة الله تؤيد هذه النظرية ، ففيها آيات عديدة قد نسبت ما للاهوت للناسوت وما للناسوت للاهوت ، دون تفريق ولاتمييز ، وفيما يلى مجموعة من تلك الآيات المقدسة :

قال السيد « ليس أحد صعد الى السماء إلا الذى نزل من السماء إبن الانسان الذى هو فى السماء » يوحنا ٣ :١٣ فتكلم عن ابن الانسان انه هو نزل من السماء وانه فى

السماء . وقال الرسول بولس : « لانهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » كورنثوس الأولى ٢ : ٨ ، فتكلم عن المصلوب أنه رب المجد نفسه . وأيضا : « لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » اعمال ٢٠ : ٢٨ فنسب الدم هنا لله نفسه مع أن الدم هو دم الناسوت ، فاللاهوت ليس له دم . وكذلك « الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت » عبرانيين ٥ : ٧ فنسب الصراخ والدموع وتقديم الطلبات للاهوت ، إذ أن الكلام هنا عائد على الله ولولا هذا لما استدرك بقوله « فى أيام جسده » .

ولما دخلت العذراء الطاهرة على اليصابات ، هتف الروح القدس فيها متكلما على لسانها ، « فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى الى .. » لوقا ١ : ٤٣ معلنا ان العذراء هى أم الرب نفسه ، مع ان العذراء لم تلد سوى الناسوت . وإذن فكلمة الله تؤيد نظرية الكنيسة القبطية تأييدا تاما .

٣ – القياس البشرى : ففى الانسان عنصران .. روح وجسد ، ولاتحادهما الوثيق لانفرق بين كليهما .. فلا نقول (جسدى جرح) ولكننا نقول (أنا جرحت) ولانقول (روحى تألمت) ولكننا نقول (أنا تألمت) وإنا هنا نضم الروح والجسد معا .

فإذا كنا نستعمل هذه الطريقة معنا نحن البشر فالاولى أن نستعملها مع المسيح الذى اتحد فيه اللاهوت بالناسوت اتحادا سريا عجيبا والذى تتركز عقيدة الكفارة فيه على أساس الوحدة التامة بين طبيعتيه .

٤ – اعتراف المعارضة : وهنا نأتى على شهادة الكنائس الأخرى على صحة نظرية الكنيسة القبطية ، وفى هذا نذكر على سبيل المثال استشهادا أو اثنين مما جاء فى تعاليم الكنائس المعارضة بهذا الشأن ، جاء فى (نظام التعليم فى علم اللاهوت القويم) للكنيسة المشيخية مايأتى « ما المراد بالقول ان جميع أعمال المسيح سواء كانت بشرية أم الهية هى أعمال شخص واحد ؟ المراد بذلك ان أعمال المسيح بعضها إلهى محض كالعجائب وبعضها بشرى محض كالأكل والشرب والنوم ، وبعضها الهى وبشرى وهو مايشترك فى عمله الطبيعتان كعمل الفداء ، ولا يخفى ان جميع تلك الاعمال هى أعمال المسيح ، أى أعمال شخص واحد ، وان أعمال المسيح هى أعمال شخص الهى وان اختصت بطبيعته البشرية ، ولذلك يجوز أن تعتبر طاعة المسيح وآلامه وان كانت ليست طاعة وآلام الطبيعة الالهية ، انها طاعة وآلام شخص الهى ، لان نفس الانسان لايمكن ان تجرح ولا أن تحرق ، ولكن متى أصاب الجسد شىء من ذلك نسبناه الى الانسان كله ، وعلى هذا المبدأ نقول ان طاعة المسيح بر لله ، وان دم المسيح دم الهى ، ومن ذلك نتج الاستحقاق غير المحدود وفاعلية عمله وربما سمى شخص المسيح باحدى طبيعتيه ، ونسب إليه من الأعمال ماهو خاص بالطبيعة الأخرى ، فانه فى الكلام على تسليمه نفسه للموت سمى الله . وابن الله ، ورب المجد ، وسمى أيضا الانسان وابن الانسان ، ونسب إليه من الأعمال ماهو خاص بسلطانه الالهى فقط ، ومن ذلك القول

ان ابن الانسان هو الذى يغفر الخطايا ، ورب السبت ، ويقيم الأموات ، ويرسل ملائكته ليجمع مختاريه » نظام التعليم مجلد ٢ صحيفة ١٩٩ .

وجاء فى كتاب الصلاة العامة لكنيسة انكلترا مايأتى « وهو وان يكن الها وانسانا فإنما لا اثنان بل مسيح واحد . لانه كما ان النفس الناطقة والجسد انسان واحد كذلك الاله والانسان مسيح واحد ، هو الذى تألم لاجل خلاصنا ونزل الى الهاوية وقام فى اليوم الثالث وصعد الى السموات وهو جالس عن يمين الله الآب » الصلاة العامة ص ٢٩

ومن يراجع هذه الاقوال ولا سيما ماجاء فى كتاب (نظام التعليم) يرى شهادة صريحة ناطقة عن صحة نظرية الكنيسة القبطية ، ففى هذه الاقوال تأييد كلى مدهش لوجهة النظر التى أخذت بها الكنيسة القبطية وعلى أساسها بنيت عقيدتها ، كما نرى إشارة واضحة إلى نفس الادلة التى تقدمها الكنيسة القبطية فى التدليل على صحة نظريتها .

وهناك اعتراف من الكنائس المعارضة جميعها يؤيد نظرية الكنيسة القبطية بطريقة عملية ، وذلك فى اللقب الذى تطلقه تلك الكنائس على العذراء القديسة مريم ، وهو لقب (أم الله) فجميع الكنائس — كاثوليكية ويونانية — تستعمل هذا اللقب ، وحتى الكنيسة البروتستانتية قد صرّحت بجواز استعمال هذا اللقب للقديسة العذراء ، فقد جاء فى كتاب نظام التعليم « واعتقاد جمهور المسيحيين ان لاهوت المسيح غير مولود ولا مخلوق لكن فى شخص المسيح طبيعتين أحداهما الهية ، وعلى ذلك يجوز تسمية العذراء بأم الله متجسدا فى شخص يسوع المسيح » نظام التعليم مجلد ٢ ص ٢ .

ومسلم به ان اللاهوت لم يولد من العذراء وانما الذى ولد هو الناسوت ، وما اطلقت الكنائس لقب « أم الله » على القديسة العذراء إلا على أساس نظرية عدم التفريق بين الطبيعتين وجواز نسبة ما للطبيعة الواحدة الى الطبيعة الاخرى على أساس الاتحاد الكامل بينهما وهذه بعينها نظرية الكنيسة القبطية .

صفحة فخار للكنيسة القبطية

ووقوف الكنيسة القبطية وحدها فى الدفاع عن هذه العقيدة يسجل لها وقفة مجد وفخار انفردت بها عن الكنائس جمعاء . واثبتت أمانتها لمبادئها ، كما اثبتت به صحة ارثوذكسيتها .

دعـــوة .

ويهمنا فى ختام هذا البحث أن نتوجه بدعوة خاصة وودية لشقيقتنا الكنيسة اليونانية الارثوذكسية باعتبارها الكنيسة التى تتحد معنا فى جميع العقائد ما خلا اختلاف وجهة النظر فى هذه العقيدة ، لتعاود النظر فى أمر هذا الخلاف الشكلى وتسويته بينها وبين شقيقتها الكنيسة القبطية لتكون الارثوذكسية كتلة واحدة وجبهة متحدة .

ايغومانس
ابراهيم لوقا

وقد تلقفت جريدة « بريد الصباح » التى كان يصدرها الاب جرمانوس لطفى هذا المثال فأعادت نشره بعددها الصادر فى ١٩ يناير ١٩٤٨ ورحبت بتلقى آراء اللاهوتيين من الكنيستين الشقيقتين ، فهذه المسألة جديرة باهتمام كل ارثوذكسى مخلص لعقيدته وتراثه الروحى ، ثم نشرت عدة تعليقات وآراء حول هذا الموضوع نسجلها هنا لأهميتها .

فى سبيل الاتحاد بين الكنيستين
القبطية الارثوذكسية والشرقية الارثوذكسية

نشرنا فى العدد الماضى رأينا بأختصار فى مسألة عقيدة الكنيستين القبطية الارثوذكسية والشرقية الارثوذكسية وقد وردت الينا رسائل كثيرة فى موضوع الاتحاد بين الكنيستين تدل كلها على حنين كبار اللاهوتيين والآباء الروحيين المؤمنين الاتقياء الى تحقيق هذا الاتحاد الذى سيحل الكثير من مشاكلنا المسيحية ويساعد كثيرا على تنمية حياتنا الروحية .

ولقد أثار مقالنا فى العدد الماضى اهتمام حضرة الأب الجليل اللاهوتى العلامة الايغومانس ميخائيل مينا ناظر مدرسة البابا يؤانس التاسع عشر اللاهوتية القبطية الارثوذكسية بحلوان وهو المعروف بكتابه فى علم اللاهوت فكتب لنا رسالة طيبة جاء فيها مايلى :

بيد الشكر والممنونية تناولت العدد ٨٠٥ من مجلة بريد الصباح الغراء الذى تكرمتم بارساله إلىّ وتصفحته مسرورا معجبا بما جاء به لاسيما المقال الذى يهدف الى اتحاد الكنيستين القبطية واليونانية لأنى أول من يعد هذا اليوم الذى نحصل فيه على هذه الامنية من افخر أيام الكنيسة واسعدها وأجز لها خيرا وبركة للعالم كله ، لاسيما وان الفرق بين الكنيستين قريب الجوانب ، إذ لم يتعد التعبير اللفظى دون المعنى الحقيقى ، وقد أشرت الى ذلك فى كتابى « علم اللاهوت المجلد الثالث » وانى اضرع الى الله ان يقرّب اليوم الذى فيه تتحد الكنائس المسيحية جمعاء فى عهد غبطة سيدنا البابا الانبا يوساب الثانى ، حتى يرجع للمسيحية مجدها التليد وعظمتها الغابرة ويشع نورها الالهى على كل الخارجين عن حظيرتها المقدسة ، ويصير العالم كله لله ولمسيحه » .

وجاءنا من بعض المؤمنين الاتقياء رسائل تأييد وتعضيد فى الموضوع تذكر منها بعضها مثنين على تقواهم وغيرتهم واهتمامهم .

اقتراح بعقد مجمع

جاء فى رسالة لحضرة الفاضل داود افندى يوسف رئيس خزانة مديرية الغربية مايلى :
سررنا جدا من تصريحكم الجميل بمجلة بريد الصباح عن رأيكم بخصوص الاعتقاد بالطبيعتين بين الكنيسة القبطية وشقيقتها الكنيسة اليونانية ، وحيث أنه لايوجد فرق جوهرى أو كما سميتموه فرقا ليس فى اللباب بل فى اللفظ ، فنرى ان تعملوا من جانبكم على اقناع رؤساء الكنيسة اليونانية ، ويعمل أيضا جناب الاب الورع القمص ابراهيم لوقا من

جانبه اقناع رؤساء الكنيسة القبطية لعقد مجمع لبحث هذا الموضوع إذا أرادوا ، ولو إننا نعتقد ان الموضوع اصبح واضحا وجليا ، ويقرروا فيه الاتحاد واعلان الشركة بين الكنيستين ، والذى حافظ عليها طول هذه المدة يحافظ عليها الى النهاية ويحفظ الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية فى سلام واطمئنان ، وأملنا الان اصبح قويا جدا ، وان يوم الاتحاد قريب بفضل مسعاكم ومسعى الغيورين العاملين من رجال الكنيستين .

علائق الكنيستين

للمطوب الذكر الخورى يوحنا حزبون راعى كنيسة الروم الاثوذكس بطنطا سابقا
أما العلائق بين الكنيسة الارثوذكسية واختها المحبوبة فى الرب الكنيسة القبطية فهى بنوع خاص على غاية ما يمكن من الوفاق والمحبة الأخوية المتبادلة ، لقد تحققنا ان الاختلاف الواقع بين الكنيستين فى مسألة الطبيعة والطبيعتين إنما هو اختلاف فى التعبير لافى العقيدة نفسها ، وقد نشأ عن سوء فهم عبارات بعض آباء الكنيسة ، فان الاقباط يوافقوا تنافى الاعتقاد بأن السيد المسيح هو إله تام وانسان تام ، ويخالفوننا فى طريقة التعبير عن ذلك . فلا أسهل من الاتفاق على الالفاظ مادام المعتقد واحدا متفقا عليه .
واعلم ان الكنيسة القبطية هى اقرب الكنائس الى كنيستنا الارثوذكسية فى كل مايخص العقائد والعوائد الدينية ، بل هى كنيسة من كنيستنا وعضو من جسم جامعتنا الشرقية .

وعند الاقباط رسالة لديوسقوروس مسجلة ضمن كتاب اعتراف الآباء ارسلها الأب الموحى إليه الى ابريطن حيث يقول (يجب علينا ان نقلع ونخرج عنا كل من يقول ان الله الكلمة تألم بلاهوته أو مات . وأما نحن فلم نؤمن هكذا ، بل نؤمن ان الله الكلمة قد تجسد بحق وبقى بلا ألم ولا موت بالجملة بلاهوته ، لكن قوما يظنون ويقولون إننا اذا قلنا ان المسيح تألم بالجسد لاباللاهوت نؤخذ بهذا القول موافقين لمجمع خلقيدون ، فنحن نقول اذا كان مجمع خلقيدون يعترف بان الله الكلمة تألم بالجسد لاباللاهوت فانا نوافقهم) وكل يعلم ان المجمع الخلقيدونى الذى التأم وضم ستمائة أسقفا فى ٨ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ٤٥١ كان اعتقاده بأن المسيح تألم بالناسوت وليس باللاهوت وما من مسيحى يجهل ذلك . وهذا نفس المعنى المقصود عند الارثوذكس بقولهم ان فى المسيح طبيعتين ، الانسانية واللاهوتية ، واتحدتا بلا تشويش ولا امتزاج فى الكلمة المتأنس . ومن راجع تآليف اخوتنا الاقباط فى هذا الصدر يستغرب لاختلاف الألفاظ بيننا وبينهم ويسر ويبتهج لاتفاق المعانى . ولكن إذا جمعتنا شمس المعانى فهل يفرقنا ظل الألفاظ ؟
بريد الصباح ٢٦ / ٤ / ١٩٤٨

حول وحدة العقيدة

في الكنيستين اليونانية والقبطية

ظهر من مدة اكثر من عشرين سنة كتاب باللغة الانكليزية عنوانه (انفصال القائلين بالطبيعة الواحدة) لأحد علماء الكنيسة الانجليكانية اسمه الدكتور ويجرام Wigram ولم اطلع على الكتاب نفسه ولكن رأيت تلخيصا له فى مؤلف جور Gore ، الانكليزى الذائع الصيت فى المجلد الثالث لمؤلفه (تدعيم الايمان) والاسقف جور اللاهوتى سابق مطران برمنجهام الحاضر الدكتور بارنس على ابرشية برمنجهام وكان استاذ اللاهوت فى جامعة اكسفورد وقد رأيت ان انقل ماورد فى هذا التلخيص بمناسبة المقال الذى نشره حضرة الاب الفاضل القمص ابراهيم لوقا وتعليق حضرة الاب الفاضل الخورى جرمانوس لطفى عليه وهو المقال الخاص بالمسعى لتوحيد عقائد الكنيستين الغربية والشرقية . والنتائج التى وصل اليها الدكتور ويجرام تطابق رأى حضرة الاب الفاضل القمص ابراهيم لوقا واليك بعضها :

أولا — ان كنيستنا القبطية الارثوذكسية ومعها الكنائس الحبشية والارمنية والسريانية الارثوذكسية بريئة من بدعة اوطيخى المشهورة .

ثانيا — ان جميع هذه الكنائس تقبل بدون قيد ولاشرط دستور الايمان الغربى الذى يسمونه باللاتينية Quicunque Vult ومعناها (كل من يريد) ويسمونه دستور اثناسيوس ولكنه وضع بعد عهده بمدة نحو مائة سنة ، والمرجح ان واضعه فنسنت الليرينى فى خلال الجيل الخامس ، وهو مبنى على قرارات مجمع خلقيدون والمجامع السابقة ، وهو وارد فى كتاب الصلاة العامة الانجليكانى ويتضمن الفقرة التى اقتبسها حضرة الاب القمص ابراهيم لوقا ويطابق عقيدة الكنائس الشرقية مطابقة تامة وتقبله جميع الكنائس الغربية .

ثالثا — انه اكتشف ان اصطلاح Monophysism اعنى التعليم بالطبيعة الواحدة يعنى عند كنائسنا غير ماكان يعنيه اوطيخى واتباعه .

واخيرا انه وجد ان لاختلاف البتة بين الكنائس الغربية (التى تقبل قرارات مجمع خلقيدون) وبين الكنائس الشرقية القائلة بالطبيعة الواحدة وذكر عبارة كتبها القديس اثناسيوس عن اناس من انصاف الاريوسيين كانوا يتفقون معه فى المعنى ويختلفون فى اللفظ ، فلم يتردد فى قبولهم فى حظيرة الكنيسة ، وقد اقترح الاسقف جور اعتبار هذه الكنائس الشرقية غير منشقة أو منفصلة مادامت تقبل دستور Quicunque على ان تعبر كل كنيسة عن عقيدتها باسلوبها الخاص ، فالاتفاق على رأيه موجود ولاداعى للبحث عن أسباب خلاف غير موجود . وهنا نذكر ان غلطة بعض الكنائس الغربية هى انها اعتقدت ان كنيستنا القبطية تقبل عقيدة اوطيخى الذى علّم ان جسد السيد المسيح تحول الى جسد

الهى فانكر بذلك وجود الطبيعة البشرية فى شخص السيد المسيح وجعل له طبيعة الهية واحدة والواقع ان الكنيسة القبطية تعلّم بوجود عنصر اللاهوت وعنصر الناسوت وتقصد باتحاد الطبيعة اتحاد الاقنوم او الشخصية ، وهذا مايقرره مجمع خلقيدون وما يقرره الدستور الغربى (كل من يريد) وهذه مسألة جديرة بأن يبحثها علماء الكنيستين اليونانية والقبطية بحثا مجردا من روح التحزب مصحوبا بروح الشجاعة والصراحة ، لأن انشقاق الكنائس قد أضرّ المسيحية ضررا بليغا يلمسه كل من قرأ تاريخ المسيحية فى الشرق . وليس من الصواب ان يعتقد أىّ منا ان الحق كله عنده وحده ، ولنتذكر عبارة الرسول بولس « هل جاءت اليكم وحدكم كلمة الله أو من عندكم خرجت ؟ » كما انه ليس من الصواب ان نعتقد ان آباء الكنيسة الذين حدث فى عهدهم الانشقاق كانوا معصومين فى تصرفاتهم ولنذكر عبارة الرسول بولس « هل صلب بولس من اجلكم أو باسم بولس اعتمدتم ؟ » واخيرا مادام الاتحاد فى العقيدة موجودا نظريا فانه يجب علينا ان نجعله اتحادا عمليا ببث روح التعاون والتكاتف بين الكنيستين الشقيقتين .

دكتور حليم سوريال عطيه

فى سبيل الاتحاد بين الكنيستين

الشرقية الارثوذكسية والقبطية الارثوذكسية

حول قضية الاقباط

لقد انقسم العالم المسيحى الى شطر شرقى وشطر غربى منذ اقل من الف سنة ، وهو لايزال يعانى هذه المأساة الدموية التى لاتقدر ان تقف أمامها سوى موقف الباكى الجريح ، ولكن الشرق نفسه منذ القرن الخامس يرزح تحت آلام الانشقاق الذى فصل الكنيسة الى اتباع الطبيعة الواحدة واتباع الطبيعتين ، وهذا الانشقاق القانونى الشكلى لم يعد يخفى انشقاقا عقيديا روحيا ، واذا استمر على ماهو عليه نكون قد حكمنا على انفسنا إننا نرفض الوحدة التى ارادها المسيح لكنيسته ، وانا نؤثر عليها مصالح لغوية أو عرفية هى مظهر من مظاهر شهوة هذا العالم .

لقد أثار القضية القبطية عالم من علماء الكنيسة الروسية فى القرن الماضى هو المطران برفيريوس اوسبنسكى ولد سنة ١٨٠٤ وانهى علومه فى أكاديمية بطرسبرج الروحية سنة ١٨٢٩ فدرس اللاهوت فى اوديسا. ثم بين ١٨٤٣و١٨٤٦ قام برحلة الى الشرق فزار القسطنطينية وبيروت ودمشق وطرابلس وفلسطين ومصر وسيناء وغيرها ثم عين أول رئيس على الارسالية الروسية فى القدس وسافر الى مصر وسوريا ، واخيرا بين سنة ١٨٥٨و١٨٦١ قام أيضا برحلة الى الشرق وفى سنة ١٨٧٨ عين عضوا فى دائرة من دوائر مجمع موسكو المقدس الذى اتخذ قرارا بشأن قضية الاقباط وقد وضع مؤلفات عديدة تتعلق بالشرق

المسيحى أهمها فى موضوعنا كتاب عنوانه : اعتقادات مسيحى مصر (الاقباط) وعبادتهم ورئاستهم الروحية وقوانين حياتهم الدينية ظهر فى بطرسبرج سنة ١٨٥٦ وقد جاء فى الصفحة الـ ٢٧ منه مايلى :

« الظنون من جهة والخوف من جهة اخرى احدثا الشقاق فى العالم المسيحى ، لقد اتهم ديوسقورس وانصاره بانهما يعترفان بتشويش الطبيعتين ، كما اعتبر آباء خلقيدون انصاراً لنسطوريوس ، وقد وسّع الشق البغضاء السياسية وشعوبية أقوام مختلفة بعد سنة ٤٥١ ، فى ذلك الحين رفضت أقلية من الاساقفة ان تتبع الاكثرية لهذه الظنون ، ولكن اليوم الذى نعلم فيه ان الكنيسة المقدسة الجامعة غريبة عن بدعة نسطوريوس وتعترف بالوحدة التى لاتقبل الوصف بين الطبيعتين باقنوم واحد ، ليس يغفر لاقلية ان ترفض الاتحاد . يجب على الاقباط وسائر الذين يسمون اتباع الطبيعة الواحدة الذين يعترفون بمسيحيات مطابقة لمسيحيات الكنيسة الجامعة ان يقبلوا منها عبارة المجمع الخلقيدونى الحرفية يجب ذلك حتى يخضعوا لجسم المسيحيين الجامعيين الاكبر الذين يؤمنون صادقين بالاله الانسان ، والذين يحبونه ويحبون بعضهم بعضا يجب ان يصرحوا تصريحا علنيا بأن العبارات التى تجدها فى دساتيرهم (طبيعة واحدة فى الكلمة) (الطبيعتان بعد اتحادهما أصبحا طبيعة واحدة) ان هذه العبارات يجب ان تفهم ليس بمعنى اختلاط الطبيعتين بل بمعنى اتحادهما غير قابل الوصف باقنوم واحد بحيث تحفظ كل منهما خواصها كاملة . ان تصريحا كهذا وقبولا صادقا لعبارة خلقيدون (أقول عبارة وحسب لأن روح اعتراف خلقيدون ومعناه لايختلف البتة عن إيمان الاقباط) ان تصريحا كهذا هو الوسيلة الوحيدة التى يمكنها ان تقربهم من المسيحيين الجامعيين الذين ليسوا بمنفصلين عنهم بروح مسيحياتهم ، وهل من العسير تغيير بعض الالفاظ فى دستورهم التى ادخلها أقلية من الاساقفة وأن تستدل بعبارات قبلتها أكثرية آباء الكنيسة حتى تفهم الفئتان بطريقة واحدة روح العقيدة ؟ ليس هذا بشأن عسير ، ولكن الاسهل والابسط الاتستبدل هذه الالفاظ ، بل ينبغى الاعتراف البسيط أمام الكنيسة المقدسة الجامعة أن العبارات عن الطبيعة الواحدة فى الكلمة لاتتضمن اختلاطا ولا استحالة الطبيعتين طبيعة ، بل اتحادهما باقنوم دون تغيير فى الخواص ، ان اعترافا كهذا يكفى الكنيسة لأن محبتها كهذا واسعة بحيث ان اختلافا فى الالفاظ اذا دل على معنى عقيدى واحد لا يمكن ان يبعدها عن اخوتها فى الرب على ان يعترفوا بتواضع وخضوع ان ما ابعدهم عنها هو سوء فهم وحسب »

وقد ورد فى الصفحة الـ ٤٤ من الكتاب :

« اما فيما يختص بطقوس الاقباط والارمن واليعاقبة والاحباش وعباداتهم وتقاليدهم المحلية فليس يحق لاحد من ابناء الكنيسة الجامعة ، وحتى لا لكثرة منهم بل لها وحدها يحق ان تقرر مجمعيا المسائل الكبرى والمقدسة التالية :

١ – هل ان وحدة الايمان الجامع والرجاء والمحبة والتقليد الجامع وقواعد الحياة كافية للخلاص الابدى للذين يدعون اتباع الطبيعة الواحدة إذا اقبلوا الى الكنيسة ؟

٢ – هل يجب المحافظة التامة على طقوسهم وعبادتهم وسلطتهم الروحية ونحن عالمون ان كتبهم الكنسية تعلن العقائد الابدية نفسها ولكن بتعبير آخر وان كل الدرجات الكهنوتية والخلافة الرسولية محفوظة عندهم ؟

٣ – كيف يحل وجدانهم ويهدأ روعهم بعد ماكانوا باتحاد طقسى مع ديوسقورس وساويرس وغيرهما وقدّسوهم ، فى حين ان الكنيسة المقدسة الجامعة ربطتهم رباطا روحيا ؟ »

ان الاتحاد بالاقباط والارمن والاحباش والسريان له أهميته المطلقة فى الكنيسة لا أتحدث عن عمل الكنيسة فى التاريخ ، ان عملا مجديا لايتم بغير الوحدة الكنيسة ، ان عودة الدنيا لنور المسيح لن يتحقق إلا بعودة الكنيسة الى وحدتها الأولى لا اتحدث عن هذا الشأن الذى يستدعى لوحده كل اهتمامنا ليل نهار ، كما انى لا أتحدث عن الغبطة الروحية التى تشمل قلوب المسيحيين إذا اتحدوا ولا عن هذا الانتعاش العظيم الذى سيتجلى فى كل حياتهم الكنسية ولكنى اريد أن انظر الى القضية الاتحادية من حيث انها ارادة المسيح وحسب ، والذين يدعون الانتساب الى المسيح لن يكونوا تلاميذه بالفعل مالم يتوقوا بروحهم ولحمهم ودمهم الى هذه الوحدة التى تجب ان يتوقعوها من الروح القدس ، ولكن الروح لايعمل بدوننا ولايقهر مشيئتنا ، يجب ان نريد الوحدة كى تتم . يجب أن نصلى لاجلها بمرارة وان نتألم لفقدانها . كل الذين يعملون الآن فى سبيل جمع اعضاء جسد المسيح الممزق ادركوا بالاختبار حقيقة هذا الواقع الروحى ان الوحدة عطية من الله للكنيسة يجب ان تطلبها اليه ، وان كل مسعى انسانى لايرتكز على هذه الحقيقة يؤول الى فشل ذريع ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية نرى كنائسنا تعمل للتقارب مع الغرب المسيحى من كثلكة وبروتستانتية وانجليكانية . هذا عمل لابد منه ، ولكن العمل الجدى للتقارب مع الكنائس الشرقية القبطية والارمنية والحبشية والسريانية اقرب الى التحقيق فى زمن قريب إذا تضافرت الارادات لهذا التحقيق للقربى العظيمة التى تجمعنا بتلك الكنائس لجهة مضمون العقيدة والتقليد والتقوى والذهنية الكنسية ، لاريب ان هذا الاتحاد لايمكن ان يتم بصورة علنية إلا باتفاق سائر الكنائس الارثوذكسية بمجمع أو بغير مجمع ، ولكن هذا التفاهم الكنسى يجب ان يسبقه عمل تحضيرى ضرورى . أولا إقامة الصلوات لاجله ، ثم تأليف لجان من اللاهوتيين لبحث الموضوع على نور اسئلة أوسبنسكى .

جورج خضر

باريس



وتلى ذلك عدة اجتماعات بين الاب ابراهيم لوقا وبين المطران نيفروكويوس ، حيث اتفق على نقط الاتفاق ثم على الخطة وسلم له الخطاب التالى :

٢٤ سبتمبر ١٩٤٩

الى حضرة صاحب النيافة الانبا نيفروكويوس مندوب الكنيسة اليونانية

منذ عهد بعيد كنت أفكر دائما فى العلاقة القائمة بين كنيستى القبطية الارثوذكسية والكنيسة اليونانية الارثوذكسية الشقيقة ، وكنت أتألم لمظهر الخلاف القائم بينهما ، والذى قد اقتضى دراستى لتاريخه وتفاصيله بأنه خلاف شكلى لايستند على أساس جوهرى من ناحية العقيدة المسيحية والايمان الارثوذكسى .

ومنذ سنتين نشرت كلمة فى هذا الموضوع بمجلتى « اليقظة » ضمنتها رأيى فى هذا وختمتها بدعوتى المتواضعة للكنيسة الشقيقة لاعادة النظر فى المسألة والقضاء على مظهر الخلاف القائم وتحقيق الأمنية الجميلة ، وهى عودة الاتحاد الارثوذكسى اى ما كان عليه قبل أن يثار هذا الخلاف فى الكنيسة ...

وكم كان اغتباطى عظيما عندما علمت بعدذلك من سيدى صاحب القداسة بطريركنا البابا الأنبا يوساب برسالتكم الكريمة التى بعثتم بها إليه تقررون نفس الرأى ، بما ينم عن روح نبيلة ورغبة صادقة فى القضاء على هذا الخلاف الوهمى والعودة الى الاتحاد الارثوذكسى .

ولما بلغنى نبأ زيارتكم الكريمة لمصر ، رأيت أن أنتهز هذه الفرصة لأرجوكم باسم المسيح والكنيسة أن تتابعوا جهودكم النبيلة هذا السبيل وتتصلوا بحضرتى صاحبى القداسة والغبطة بطريركى الكنيستين القبطية واليونانية بمصر لاتخاذ نشاط جدى للوصول الى اتفاق يحقق الرجاء فى عودة الاتحاد الارثوذكسى .

وفى انتظار تحقيق رجائى هذا تفضلوا ياصاحب النيافة بقبول احتراماتى البنوية الخالصة .

ولازلت لنيافتكم

المخلص
القمص ابراهيم لوقا

وكان الايغومانس ابراهيم لوقا قد قابل غبطة الانبا خريستوفورس بطريرك اليونان الارثوذكس فى ٥ يوليو ١٩٤٩ ، حيث تحدث معه عن مشروع الاتحاد الارثوذكسى وعن إحساسه بضرورته وإيمانه بإمكانيته خصوصا وأن الخلاف لفظى .. وأتفقا على خطوات تنفيذ فكرة الاتحاد ، وأعلن القمص ابراهيم لوقا لغبطة البطريرك بأن فى اليوم الذى يتم فيه هذا الاتحاد ويتحقق هذا الحلم الجميل يستطيع أن يكرر قول سمعان الشيخ « الآن يارب تطلق عبدك بسلام » .

وفى ٢٢ نوفمبر ١٩٥٠ تقابل مع غبطة الانبا خريستوفورس البطريرك ومعه نيافة مطران أبولون للتفاهم على الخطوة النهائية لتنفيذ الاتحاد الارثوذكسى القبطى اليونانى بعد أن أقتنعا بوجهة نظر الكنيسة القبطية ، وقد عاد منشرح الصدر فرحا من نتيجة هذه المقابلة .. ثم رقد فى فراش المرض واستراح من أتعابه فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٠ وتحققت نبوته .

وحتى اليوم فهذه الأمنية الكبرى مازالت معلقة .. ونحن نتركها بين يدى قداسة البابا شنودة الثالث راجين أن تتم هذه الوحدة فى أيامه المباركة .



الايغومانس ابراهيم لوقا
فى احدى زيارته للخارج

البـــاب الرابـــع

حملات الطـعن والتشـــهير

والايغومانس ابراهيم لوقا ، شأنه شأن جميع المصلحين ، تعرّض لحملات تشهير وافتراءات كاذبة ، إلا أنه لم يكن يبالى بما يوجه إليه من اتهامات طالما أنه يعرف جيدا أنه يعمل من أجل نصرة كنيسته التى أحبها وكرّس حياته لخدمتها ، وللعمل من أجل إصلاح شأنها وعودتها الى سابق مجدها ... ومن أول فجر حياته عندما قرر أن يتكرس من أجل فاديه وربه ، وكنيسته وابنائها ، الى آخر نسمة من حياته ، رأيناه يحمل مشعل الاصلاح فى يده ، مضحيا بصحته وثروته ، بشبابه ونفسه ، وهو غير ناظر إلا الى المجازاة من رب الكنيسة وفاديها .

وكان الناس كلما جاءت عليه هجمة من الهجمات يقابلونها بالاستنكار مع شديد الاستياء ، وكان الكثيرون يلحون عليه للرد ، بل ان كثيرين من أصحاب النيافة المطارنة الأجلاء اشتركوا مع جانب الشعب الكريم فى شعور الاستنكار وطلبوا منه الرد على تلك المطاعن والافتراءات ...

وكان هو فى صراع دائم مابين عوامل تمنعه من الرد عليهم ، وأخرى تدفعه الى مواجهتهم ، وتحكيم الرأى العام بينه وبينهم .

ذلك أنه كان يرى فى الرد معنى الانزعاج للاضطهاد والاستناد من مذمة جاءته عن طريق خدمة الرب ومسيحه ، واذن ماذا يكون معنى قول سيدنا « طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجل كاذبين » .

ان كانوا قد اضطهدوه فقد اضطهدوا المسيح من قبله ، وان كانوا بلا سبب قد ابغضوه فقد فعلوا ذلك بيسوع « وليس التلميذ افضل من المعلم ولا العبد افضل من سيده » .

وكان يرى فى الرد معنى الأنتقام ، والمسيحية تأمرنا ان لانكون لانفسنا منتقمين بل أن نكون غير مجازين عن شر بشر أو عن شتيمة بشتيمة بل بالعكس مباركين .

ثم كان يرى فى الرد عاملا قويا يوسّع دائرة الخصومة والانقسام ، وكنيستنا اليوم احوج ماتكون الى الوحدة والتعاون والسلام .

وأخيرا كان يرى فى الرد تعطيلا للعمل والخدمة ، واذا كان الشيطان يسخّر علينا كل يوم من يسىء إلينا بالطعن والتشهير بنا ، ونحن نتفرغ للدفاع عن أنفسنا لاثبات براءتنا ، اذن لانقضت الحياة بجملتها مابين نقاش وجدال ، وضاعت أوقات هى من حق المسيح لامن حقنا فى هذا النضال .

لهذه الاسباب مجتمعة كان القمص ابرهيم لوقا يرى واخوانه أن يقابلوا بالصمت والاعراض تلك الهجمات الموجهة إليهم ، منتصحين فى ذلك بقول الحكيم « لاتجاوب الجاهل حسب حماقته لئلا تعدله » .

لماذا الرد ؟

على أن ابانا ابراهيم لوقا كان يرى من الناحية الأخرى اسبابا قوية ووجيهة تجعله واجبا لزاما عليه أن يرد على هذه الاتهامات وان يثبت أن تلك الحماقات لم تكن بريئة ونزيهة ذلك لان السكوت عليها يشجع القائمين بها على المضى فى طريقهم ، ويزيدهم تورطا فى خططهم وفى هذا مافيه من الاساءة إليهم ، تلك الاساءة التى أراد الحكيم أن يتفاداها رجال الله جهد طاقتهم ، وعلى هذا الأساس فاه بحكمته المأثورة « جاوب الجاهل حسب حماقته لئلا يكون حكيما فى عينى نفسه » .

ثم انه كان يخشى فى الوقت ذاته أن تؤثر الدعاية المتكررة على أصحاب القلوب السليمة فتدخل الشك إليها ، وفى هذا مافيه من العثرة والشكوك التى تعطل الخدمة وتؤذيها ، ولاسيما بعد مايراه الناس من الجرأة البالغة التى أحاطت بتلك الدعايات حتى بلغت الى تحكيم المذبح بينه وبينهم .

وهنا رأى واذ به يواجه وصية رسولية صريحة تقول « فإنه يوجد قوم متمردون يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول .. الذين يجب سد أفواههم فإنهم يقلبون بيوتا بجملتها دائما كذابون وحوش ردية بطون بطالة .. فلهذا السبب وبّخهم بصراحة لكى يكونوا أصحاء فى الايمان » .

فإذن كان يجب ان نكشف للناس عن حقيقة دعايتهم ، اذن كان يجب أن نوبّخ بصراحة اتهاماتهم وافتراءهم .

واذ رأى القوم يتورطون فى دعايتهم الشريرة ، ويطلعون على الناس بنشرات متوالية وكثيرة إبان حركة انتخابات المجلس الملىّ العام عام ١٩٣٩ ، يعلنون فيها أمورا كاذبة بقدر ماكانت خطيرة ، رأى إذ ذاك أن الأمر قد تحول من مسألة شخصية الى مسألة الكنيسة بأسرها ومصير شئوننا الطائفية ، وما يحيط بنا من آمان وآمال إصلاحية .

إزاء هذا رأى أن الواجب يقضى أن يخرج من الصمت الى ميدان الكلام ، وأن يجعل الأمر واضحاً وجلياً أمام الرأى العام وأصدر كتابه .. **ليست هى الغيرة على الكنيسة القبطية ، لكنها المطامع ... ولكنها الشهوات الشخصية .. بيان ثم احتكام الى الرأى العام** .

وكان لزاماً علينا ونحن نعرض فى هذا الكتاب الى جهاد كاهن الله أن نشير الى النقاط التى تناولها كتابه ، خاصة وأنه مازال حتى الآن ، وبعد مرور خمس وثلاثين عاما على انتقاله من يحاولون إثارة تلك المزاعم الباطلة حوله لما يرون من تمسك الكثيرين ببطولاته ...

الخصـــومة

ينبغى أن نفرق بين الخصومة التى تقوم على أساس الاعتبارات الشخصية ، والخصومة التى يكون منشأها الدفاع عن المبادىء والمصلحة العامة :

أما النوع الأول من الخصومة فمسيحيتنا تفرض علينا أن نقابلها بالصفح مع الاعراض ، فإذا واجهناها بمثلها كنا من الخاطئين .

وأما النوع الثانى منها فمسيحيتنا توجب علينا أن نواجهها — لا لمقابلة الشر بالشر ولا للنقمة ، ولكن دفاعا عن المبدأ الصالح ، وانتصارا للحقيقة ، ودفعاً لأضرار قد تلحق بالخدمة وتصيب المصلحة العامة — فإذا نحن احجمنا عن القيام بهذا الواجب لم يكن هذا سلوكا مسيحيا منا ، بل كان على العكس اهمالاً وتفريطا لا يتفق مع واجب الأمانة من نحو الرب إلهنا .

امتدت يد أثيمة وضيعة الى وجه السيد تلطمه ، وكانت تلك يد أحد خدام رئيس الكهنة ، وأجاب السيد فى صوت الحمل الوديع الهادىء « ان كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى وان حسنا فلماذا تلطمنى ؟ ... » وان العقل البشرى ليقف حائرا مدهوشا عندما يتصور السيد وهو الذى يخضع له السلاطين الجبابرة ، ولا يقف أمام قدرته ملوك ولا أباطرة — عوضا عن أن ينسف الأرض بمن عليها — يتحدث بتلك الكلمات الهادئة الى خادم وضيع بعد تلك اللطمة الآثمة ، ولكن هكذا أراد السيد بهذا الموقف الرائع البديع أن يقدم للناس المثل الأعلى للصفح والمغفرة مع العفو عند المقدرة .

على أن هذا الحمل الوديع الهادىء بعينه نراه فى موقف آخر يأخذ شكل الغاضب الثائر المنتقم الجبار ، يضفر بيديه سوطا من الحبال يهوى به على الناس ضربا ، يكب الدراهم ويقلب الموائد ويدفع الناس أمامه كالقطعان ، وذاك الذى « لا يخاصم ولا يصيح » دوى صوته كالرعد القاصف فى أرجاء المكان « بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص » .

وفى هذين الموقفين نرى للمسيح مظهرين متناقضين ، فهل كان عند المسيح تغيير أو ظل دوران ؟ .

كلا ... وإنما ذهب المسيح فى موقفه الأول الى أقصى حدود الصفح والتسامح والغفران ، لأن اللطمة كانت موجهة إليه بالذات فكانت المسألة إذن مسألة شخصية .. أما فى الموقف الثانى فكانت الاهانة لاحقة ببيت أبيه وقدسية المكان ، فكانت المسألة مسألة مبدأ عام وكانت غضبته غضبة مقدسة ، وثورة على الشر والاباحية ، وكما علّمنا المسيح فى موقفه الثانى كيف يجب أن نكون فى سبيل الدفاع عن المبادىء حازمين غير متساهلين ، لا ... بل غاضبين وثائرين ، وفى توبيخنا صارمين .

وإذا كانت المسيحية تتنافى مع الشدة فى سبيل المبادىء والمصلحة العامة فماذا يكون إذن معنى صرخة الرسول الثائرة التى ضمنها أقصى معانى الشدة والصرامة « ولكن

الذى يزعجكم سيحمل الدينونة أى من كان .. ياليت الذين يقلقونكم يقطعون أيضا » ثم كيف نستطيع أن ننفذ المبدأ الرسولى « اعزلوا الخبيث من بينكم » إن لم نقدم الدليل على ماتحتويه القلوب المنحرفة من خبث وشر ورياء ؟ ...

وهل كان الرسول بولس خارجا على المبادىء المسيحية عندما رفض حل قضيته عن طريق التفاهم وأصرّ على أن يرفع أمره للقضاء قائلا « الى قيصر أنا رافع دعواى » وإذا كان الرسول قد أباح الالتجاء الى القضاء فى سبيل الدفاع عن نفسه ، فإنه يكون من الطبيعى جدا أن يعرض ميسحى قضيته على الرأى العام للدفاع والاحتكام .

الـدفـاع

ليس الاتهام الباطل شيئاً جديداً ، فقد اتهم من قبلنا رجال مخلصون أفاضل حسداً أو لمجرد الرغبة فى الكيد والانتقام ، أو لتحقيق أغراض ومقاصد ، لا بل وأكثر من هذا فلقد اتهم رجال كرام من قبلنا بنفس التهم التى توجه إلينا .. وهذا كيرلس الرابع أحد **بطاركتنا العظام وباعث نهضة الاصلاح فينا اتهم يوما بأنه يشايع كنائس أجنبية** ، وأنه **يتآمر على بيع الكنيسة القبطية لتلك الكنائس الأجنبية** .. والى تلك الوشاية الكاذبة ينسب المؤرخون موته العاجل والقضاء على تلك الشخصية الفذة فى وقت كانت الكنيسة فيه فى أشد الحاجة الى تلك الشعلة المتأججة .

ومالنا نذهب بعيداً ، وهذا مسيحنا لم ينج أيضا من هذه التهمة الباطلة إذ واجهه القوم يوما بها « ألسنا نقول حسنا أنك سامرى وبك شيطان » وإذا كانوا قد دعوا المسيح سامريا ، فليس غريبا أن يقولوا عن شخص ضعيف منا مارقاً أو هرطوقياً « لأنه ان كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس ؟ .. »

إن للكنيسة رآسة دينية ومجمعاً مقدساً ومجلساً اكليريكيا ، فإذا كنا قد خرجنا على الكنيسة فلماذا بقيت هذه السلطات جميعها صامتة حيالنا ؟ لماذا لم يحاكموننا ؟ .. بل لماذا يؤيدوننا ويناصروننا ؟ .. وهذه فروع جمعية أصدقاء الكتاب المقدس فى أنحاء عديدة من القطر تلقى كل العطف والرعاية من حضرات الآباء أصحاب النيافة المطارنة ؟ .. بل لماذا ننعم اليوم منهم بنصيب وافر من حبهم وعطفهم علينا ؟ .. هل تآمرت الكنيسة بأسرها — أحبارها وسلطاتها والرجال المسئولون فيها — هل تآمر هؤلاء جميعهم معاً ضد الكنيسة ولم يبق أمينا لها يدافع عنها ويحميها إلا أصحاب الأغراض فيها ؟ .. يقودهم فى ذلك رجل غريب عن كنيستنا وأمتنا وقد لفظته الكنيسة عنها وأنكرت عليه من عهد بعيد صلته بها ؟ ..

قلنا ليس الاتهام الباطل شيئا جديداً .. ونقول هنا ليس كل اتهام يعتبر اتهاما قانونياً ... ولا يكون الاتهام صحيحا إلا إذا كان الدليل عليه قوياً واضحاً وجلياً

ونقرر هنا أن القوم فى دعايتهم ضدنا ، قد ركزوا اتهامهم على الادعاء الباطل دون أن يقدموا لاثبات دعواهم أى سند أو دليل ، وكان هذا وحده كافيا لأن يسقط حجتهم ويثبت ما أحاط بها من افتراء وإيهام وتضليل .

١ ــ حديث الكنيسة المستقلة

كانت أول تهمة وجهها القوم إلينا هى أننى عقدت اجتماعاً بمصر الجديدة قلت فيه « أنه حان الوقت للانفصال عن الكنيسة القبطية وتأسيس كنيسة مستقلة » .

هكذا قالوا ويؤسفنا أن نقرر انهم لم يكونوا فى هذا الذى قالوه صادقين ، بل كانوا لعكس الحقيقة مقررين ، وهم فى تلك الدعوى الجريئة لايستطيعون أن يأتوا ببرهان أو دليل ، وأما نحن فإنا نستطيع أن نثبت بالحجة القاطعة اننا ما كنا لفصل الكنيسة يوما داعين ، ولا لانشاء كنيسة مستقلة ساعيين ، بل على العكس كنا لكل حركة تبرز لتحقيق هذه الفكرة محاربين ومقاومين .

لقد حدث اجتماع بمصر الجديدة ــ هذا صحيح ــ ولكن هذا الاجتماع كان غير الاجتماع الذى ذكروه ، وكان الذى حدث فيه هو على عكس ماقرروه .

ففى سنة ١٩٣١ كان هناك خلاف بين البطريركية وبينى ، وأدى هذا الخلاف الى الشروع فى محكامتى ، ولهذه المناسبة زارنى بمنزلى بعض من أخوانى كان من بينهم جناب القمص سرجيوس والاستاذ كامل زكى المحامى ــ وكان أن رأى جانب القمص سرجيوس فى هذا الموقف فرصة مناسبة لتحقيق الفكرة التى كانت تحتل جزءاً كبيراً من تفكيره إذ ذاك واليها كان يدعو بحماس شديد وهى فكرة انشاء الكنيسة المستقلة ــ فقال : « لقد حانت الساعة لنتحد معاً لانشاء الكنيسة القبطية المستقلة المصلحة » وأجبته أنا « ان لكل شيخ طريقة فسر ياابانا فى طريقك وأما أنا فلن أجاهد إلا داخل اسوار الكنيسة » .

وكان نقاش وكان جدال ــ وكان الاستاذ كامل زكى صاحب النصيب الاكبر فى ذلك الحوار الذى خرج على أثره القمص سرجيوس غاضباً ــ وكان من أثر هذا أن حمل حملته الشديدة على الاستاذ كامل زكى وعلىّ ، تارة بالتصريح وأخرى بالتلميح ، وان شئت الاطلاع على هذا فارجع الى الاعداد (٧ ، ٢٩ ، ٣١) من السنة الرابعة من المنارة المرقسية وقارن ذلك بما جاء بالاعداد (٥ الى ٩) من السنة نفسها .

هذا هو الذى دار فى اجتماع مصر الجديدة وهو كما ترى لم يكن دعوة الى فصل الكنيسة واستقلالها بل كان على العكس رفضاً لتلك الفكرة ودفعاً لها ... وهنا نأتى على حادثة اخرى لها علاقة بهذا الموضوع

فى سنة ١٩٣٢ وعلى اثر الخلاف الذى قام بين البطريركية وابروشية المنيا تقدم الىّ وفد من كبار الشعب القبطى بتلك الابروشية يعرضون علىّ انهم وخمسة عشر الفاً

من تلك الابروشية قد قرروا الانفصال عن الكنيسة القبطية وإنشاء كنيسة مستقلة تابعة للكنيسة الانجليزية ، وقد طلب منى هذا الوفد ان انضم اليهم فى هذه الحركة وان أعينهم على تحقيقها ، على ان أعين مطراناً عليهم بعد تنفيذها ، فوقفت إذ ذاك موقف المعارضة الشديدة ، ولم تنته الجلسة بينى وبينهم حتى كانت تلك الفكرة قد قتلت فى مهدها ، وقرر الوفد نهائيا الانصراف عنها ، وبقاءهم على عهدهم من نحو كنيستهم دون الخروج عليها

ولكن قد تكون هذه مجرد رواية مانحن فيها إلا مخترعين ، وإذن فلنأت ببرهاننا ان كنا من الصادقين ، وها حجتنا نقدمها للقارئين ، تثبت اننا ماكنا فى ذلك إلا للحقيقة مقررين ، تلك هى رسالة تفضل بها صاحب العزة ميخائيل بك توما وفيها الدليل المبين ..

حضرة الاب المحترم الايغومانس ابراهيم لوقا

بعد التحية بلغتنى الحركة القائمة ضدكم هذه الايام وما يتهمكم به بعض الناس من امور مخالفة للواقع ، وقد تأسفت جداً لهذه الامور كما انى اندهشت غاية الاندهاش لما يتهمونكم به ، وكان بودى أن احضر لزيارتكم للتعبير عن شعورى نحوكم الذى انتم تعلمونه فى هذ الظروف ولكن حالتى الصحية حالت دون ذلك . وأنا ارجو ان لاتهتموا بهذه الامور وان تنتبهوا لصحتكم ونحن كلنا عارفين اخلاصكم ويكفى ماحدث على أيدينا ورأيناه بعيوننا وسمعته اذاننا عندما عرض عليكم تفيد فكرة انضمام خمسة عشر الفاً من الشعب القبطى الى الكنيسة الانكليزية وتعيينكم مطراناً عليهم تبع هذه الكنيسة ، كيف انكم رفضتم الامر بشدة واقنعتم القائمين بهذه الحركة بالرجوع عنها واعلنتم تمسككم بالكنيسة للنفس الاخير والله يقويكم .

ميخائيل توما

تحريراً فى ٢١ فبراير سنة ١٩٣٩

وليت شعرى أيكون من المنطق المعقول ان الذى يقاوم حركة ترمى الى الانضمام الى الكنيسة الانكليزية ، وفيها يعرض عليه ان يكون مطراناً لابروشية ،ولا يهدأ حتى يقرر القوم بقاءهم على عهدهم لكنيستهم القبطية .. أيكون من المنطق المعقول ان من يكون هذا شأنه هو بنفسه يدعو الى الانسلاخ عن الكنيسة والخروج عليها ، ويسعى لانشاء كنيسة مستقلة منفصلة عنها ؟

وهناك حادثة ثالثة وهى ايضاً لها مساس بهذا الموضوع .. عندما خلا الكرسى البطريركى فى سنة ١٩٢٧ ظهر مرشحون للبطريركية كان من بينهم حضرة حبيب افندى جرجس ناظر الاكليريكية ، وكان زعيم حركة ترشيحه الطيب الذكر المرحوم سمعان بك القمص .. وجرت مقابلات بين بعض من اعضاء لجنة ترشيحه وبينى لاقناعى بالاتحاد معهم فى ذلك ولكنى رفضت لا لشىء شخصى ولكن لعقيدة ..

وفى ٣ نوفمبر ١٩٣٧ وصلتنى رسالة من جانب القمص موسى قزمان هذا نصها

الزقازيق فى ٢ نوفمبر ١٩٢٥

جناب الآب الكلى الاحترام الايغومانس ابراهيم لوقا

بعد تقبيل يدكم الطاهرة وكل دعواتكم الصالحة ارجو ان تكون بخير تقابلت أمس مع سمعان بك القمص وكلفنى ان ابلغ قداستكم بمقابلته إن أمكن وهو يرجوك أن تتفق معه فى الرأى (على انتخاب حبيب افندى) وفى نفس الوقت يقول ان قداستكم ستكون وكيل البطريكخانة المتصرف .

ختاما تنازل بقبول فائق احترام المخلص لكم

الشماس موسى قزمان

وراح الرد منى على هذا العرض يحمل رسالة الرفض مع الاستنكار والاستياء ، لما كان فيه من معنى الرشوة والاغراء — لاباعتبار هذا الاغراء آتيا من جانب الطيب الذكر المرحوم سمعان بك القمص الذى لم يكن له فى الأمر مصلحة ذاتية ، وإنما من جانب أولئك الذين كانوا فى هذا يسعون وراء اغراضهم الشخصية .

وهنا يقوم السؤال — إذا كنت أنا ممن يضمرون نحو كنيستى نيّات خفيّة ، وإذا كنت أبغى — كما يقولون تسليمها لكنيسة اجنبية ، فلماذا رفضت هذا العرض الذى فيه قد تعهد القوم بأن أكون وكيلا بطريركيا متصرفا مع أن هذا لو تحقق لسهل علىّ انفاذ تلك المؤامرة الوهمية بما يمنحه لى من سلطة قانونية وعملية ؟

ان هذه الوقائع مجتمعة فيها — على ظننا — ما يكفى لان يقيم الدليل على انى ماكنت يوماً اضمر للكنيسة سوءا أو تدبيراً خفياً ، كما انها تثبت فى الوقت نفسه انى ماكنت يوماً فى خدمتى لكنيستى المحبوبة أسعى لشهوة خاصة أو منفعة ذاتية وأن من يدعى على اخوانى وعلىّ بأننا فكرنا يوما فى فصل الكنيسة أو استقلالها فإنه فى ذلك لا يقرر الحقيقة ولكنه انما يبغى التشهير بنا تحقيقاً لغايات واغراض شخصية .

٢ — صلات الود مع الكنيسة الانكليزية

كان الدليل الثانى الذى أقامه القوم برهاناً على عدم أمانتنا لكنيستنا ، وعليه ركّزوا الجزء الأكبر من دعايتهم ضدنا ، هو علاقات الود القائمة بين رجال الكنيسة الانكليزية وبيننا .

ونحن لاننكر صلات المحبة بيننا وبين رجال الكنيسة الانكليزية ، بل اننا على العكس نقررها ونعلن على الملأ اننا نحب الكثيرين منهم ونخلص لهم ، كما اننا نحترمهم ونجلّهم .

التفاهم عمل مسيحى

ونحن لسنا نرى فى هذا مايتعارض — فى كثير أو قليل — مع أمانتنا لكنيستنا المحبوبة ، كما اننا لانرى فيه عيباً أو نقيصة ، بل اننا على العكس نراه — كما يراه العقلاء والمفكرون وأصحاب الضمائر المسيحية الخالصة — عملا مسيحياً واجباً وشريفاً

فلقد علّمنا مسيحنا ان رسالته التى جاء بها الى العالم ، هى رسالة المحبة والمودة والاخلاص « وصية جديدة أنا اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضاً ... بهذا يعرف العالم أنكم تلاميذى ان كان لكم حب بعضكم لبعض »

وإذا كان المسيح قد أمرنا ان نحب الاعداء ونحسن الى المبغضين ، وعلّمنا أننا بهذا نمتاز عن الخطاة والعشارين ، أفلا يجب علينا بالحرى ان نبادل الحب اخوة لنا فى الايمان والدين ؟ !...

والرسول بولس يعلن فى جلاء ووضوح ، بان الخصام ليس هو من ثمار الروح وانه لايتفق واخلاق المؤمنين الحقيقيين فهكذا يخاطب الرسول جماعة الكورنثيين « فانه إذ فيكم حسد وخصام وشقاق ألستم جسديين ... » ؟

ومعلمنا يعقوب يعلن ان البغضة والكراهية لاتتفق فى شىء مع الروح المسيحية ، فيقول « ولكن ان كان لكم غيرة مرة وتحزب فى قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق .. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هى ارضية نفسانية شيطانية »

ان النتيجة المنطقية الوحيدة التى نستطيع ان نخرج بها من تعليم مسيحنا ورسله الاطهار هى ان المحبة هى العمل المسيحى الطبيعى ، وان كل دعوة للبغضة والكراهية إنما هى عمل أرضىّ جسدانىّ وشيطانىّ .

وعلى هذا فإننا لانتجنى على الحق ان قلنا ان الخلاف بيننا وبين القوم فى علاقات الود القائمة بيننا وبين مسيحيين مثلنا ، لايرجع الى غيرة على الكنيسة من جانبهم ، وخيانة لها من جانبنا ، وإنما هو يرجع الى اختلاف فى العقلية بينهم وبيننا ، فهم يفهمون الأمانة للكنيسة فى كره الاخرين والعيشة معهم فى نفرة وخصام ، وإما نحن فنراها كما تعلّمنا مسيحيتنا لاتتعارض مع العيشة مع غيرنا فى ألفة ووحدة وسلام .

الرجال المسئولون فى كنيستنا وسياسة التفاهم

والحكم بين تفكيرهم وتفكيرنا فى هذا إنما يكون لسلوك الرجال المسئولين فى كنيستنا واصحاب الرأى فيها ..

ان الرجال المسئولين فى كنيستنا لم يكونوا يوما مع رجال الكنيسة الانكليزية إلا على احسن مايكون من صلات الود والاخلاص .. وجميعهم قد رحبوا بروح التعاون

المتبادل بين الكنيستين كما تقضى به المبادىء المسيحية والتعاليم الرسولية ، فالبابا بطرس الجاولى تعاون مع المستر ليدر فى محيط التعليم الدراسى ، وهكذا فعل البابا ديمتريوس الثانى مع المس هويتلى

أما البابا كيرلس الخامس فقد دلّل على هذه الروح الطيبة فى مناسبات عديدة كان أهمها مافعله فى حفل تشدين الكنيسة الانكليزية بالخرطوم ــ وها نحن ننقل فيما يلى شذرات مما كتبه ناظر المدرسة الاكليريكية فى مجلته « الكرمة » فى السنة السادسة بالعدد السادس عن تلك الحادثة التاريخية :

« لما وصل جميع أعضاء الوفد الى الخرطوم فى ٢٢ يناير ١٩١٢ زاروا سعادة الحاكم العام ونجت باشا فى سرايه ثانى يوم ... وقدموا له خطابا من غبطة البطريرك جاء فيه ...

« سعادة افندم صديقنا العزيز السير ريجنالد ونجت باشا حاكم عام السودان وسردار الجيش المصرى دامت بالمجد معاليه .. وبعد فقد كنا مصمّمين العزم على القيام برغائبكم الشريفة وهى حضورنا لمدينة الخرطوم للاشتراك مع حضرات أصحاب النيافة المحبوبين فى الرب رئيس أساقفة لندن وأسقف الكنيسة الانجليكانية فى حفلة تدشين الكنيسة الانكليزية بالخرطوم ــ وبينما نحن مجدون ومستعدون للقيام بتنفيذ هذه الرغبة الشريفة طرأ لسوء الحظ على صحتنا انحراف اضطرنا أن نندب بالنيابة عنا وفدا مؤلفاً من حضرات أصحاب النيافة الانبا تيموثاوس مطران كرسى أورشليم والانبا أرسانيوس أسقف ديرْ القديس انبا بولا والانبا يؤنس أسقف كرسى قودجام وولدينا المباركين الارشيدياكون حبيب جرجس واعظ كنيستنا المرقسية الكبرى ومينا افندى جرجس باشكاتب ديواننا البطريركى وقد أصحبناهم بهدية من قبلنا دلالة على حبنا الخالص نحو شخصكم العزيز واشتراكنا فى الاحتفاء بالكنيسة المشار اليها . ونرجو ان تتكرموا بابلاغ سلامنا الروحى وقبلاتنا الرسولية المقدسة لنيافة أخينا الحبيب الموقر رئيس أساقفة لندن ومن بمعيته ...»

كيرلس

بطريرك الكرازة المرقسية

ثم سلّم الوفد خطابا ارسله غبطة البطريرك لنيافة الاسقف جوين جاء فيه :

« نيافة اخينا الحبيب فى الرب الاسقف جوين اسقف الكنيسة الانجليكانية . .

نهديكم ايها الاخ الحبيب سلامنا الروحى فى ربنا يسوع المسيح مشفوعاً بالقبلة الرسولية .. تلقينا بشكر وامتنان رغبتكم فى حضورنا للاشتراك فى حفلة تدشين كنيسة الله الانجليكانية فى الخرطوم وبعد ان عقدنا العزم على تحقيق هذه الرغبة للحضور حسب اميالنا نحو هذه الكنيسة ومحبتنا لشخصكم العزيز وللشعب الانكليزى المبارك وبينما ونحن آخذون فى الاستعداد نحو هذه الامنية قد طرأ لسوء الحظ انحراف على صحتنا حال دون ذلك ــ ولما كان من أجل رغبتنا وواجباتنا الاشتراك فى هذا الاحتفال المقصود به تمجيد اسم الله فقد انتدبنا من قبلنا وفداً مؤلفاً من .. ليقوم مقامنا وينوب عنا فى حضور حفل

التدشين ، وعلامة لمحبتنا لكنيستكم المباركة مرسل من قبلنا مع الوفد المشار اليه هدية ...

كيرلس

بطريرك الكرازة المرقسية

وفى يوم ٢٥ يناير قام الوفد بتقديم الهدية فى حفلة رسمية القى فيها سيادة اسقف لندن خطاباً بالانكليزية جاء فيه :

« انه يرحب بهذا الوفد ويقدم مزيد احترامه لغبطة البطريرك **ويعترف بانه اعظم رئيس لاقدم كنيسة وان الكنيسة القبطية هى الشقيقة الكبرى للكنيسة الانجليكانية ...** »

وبعدئذ أشار نيافة الانبا تيموثاوس رئيس الوفد لحضرة حبيب افندى جرجس فتكلم بالنيابة عن غبطة البطريرك والوفد معلناً أرق احساسات الشكر وعواطف الوداد بين الكنيستين وتمنيات النجاح للكنيسة الانجليكانية .

وقد نقل هذه الكلمة صاحب السعادة مرقس باشا سميكة الى الانكليزية ، وفى صبيحة يوم الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩١٢ توجه أعضاء الوفد القبطى الى دار جناب الاسقف جوين وهناك ارتدى حضرات أصحاب النيافة الانبا تيموثاوس والانبا يؤنس والانبا ارسانيوس وحضرة الاشدياكون حبيب جرجس ناظر المدرسة الاكليريكية ملابسهم الكهنوتية ودخلوا الكنيسة وكانت اماكنهم الخاصة معدة لهم فى الهيكل .

وبعد انتهاء الاحتفال ذهب اعضاء الوفد الى دار المطرانية الانكليزية ، وبناء على رغبة نيافة الاسقف اخذت صورة أعضاء الوفد بملابسهم الكهنوتية مع الجميع لتكون خير تذكار منهم علامة على تلك العلاقات الودية

وفى اليوم عينه بعث غبطة البطريرك المعظم برقية لسعادة حاكم عام السودان جاء فيها « وقد غامر فؤادنا مالا نستطيع تبيانه من الفرح والسرور لتقديم هذه الهدية للكنيسة فى حفلة زادها حضور سعادتكم ونيافة رئيس اساقفة لندن نوراً على نور ، وان شاء الله يتم تدشين الكنيسة الانجليكانية فى هذا اليوم المشهود ويحل بها وعليها روح الله القدوس كما حلّ فى الهيكل الذى شاده فى بيت المقدس الملك المعظم سليمان بن داود ، نسأل الله ان يجعلها جامعة للمؤمنين فى تلك الاقطار ليتمجد فيها اسمه القدوس على ممر الدهور والاعصار ... »

ولما أتم نيافة المطران اللورد انجرام تدشين الكنيسة الكبرى فى الخرطوم وقدم القاهرة ، زار غبطة الآب الجليل الانبا كيرلس بالدار البطريركية فحياه صاحب الغبطة الانبا يؤنس البطريرك الحالى بالخطاب الآتى نائبا عن غبطة البطريرك الراحل ..

« ابدى لغبطتكم .. باسم غبطة السيد البابا المعظم الانبا كيرلس .. وعموم الاكليروس وشعبنا القبطى المسيحى مايخالج افئدتنا من مزيد السرور بتشريف قداستكم فى هذا اليوم المبارك ...

كيف لا وان تشريفكم يا قداسة السيد لأول دليل على ان علائق المحبة قد اصبحت

بين الكنيسة القبطية والانجليكانية متينة وثيقة وجعلت كل واحدة منهما بازاء الاخرى اختاً وشقيقة ...

وانا لنرجوا ان تدوم العلائق وثيقة الى ماشاء الله ..»

وما ان فرغ صاحب الغبطة البطريرك الحالى من تلاوة هذه الخطبة وقف نيافة مطران لندن والقى كلمة جاء فيها مايأتى :

« .. وقد اتضح لغبطتكم وضوحاً تاماً أن أعمال كنيستنا فى الديار المصرية لاتخالف ولا تقلل أعمالكم بالمرة ... وغاية املنا ان تعمل الكنيستان كتفاً لكتف فتنهض كل منهما عزيمة الاخرى على القيام بخير الاعمال ...»

وفى عصر اليوم التالى القى سيادته عظة كبيرة شائقة فى الكاتدرائية الكبرى بناء على دعوة جمعية اصدقاء الكتاب المقدس وباذن من غبطة البطريرك الراحل ، ثم غادر القاهرة الى بورسعيد ميمماً شطر بيت المقدس ولما وصل نيافته الى يافا قابله هناك القمص اقلاديوس الانطونى (صاحب القداسة الانبا يوساب الثانى البطريرك) مقابلة ابدى فيها منتهى الاحتفاء والترحيب بشخصه الكريم .

هذه خلاصة لما جرى فى حادثة تدشين الكنيسة الانكليزية ، ويهمنا هنا أن نستخلص بعض الملحوظات التى تبرز واضحة فى تلك الحادثة التاريخية .

أول مايستلفت النظر فيها مابدا من جانب رجال كنيستنا من مظاهر المودة الاخوية ، وقد ذهبوا فيها الى أقصى معانى حدود الوحدة المسيحية فقد صرحوا بشعورهم بالمحبة المتبادلة بين الكنيستين والوحدة القائمة بينهما .. مستعملين فى ذلك تعابير بالغة ودقيقة ، حتى قالوا ان (علائق المحبة قد اصبحت بين الكنيستين متينة ووثيقة ، وجعلت كل واحدة منهما بازاء الاخرى اختاً وشقيقة)

كما تكلموا عن كنيسة انكلترا ككنيسة الله وجامعة للمؤمنين

واخيرا قدموا بطريقة عملية اعظم برهان على شعورهم بتلك الوحدة المسيحية ، اذ اشتركوا فى خدمة دينية ، مع رجال الكنيسة الانكليزية ، وهم بملابسهم الكهنوتية الرسمية

ولسنا فى حاجة للقول بأن الذى ابديناه نحن من مظاهر الود مع الكنيسة الانكليزية ، ورجالها لايقاس بشىء بازاء هذا الذى فعله أحبار كنيستنا واصحاب الرأى فيها

أما الذى نلاحظة ثانيا فهو ان هذه المظاهر الودية قد جاءت من جانب الرجال المسئولين فى كنيستنا ، فالذين قاموا بها هم نخبة من مطارنتنا المحترمين ، يتزعمهم فى ذلك اثنان من بطاركتنا الموقرين ، وقد صرّح واحد منهما باستعداده الكامل للاشتراك شخصياً فى حفلة التدشين ، وان الآباء المطارنة ما كانوا فى ذلك إلا عن شخصه الموقر نائبين

ومازال ثانيهما وهو صاحب الغبطة البطريرك الحالى يبدى هذه الروح الطيبة ويسير على هذه السياسة الرشيدة ، وكان آخر ماقام به غبطته فى هذا السبيل ماصنعه لمناسبة

حفلة تدشين الكاتدرائية الانكليزية الجديدة بالقاهرة ، حيث اناب عن شخصه الكريم صاحب النيافة الحبر الجليل الانبا توماس مطران الغربية فى حضور تلك الحفلة ، كما ارسل مع نيافته هدية كريمة تعبيراً عن شعور غبطته السامى من نحو رجال الكنيسة الانكليزية ، ثم زيارته الكريمة لتلك الكاتدرائية فى صباح الاربعاء ٢٥ يناير ١٩٣٩ التى قام بها وبمعيته صاحب النيافة الانبا ثاوفيلس مطران كرسى اورشليم وصاحب السعادة مرقس باشا سميكة وآخرون .

وهنا نسأل — إذا كانت هذه هى الروح التى ظهرت من جانب بطاركتنا ومطارنتنا الموقرين ، فهل كان هؤلاء ايضاً على الكنيسة خارجين ، وضد كيانها واستقلالها متآمرين ؟

والخلاصة هى — ان روح المسيحية الحقيقية ، ومباديء المسيح والتعاليم الرسولية وتصرفات رجال الكنيسة المسئولين ، لابل واقطاب المعارضين — هذه جميعها تثبت فى وضوح وجلاء ان صلات الود مع الكنيسة الانكليزية لاتتعارض فى شيء مع الامانة للكنيسة ، وان اتخاذ هذه العلائق الودية برهاناً على المروق والخيانة ، ماهو إلا سوء نيّة ودسيسة .

هل هناك مايبرّر سياسة الخصام والقطيعة ؟

أما ان كان القوم جادين فى اتهامهم ، وانهم حقاً يعتقدون ان فى سياسة التفاهم خطأ يجب اصلاحه ، ويريدوننا ان نقطع صلات الود مع الآخرين وان نعيش معهم فى نفرة وقطيعة — اذن تكون هذه الدعاية من جانبهم جناية كبرى وجريمة فظيعة ، فهى — علاوة على مافيها من الثورة على التعاليم المسيحية — دعوة خطرة ضد المسيحية بأسرها ورسالتها الروحية والاخلاقية والاجتماعية

ان المسيحية اليوم تواجه اخطارا منوعة وعديدة فى انحاء العالم بأسره ، والمسيحية اليوم — بازاء هذه الاخطار التى تواجهها — احوج ما تكون الى الوحدة والتعاون والسلام ، فلماذا يريدوننا أن نكون دعاة قطيعة وتنابذ وخصام ؟

ثم لماذا يريدوننا أن نبغضهم ، وعلى أى أساس يبررون هذا العرض من جانبهم . ان القوم لم يبد الى الآن من نحونا منهم ، إلا ما يستحق حبنا لهم واجلالهم ، فتصريحاتهم من نحونا جميعها لاتحمل إلا معنى المحبة والاحترام ، وقد مر بنا ماقرره سيادة اللورد انجرام من أن بطريركنا هو « اعظم رئيس لاقدم كنيسة وان الكنيسة القبطية هى الشقيقة الكبرى للكنيسة الانجليكانية ، وان غاية آمال رجال تلك الكنيسة هى ان تعمل الكنيستان كتفاً الى كتف لتنهض كل منها عزيمة الأخرى ».

ثم اسمع سيدى ماصرح به سيادة رئيس أساقفة كنتربرى وهو الرئيس الاكبر للكنيسة الانكليزية عندما حظيت بزيارته أثناء اقامتى بلندرة فى صيف سنة ١٩٣٥ ..

قال لى سيادته أثناء حديثنا « لقد بلغنى انك تجاهد فى سبيل اصلاح شئونكم الكنسية . فهلا صادفتك فى سبيل ذلك مقاومات ومتاعب ؟ »

وأجبته « لايخلو الأمر من ذلك »

فسأل « ألم يخطر على بالك تحت تأثير هذه المتاعب أن تنفصل عن كنيستك ، وهل لم ينتهز واحد من رجال الارساليات ببلادكم هذه الفرصة ليغريك على الانفصال عن كنيستك »

فأجبته « أما انى جّربت بالخروج عن كنيستى فلم يحصل ، واما ان أحداً حاول أن يغرينى على ذلك فلم يحدث . وانما حدث أمر واحد له علاقة بهذا الموضوع »

ثم رويت له خلاصة ماجرى بين شعب المنيا وبينى وشرحت له كيف كان موقفى هذا موقف المعارضة لحركة الانضمام لكنيسته ، واقناع القائمين بهذه الحركة بالعدول عنها والثبات فى كنيستهم الى المنتهى

والآن فليسمع الجميع ماذا كان جواب الرجل على هذا التصريح :

« المجد لله لان الشيطان لم ينتصر فى هذه الموقعة ـــ ان كنيستكم يا أبنى اقدم وأمجد كنيسة فى العالم ـــ وكل فكرة ترمى الى الانسلاخ منها هى فكرة من الشيطان وليست من الله »

فاه الرجل بهذه الكلمات بينما كانت نظرات عينيه وأسارير وجهه الوقور تنبىء عما كان يكنّه قلبه الكبير ، من الاخلاص والولاء مع الاغتباط والسرور

ومضى الرجل فى حديثه الى ان انتهت المقابلة وهممت بالانصراف فنظر الى وقال « لى سؤال أود ان أسمع الجواب عنه قبل الذهاب »

فقلت ـــ « تفضل »

فقال ـــ « هل حقاً أنت عازم على الثبات فى كنيستك مهما صادفك فى طريقك من أتعاب ؟ »

فأجبت ـــ **« انى واثق بناء على اعتمادى على نعمة الله انه لو أدى الأمر الى سفك آخر نقطة من دمى فستسفك هذه النقطة على اعتاب كنيستى »**

فانبسطت اسارير الرجل مرة أخرى وقال :

« كم أنا سعيد لأن أسمع هذا التصريح .. وفى مثل هذه اللهجة الحازمة القوية ، وأرجو يابنى أن تبلغ رسالتى هذه الى شعبك »..

« اثبتوا فى كنيستكم الى المنتهى »

ولو انك علمت ياسيدى ماتبع هذا الحديث من مشاعر العطف ومظاهر الاحتفاء ، وأضفت ذلك الى تصريحات الاخلاص والولاء ، لعلمت كيف تكوّن القلوب الكبيرة وكيف يقابلها أصحاب النفوس الضعيفة والصغيرة ، ولاستطعت ان تكون لنفسك صورة صحيحة لعبث القوم الذى يأتونه اليوم ، وهم يتهجمون تهجم الصبية الصغار فى غير ماتقدير أو اعتبار ، على شخصيات يجب لها مايجب من الاجلال والاكبار ، على ان القوم

لم يكن تعبيرهم عن اخلاصهم من نحونا قاصراً على تصريحاتهم واحاديثهم الودية ، ولكنهم ايضاً اثبتوا هذا الاخلاص فى تصرفاتهم وبطريقة عملية ، لما وطئت ارساليتهم أرض بلادنا وضعوا لأنفسهم مبادىء يسيرون عليها ـــ وقد ضمنوا تلك المبادىء فى رسالة أصدروها عنوانها (المبادىء العملية) وها نحن ننقل فيما يلى نص الفقرتين ٧ و ٨ من هذه الرسالة وهما اللتان فيهما قد حددوا موقفهم ازاءنا ونيّاتهم من نحونا :

٧ ـــ والكنيسة الاسقفية لاتطمع فى ازدياد أعضائها إلا من أولئك الرجال والنساء الذين هم نتاج عملها التبشيرى ـــ أو الذين يرغبون فى مشاركتها فى هذا العمل .

٨ ـــ وعليه لاترغب الكنيسة الاسقفية فى ازدياد اعضائها بواسطة ضم اعضاء الكنائس الاخرى سواء كان من الاقباط الارثوذكس أو الانجيليين أو غيرهم ، لانها ضد هذا العمل مبدئياً وغرضها العملى ورغبتها الحقيقية يتجهان الى هذا الطريق ... وجوابها عادة على طلبات اعضاء الكنائس الاخرى الذين يظهرون رغبتهم فى الانضمام اليها ، هو ان خير وسيلة لهم أن يبقوا فى كنائسهم ويعملوا كل مافى وسعهم لبنيانها وتقويتها ، وستبقى حريصة على هذه الخطة التى اتبعتها فى الماضى .

هذه هى مبادئهم ـــ ولقد اثبت القوم امانتهم الكاملة لهذه المبادىء منذ وطئت اقدامهم أرض بلادنا ـــ فلقد قاربوا الآن على تمام الستين سنة منذ وفودهم الينا ـــ ولم ينضم اليهم منا إلا عائلات قليلة محصورة لاتتجاوز عدد اصابع اليد إلا قليلا ـــ وان مقارنة بسيطة بين عدد من انضم اليهم منا ومن انضم الى الارساليات الاجنبية الاخرى ـــ التى لم يكن لها ما كان للارسالية الانكليزية من الظروف والامتيازات التى تسهل مأمورية الضم عليها ـــ لتكفى لان تثبت امانتهم الكاملة للمبدأ الذى وضعوه لانفسهم ونيّاتهم الطيبة من نحونا .

والى هذه النيّات الطيبة والسياسة الرشيدة يرجع ميلنا الخاص اليهم وصلات الود القائمة بيننا وبينهم .

الاتهام اتهام باطل وسقيم

اثبتنا فيما مضى أولا أن التعاليم المسيحية وتصرفات الرجال المسئولين فى كنيستنا تقف بجانب مبدأ التفاهم مع رجال الكنيسة الانكليزية ، وأثبتنا ثانياً ان تصرف رجال الكنيسة الانكليزية معنا ليس فيه ثمة مايبرّر وقوفنا معهم موقف الخصومة أو القطيعة والاعتزال .

وهنا ننتقل الى نقطة اخرى ـــ تلك هى اثبات أن اتهام القوم لهذه الصلات الودية وسيلة لابتلاع الكنيسة القبطية إنما هو اتهام باطل وسقيم ـــ اما دليلنا فى هذا فهو شهادتهم الشخصية وحكم المنطق السليم .

أولاً : نقول ان تلك الدعوى الجريئة لاتتفق فى شىء مع المنطق السليم والتفكير الصحيح .

ان للكنيسة مجمعاً مقدساً ورآسة دينية ولهذا المجمع المقدس وحده دون سواه سلطة التصرف فى الشئون الكنسية ـ لاسيما ما كان له مساس من قريب أو بعيد بكيان الكنيسة واستقلالها أو بعقيدتها وايمانها وليس لكائن من كان ـ خارجا عن دائرة هذا المجمع المقدس ـ مهما كان له من تأثير أو سلطان ـ أن يتصرف فى الكنيسة فى قليل أو كثير ....

أكانت الكنيسة فى نظرهم سلعة تباع وتشترى دون ان يكون لأصحاب السلطة الشرعية فيها رأى أو مشورة ؟..

ألم ترهم فى حركة تمثيل الكنيسة القبطية بمؤتمر الاتحاد المسيحى كيف جنحت بهم أفكارهم الى الدرجة التى معها قالوا عن مؤتمر قد ضم مندوبين عن نحو مائة من الهيئات المتفرقة وتمّثلت فيه المذاهب المسيحية بأسرها بما فيها الكنائس الارثوذكسية جميعها وكان المفروض ان الكنيسة القبطية ان يندب احد لتمثيلها ـ كيف هداهم تفكيرهم الضعيف إذ ذاك للحكم بأن ذاك المؤتمر ماكان إلا مؤامرة مدبرة ضد الكنيسة القبطية ، وكأنما العالم المسيحى بأسره بما فيه من كنائس مشيخية وارثوذكسية ، ليس له مايفكر فيه إلا ضم الكنيسة القبطية للكنيسة الانكليزية !! .....

هذا هو منطق القوم ... وهذه هى درجة تفكيرهم ؟

ان المنطق الصحيح يسفّه تلك الدعوى ويسقطها ، وهكذا ايضاً تفعل الوقائع الثابتة بها .

والخلاصة .. ان المنطق والواقع يثبتان بطلان مانسبوه الى صلات الود من الاتهام ، ويؤيدهما فى ذلك ماسجله القوم على أنفسهم من تلاعب بالحقائق وتناقض فى الكلام .

ادلتهم على صحة الاتهام ومافيها من تضليل وابهام

هنا نتقدم الى نقطة اخرى !

ان القوم لما أعوزهم البرهان على صدق اتهامهم لنا ، باننا فى علاقاتنا الودية مع رجال الكنيسة الانكليزية ، قد اتينا أموراً تتعارض مع الامانة للعقيدة الارثوذكسية لجأوا الى الكذب والاختلاق ، دون ان يرعوا حرمة للصدق أو يقيموا وزناً للحقيقة ، وكانوا فى كل هذا ثائرين على أبسط المبادىء والاخلاق

وهنا نقدم عينة بسيطة من ادلتهم ـ وفى هذه العينة كل الكفاية لاثبات ما فى تلك الادلة من تجن على الحقيقة وللكشف عن الكذب والافتراء اللذين احاطا بدعايتهم .

عقب عودتى من مؤتمر الاتحاد المسيحى شعر القوم بالالم للفشل الذى أصابهم وقد تحققت فكرة الانتداب بعد الذى بذلوه من جهود جبّارة فى سبيل احباطها ، وبعد النجاح الذى سمحت به نعمة الله وبفضل الرعاية التى أحاطنى الرب بها

وأراد القوم ان ينتقموا لانفسهم من هذا الفشل الذى أصابهم ، فلم يجدوا إلا ذلك السلاح المفلول أمامهم ـ سلاح الادّعاء علينا بالخروج على كنيستنا والانضمام الرسمى للكنيسة الانكليزية

فكتبوا فى مجلة « صهيون » أننى اشتركت مع مندوبى الكنائس الأخرى فى الأسرار الالهية .. قالوا ..

« واختتم المؤتمر جلساته باجراء خدمة متّحدة لتناول الشركة المقدسة حضرها كل من المندوبين .. وفى تلك الخدمة ائتلف الاعضاء للمستقبل برابطة العبادة المتحدة والشركة الواحدة والتكريس من جديد للخدمة الواحدة .. ونقلت مجلة اليقظة التى صدرت بشهر نوفمبر .. صورتين احداهما لأول اجتماع مؤتمر ادنبره .. تمثل بعض أعضاء المؤتمر المذكورين بينهم حضرة القمص ابراهيم لوقا .. »

ان ادلة الاتهام التى قدموها تتلخص فى اثنين ـ الأول ان هناك خدمة متحدة اجريت لتناول الشركة المقدسة حضرها كل المندوبين ـ والثانى ان هناك صوراً نشرت للمؤتمرين ظهر بينهم حضرة القمص ابراهيم لوقا ..!!!!!

ان الجزء الذى يستشهدون به نقلا عن (الشرق والغرب) لم يذكر فيه ان كل المندوبين اشتركوا فى التناول من الشركة المقدسة ، ولكن الذى ذكر فيه ان كل المندوبين حضروا الخدمة المتحدة فى مؤتمر اكسفورد ، وحضورى الخدمة المتحدة ـ على فرض انى حضرتها ، وهذا لم يحدث بالمرة ـ ليس معناه اشتراكى فى السر المقدس فهذا شىء وذلك شىء آخر ـ والذى يحدث عادة فى مثل هذه المناسبات ان الخدمة المتحدة يحضرها المؤتمرون ، وأما السر المقدس فلا يتقدم اليه منهم إلا القليلون ممن فى ذلك بمحض ارادتهم يرغبون ..

وأما ظهور صورتى بين المؤتمرين ، فلست اعلم أى دليل على انى كنت من المتناولين ؟ فلو أن هذه الصورة أخذت اثناء التناول من السر المقدس وظهرت أنا فيها ، لصحّ اتخاذ ظهور رسمى دليلا على الواقعة التى أراد صاحب (صهيون) التدليل عليها ـ

أما ان تظهر صورتى بين جماعة المؤتمرين فانى لأرى فيه ـ كما يرى فيه كل ذى عقل وتفكير ـ إلا أمراً طبيعياً باعتبارى كنت واحدا من بين المندوبين ، والآن دعنا نستعرض الأمر فى حقيقته .

ان المؤتمرين لم يعقدا فى الخفاء ولكنهما عقدا على ملأ من الناس وأمام شهود عديدين ... وبالقاهرة الآن بعض من اولئك الشهود ، وكلهم رجال شرفاء محترمون وفى شهادتهم صادقون .

سلوا هؤلاء يخبروكم أن نفس الخدمة التى اجريت فى صباح الأحد الختامى لمؤتمر اكسفورد وفيها تناول البعض من السر المقدس ـ هذه الخدمة ماكنت مشتركا فى حضورها من أولها الى آخرها . فقد قضينا ـ زميلى الفاضل الدكتور متى وأنا ـ صباح ذلك اليوم فى زيارة مستشفى لسلّ الأطفال العظمى خارج المدينة .

سلوهم يخبرونكم انى فى الخدمة الثانية التى اقيمت بأدنبرة حضرت الخدمة ولكن دون أن اتناول السر المقدس فيها — وها صاحب السعادة البارون دى بلت سفير السويد السابق — ذلك الرجل الذى قد عرف فى جميع الاوساط بشرفه ونبله كان من الذين اشتركوا فى ذلك اليوم من السر المقدس — فان كنتم للحقيقة طالبين سلوه فعنده الخبر اليقين . وهو يخبركم أنى لم أكن في تلك الخدمة من بين المتناولين .

وهنا نضيف على تدليلنا السابق دليلا آخر على صحة قولنا — تلك كلمة نشرتها مجلة « الصخرة » التابعة للكنيسة اليونانية الارثوذكسية بعددها الصادر فى يناير سنة ١٩٣٨ تحت عنوان (حول مؤتمر ادنبرة) — قالت فيها ..

وقد أقامت الكنيسة الانجليكانية قداسين حافلين فى كل من مدينتى اكسفورد وادنبرة .. وفى أثناء القيام بهذه الخدمة الدينية دعى من شاء من جميع الحاضرين الى الاشتراك فى ذبيحة العشاء السرى فلبّى الدعوة عدد وافر من مندوبى جميع الكنائس ماعدا أعضاء الوفود الارثوذكسية الذين حضروا كزائرين فقط ولم يشتركوا قط فى تلك الذبيحة .. »

وليت شعرى أيمكن التوفيق بين هذه الدعوة الجريئة وبين الرسالة الكريمة التى تفضل صاحب الغبطة البطريرك فوجهها الي عقب عودتى من المؤتمر وقد جاء فيها « وسرّنا ماقمتم به من تمثيل كنيستنا القبطية الارثوذكسية خير تمثيل إذ نشرتم عقائدنا السليمة وأظهرتم مكانتها السامية وتاريخها المجيد للذين اجتمعتم بهم من مندوبى الكنائس مما دلّ على شدة محافظتكم على مقام كنيستكم وغيرتكم على شرفها فنعرب لكم بهذا عن سرورنا داعين لكم بالصحة والقوة والنشاط لكى تزدادوا غيرة فى خدمة كنيستكم ... » — نقول .. أيمكن التوفيق بين ما جاء فى هذه الرسالة الكريمة وبين اتهامنا باننا قد سلكنا فى ذلك المؤتمر مسلكا يتعارض مع الأمانة للكنيسة والاخلاص الكامل لعقيدتها وتعاليمها ؟ أم يريد صاحب (صهيون) ان يقول انه اكثر غيرة على الكنيسة وكرامتها من الرآسة الدينية فيها ؟

ان كلّ الادلّة التى أحاطت بهذا الموضوع ، تثبت فى جلاء ووضوح بأن صاحب (صهيون) فى كل ما ادّعاه علينا فى هذا انما كان مفتريا وعلى الحقيقة متجنّياً .

ومع ذلك فلم يستح من أن يحيط تلك الدعوى الكاذبة بكل جرأة قد تجاوز فيها كل حدود اللياقة وعبث فيها بكل تقدير للشرف والكرامة — وهل هناك جرأة اكثر من أن يتكلم عن تلك الدعوى الباطلة كتهمة (ثابتة) ؟ !! ثم يغالى فى تلك الجرأة حتى يتجاوز حدودها المعقولة فيعرض تحكيم المذبح فى سبيل اثبات تلك التهمة علينا ؟

وهذا الحديث يسوقنا الى تلك البدعة التى ابتدعها القوم أخيراً — بدعة مطالبتنا بتحكيم المذبح بينهم وبيننا — تلك البدعة التى بدأ بها صاحب صهيون كما رأينا هنا — ثم تبعه فيها بعد ذلك راغب افندى مفتاح فى نشرته التى اصدرتها تحت عنوان (راغب مفتاح يتحدّى القمص ابراهيم لوقا)

ان القوم لما أعوزهم الدليل يثبتون به صدق اتهامهم ، وكانوا فى الوقت ذاته — يحسون بالكذب والافتراء اللذين أحاطنا بدعايتهم لجأوا الى هذه البدعة ليقينهم بأننا لن نجيبهم الى طلبهم ولن نسمح لانفسنا ان نحكم المذبح بيننا وبينهم ، حتى اذا ما أمتنعنا عن قبول عرضهم قدموا ذلك للناس برهاناً على صحة الجريمة ، وما أرادوا بكل هذا إلا ان يخدعوا النفوس الطيبة والقلوب السليمة .

لقد كان القوم عالمين وموقنين بأننا لن نسمح لانفسنا بتحكيم المذبح بينهم وبيننا ، أما أولا فلأننا لانعترف بأية صفة كبيرة أو صغيرة تبيح لنا ان نقيم وزناً لدعوتهم ، وان نسعى لتبرئة انفسنا أمامهم بالطريقة التى قد فرضوها علينا حسبما أوحت به اليهم عقليتهم وضمائرهم .

فمن هؤلاء الذين يريدونا أن نحتكم أمام المذبح واياهم ؟ وأية صفة لهم تضطرنا لان ننفذ لهم رغباتهم ؟

انهم قوم مجردون عن كل حقوق كنسية وليس لهم ان يقيموا انفسهم للحكم على اشخاص قد تفضل الله وحسبهم أهلا للرتبة الكهنوتية . فالأول قد جردته السماء من رتبة الاسقفية الجليلة بحكم مجمع مقدس منذ سنين . ولازالت الكنيسة الى اليوم لاتعترف به .. وحسبك دليلا على هذا الأمر البطريركى الصادر أخيراً فى ٢ فبراير سنة ١٩٣٩

وأما الثانى فهو لايخرج عن كونه أحد العلمانيين العاديين ، ولو اننا تساهلنا فحسبناه — حسب اعتقاده فى نفسه — من الاراخنة المعتمدين فانه يبقى مع هذا التساهل مجرداً عن كل صفة تمنحه حق محاسبة كائن من كان من رجال الدين ، والقانون الكنسى يقول فى ذلك صريحا (وكل الاحكام التى تكون فى الاكليروس لا يؤتى بها نحو الاراخنة بل نحو الاسقف أو أول القسوس ليحكم فيها عليهم فليس الاراخنة الذين يحكمون على الكنيسة بل الكنيسة التى تحكم على كل أحد) مجموع صفوى ٩ : ٣٦

واذا كان القوم يريدون ان يعطوا لانفسهم صفة لم تسمح بها لهم تقاليد كنيستنا وتعاليمها ، معتدين فى ذلك اعتداء صريحاً على أصحاب السلطة القانونية فيها ، فانه يكون من خرق الرأى والتقدير السيء ان ينتظروا منا ان نساهمهم فى هذه الغلطة ، دون ان يكون هناك ثمة مايدعون لأن نهوى بانفسنا فى هذه السقطة ، فلو اننا احتكمنا واياهم لكان هذا اعترافا صريحاً منا بهذا الحق لهم .

ولماذا نلجأ الى الاحتكام ؟ ألانهم كانوا اقوياء فى تدليلهم على صحة الاتهام ؟ لقد أقاموا علينا دعاوى طويلة وعريضة — ولكنها كانت جميعها خلواً من الادلة والاسانيد ، وفى ميدان الادعاء الباطل متسع لكل من كان يرغب فى ذلك ويريد ، وليس فى مجرد الاتهام ما يضيرنا ، طالما كان اتهام القوم عاريا عن كل دليل — يثبت التهمة علينا — فكم يكون الأمر اذا كانوا فى الجزء الغالب من اتهامهم قد قدموا بأنفسهم الحجة على افترائهم وبرائتنا كما سنرى وكما رأينا .

ثم لماذا نلجأ الى الاحتكام ؟ هل اعوزنا البرهان للتدليل على فساد الاتهام ؟

ان سلاحنا ولله الحمد فى ايدينا ماضياً وقويا ، وفيما قدمناه الى الآن من الدفاع وما سنأتى به فيما يلى يقوم البرهان على براءتنا واضحاً وجلياً.

واخيراً لماذا نلجأ الى الاحتكام ؟ هل تطرق الوهن الى مركزنا أمام الرأى العام ؟

اننا نحمد الله لان هذه الدعاية من جانبهم قد قوبلت بالسخط والاستنكار من رجالنا المسئولين وأصحاب الرأى فينا ، وقد أثارت نفوسهم منهم بقدر ماضاعفت من عطفهم علينا ، وحسب القوم دليلا عى ذلك ان يعلموا ان جمعية اصدقاء الكتاب المقدس لم يكن فى كل القطر إلا أحد عشر فرع لها ، واليوم اصبحت تلك الفروع اربعة وعشرين بعد ان اشهروا الحرب عليها

وما دمنا بنعمة الله ننعم بثقة رجال الشعب المسؤلين وعطفهم علينا ، فماذا يدعونا لتحكيم المذبح بين القوم وبيننا ؟

على ان هناك سبباً ثالثاً — وهو فى نظرنا أهم الاسباب — يحول بيننا وبين قبول ماعرضه القوم علينا — ذاك هو اننا — بفضل نعمة الله علينا — لم ننحدر فى سبيل الخصومة القائمة ، الى الدرجة التى معها ننسى ماللمذابح المقدسة من حصانة وكرامة .

يقول القانون الكنسى فى باب الحكم والمحاكمة (ويجب ان تتخذ للقضاء مجلساً ظاهراً .... ولاتجلس فى الهيكل للحكم فان دخول الهيكل لايجوز لغير كاهن ان يدخله — ولايحسن ان يكون فيه المخاصمة والمغايظة ..) مجموع صفوى ٤٣ : ٥٨ — واذا كان هذا هو الذى يأمرنا به قانوننا الكنسى ، فكيف يريدنا القوم — ونحن الآن فى موقف قد تجاوزت فيه خصومتهم لنا حدود اللياقة المعقولة — ان نجعل المذبح مكاناً للاحتكام والمحاكمة ، والمغايظة والمخاصمة ، وللمذابح مالها من حرمة وكرامة ؟

لهذه الاسباب متجمّعة كان عرضهم علينا مرفوضاً — وكان القوم يعلمون جيداً اننا لهذه الاسباب لن نقبل منهم هذا الاقتراح السخيف ، فجاءوا به ليتخذوه وسيلة يغطّون بها مركزهم السقيم الضعيف.

بقيت علينا كلمة اخيرة نختم بها الحديث عن الصلات الودية مع الكنيسة الانكليزية ان صلات الود بيننا وبين تلك الكنيسة ليست فقط لم تجرنا الى الخيانة فى كثير أو قليل لكنيستنا ولكنها ايضاً لم تمنعنا عن الوقوف معهم موقف المعارضة امام كل تصرف رأيناه يمسّ العقائد الايمانية والمبادىء الاجتماعية

وعهدنا بحملة (اليقظة) الشديدة التى حملتها على اثر ظهور كتاب (مابين العلم والدين) ومقالات (الشرق والغرب) عن الحفلات الغنائية ليس ببعيد .



٣ — نهضة الاتحاد المسيحى والاشتراك فيها

كان الدليل الثالث من أدلة الاتهام ، ذاك الذى ينّوه على علاقتنا بمشروع الاتحاد المسيحى وموقفنا بازائه ، فقد قالوا فى بيانهم المعروف تحت عنوان (الجمعية ومشروع اتحاد الكنائس) :

« .. وقد نشطت فى السنوات الأخيرة حركة اتحاد الكنائس بين جدران جمعية اصدقاء الكتاب المقدس ، وعماد هذه الحركة القمص ابراهيم لوقا وحافظ افندى داود ، وهما عضوان فى جمعية اتحاد الكنائس (أو بالحرىّ الاتحاد مع الكنيسة الاسقفية وهو بيت القصيد) ... »

ولم تكن هذه أول حملة من نوعها حمل فيها القوم فى هذا علينا ، والناس لم ينسوا بعد ما كان من أمرهم فى انتدابى لحضور مؤتمر ادنبره اجابة للدعوة التى وجهها الاتحاد الينا .

الاتّحاد المسيحى عمل نبيل ونظرية مسيحية

واننا لنقرر على الملأ اننا كنا مع الذين رحّبوا بهذه النهضة منذ ظهورها واغتبطوا بها ، وتمنوا أقصى حدود النجاح لها ، وماكان هذا لنقص فى الامانة للكنيسة من جانبنا ، وانما كان لرغبتنا الصادقة فى خير المسيحية ونجاحها ، وتقديساً لما وضعه مسيحنا ورسله الاطهار من التعاليم عن الوحدة فيها

ان نهضة الاتحاد المسيحى ترمى الى غاية مبدئية — تلك هى أن تقترب كل كنيسة نحو الاخرى بروح المحبة والتفاهم ، وأن تعيش كل كنيسة مع الاخرى فى سلام وتعاون — حتى يتسنى للكنائس المسيحية بأسرها أن تؤدى للعالم المضطرب الحائر رسالتها ، عاملة فى ذلك فى وحدة مقدسة كما يليق بها .

كما ان تلك النهضة ترمى الى غاية مجيدة ، تلك هى ان تعود بالمسيحية بأسرها الى ماكانت عليه فى العهد الرسولىّ الذهبىّ كنيسة واحدة وحيدة .

واننا — مع اعترافنا بما يحيط الحركة من مصاعب وعقبات ليس من الهين تذليلها — فاننا لانرى فيها — فى حد ذاتها — مايدعو لمناهضتها ، أو الوقوف موقف الاعتزال والقطيعة بازائها ..

بل اننا على العكس — نرى ان الاخلاص للمسيحية والرغبة فى نجاحها ، يهيبان بنا ان نناصر هذه الحركة وأن نشجّعها ، كما اننا نشعر بأن روح المسيح يدعونا لان ننضم لصفوف العاملين لهذه الوحدة المقدسة وماتنطوى عليه من المعانى النبيلة الشريفة ، فنحن كيفما نعرض لفكرة الاتحاد المسيحى ومن أى ناحية نأتيها ، نجد مايدعونا للترحيب بها والدعوة اليها .

فالمبادىء المسيحية والتعاليم الرسولية تتفق معها وتعززها ، والغيرة على كرامة المسيحية فى العالم ومجدها والرغبة فى نجاحها — هذه جميعها تقف بجانبها وتؤيدها .

لقد مرّ بنا ان رسالة المسيح الاساسية التى لاجلها قد جاء الى عالمنا انما كانت رسالة المحبة .

ومظهر المحبة انما هو الوحدة والسلام ، لا التنافر والانقسام ، واذن فانقسام المسيحيين اليوم الى شيع ومذاهب يناقض روح المسيحية وتعاليمها ، ويجرحها فى صميمها ، وكما يتناقض الانقسام فى المسيحية مع روحها وتعاليمها فكذلك هو يتنافر مع غايتها ومراميها .

فلماذا جاء المسيح ؟ !!

انه جاء لكى يجعل الاثنين واحدا وينقض حائط السياج المتوسط أى العداوة ويخلق الاثنين فى نفسه انساناً واحدا جديدا ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله (أفسس ٢ : ١٣ — ١٨

ولقد عبّر المسيح عن تلك الغاية العظمى التى قد جاء من اجلها وعن رغبته المقدسة فى تحقيقها فى صلاته المقدسة التى قال فيها .

« ليكون الجميع واحداً كما انك انت أيها الآب فىّ وأنا فيك .. ليكونوا واحدا كما اننا نحن واحد » يوحنا ١٧ : ٢١ ، ٢٢

كما عبّر عنها فى حديثه الطاهر المقدس ...

« لى خراف آخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتى وتكون رعيّة واحدة وراع واحد » يوحنا١٠ : ١٦

واذن فانقسام المسيحية اليوم الى شيع ومذاهب يتصادم مع رغبة المسيح المقدسة ويتناقض مع الغاية التى جاء لاجلها ، ويخلق من جديد حالة مكروهة هى حالة التفرق والانقسام ، التى جاء المسيح لينقضها وفى سبيل القضاء عليها تحمل ما تحمله من الاوجاع والآلام .

ثم ان الانقسام فى المسيحية يعطل رسالتها ، ويحول دون اتمام مهمتها فداخل محيط المسيحية مشاكل عدة روحية واخلاقية واجتماعية ، وعبء حلها انما يقع على عاتقها ، وكان فى المقدور ان تؤدى المسيحية واجبها فى هذا السبيل ، ولكن انقسامها الذى قضى على روح التعاون فيها ، جعلها فى حالة من الضعف قصرت معها عن أداء مهمتها .

وعلى المسيحية مسئولية عظمى خارج دائرتها — تلك هى تبليغ رسالتها للذين لايزالون بعيدين عن حظيرتها ، ولكن انقسام المسيحية الى مذاهب عطل عملها من هذه الناحية وكان عثرة كبرى فى سبيل قبول رسالتها .

ان التبشير القوىّ الفعال انما هو تبشير الحياة العملية لاتبشير الاقوال الكلامية « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى

فى السموات » متى ٥ : ١٦

وما دام العمل يناقض القول فمهما كان كلامنا بليغاً وقوياً ، فانه يذهب ادراج الرياح بلا فائدة ولا جدوى — ونحن نقدم المسيحية للعالم اليوم كديانة المحبة والوحدة والسلام ، على أن العالم اليوم اذ يرانا قد انقسمنا بعضنا على بعض الى شيع ومذاهب لايقيم وزناً لكلامنا ، بل كثيراً مايجعل هذا سبباً للطعن فينا والتشهير بنا ، ويتخذه برهاناً ضد صدق رسالتنا ودعوتنا .

لنكتب فى المسيحية ولنشغل فى ذلك حيّزاً جهد استطاعتنا ، ثم لنعظ عن المسيحية ولنكرز فى كل مكان بها مستعملين فى ذلك كل بلاغة حسب طاقتنا ، ولكن لتبق المسيحية متفرقة متنافرة ، فستروح كرازتنا ضعيفة عاطلة وستكون مجهوداتنا فى ذلك ضائعة باطلة .

لنصمت عن الوعظ والكلام ، ولنكف عن التبشير والكرازة ، ولكن لننضم جميعا الى وحدة مقدسة تحت علم المحبة — علم ربنا ومسيحنا — وعند ذلك سيرى العالم المسيحية فى صورتها الرائعة وجمالها الحقيقى ، وعند ذلك سيتم القول المكتوب « لاقول ولاكلام يسمع صوتهم ، فى كل الارض خرج منطقهم والى أقصى المسكونة كلماتهم » مزمور ١٩ : ٣ و ٤

لهذه الاسباب مجتمعة رفع الرسول صوته عالياً يهيب بالمسيحيين عامة ، ان كونوا « مجتهدين ان تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام ، جسد واحد وروح واحد كما دعيتم ايضاً فى رجاء دعوتكم الواحد . رب واحد . إيمان واحد . معمودية واحدة . اله واحد واب واحد . للكلّ الذى على الكلّ وبالكلّ وفى كلّكم » أفسس ٤ : ٣ — ٦

اذاً فاننا بحق نعتبر انقسام المسيحية الى شيع ومذاهب لوثة تشوه كثيراً من جمالها ، وتحول دون ظهورها فى كمال روعتها وعذوبتها وجلالها — وبحق نعتبر انقسام المسيحية على ذاتها مصادمة جريئة لرغائب المسيح المقدسة ، وثورة صارخة على مبادىء المسيحية وتعاليمها .

واذاً بحق نقرر أن فكرة الاتحاد المسيحى فكرة بريئة وشريفة ، والواجب الميسحى يهيب بنا ان نرحب بها وان نسعى لتحقيقها تقديساً لارادة ربنا وانفاذا للتعاليم الرسولية ، ولا يخرج عن هذا إلا من كانت لهم غيرة ولكنها ليست حسب المعرفة (روميه ١٠ : ٢) أو كانت لهم غيرة ولكنها « أرضية نفسانية شيطانية » يعقوب ٣ : ١٣ — ١٨

العالم المسيحى يناصر فكرة الاتحاد ويؤيدها

والرجال المسئولون فى العالم المسيحى بأسره قد فطنوا اخيرا الى تلك الحقائق التى ذكرناها وكانت موضع اعتبارهم وتقديرهم ، واحتلت جزءا كبيراً من اهتمامهم وتفكيرهم .

ومن هنا نشأت فكرة الاتحاد المسيحى — وما ان ظهرت الفكرة رحّب بها اقطاب الكنائس ولبّوا دعوتها وكانوا بها جد مغتبطين ، وقاموا يشجعونها ويناصرونها تحت تأثير

اقناعهم الشخصى بما كان فيها من الخير الكبير للمسيحية والمسيحيين .

ولو انك حضرت مؤتمرهم الاخير ، وشاهدت ذلك الجمع الحاشد وقد ضم وفودا شخصت الى المؤتمر من انحاء العالم باسره — من السويد والنرويج والدينمارك وهولندا — من انجلترا وفرنسا والمانيا وسويسرا وبولندا — من اليونان وبلغاريا وروسيا والبانيا — من امريكا وكندا والبرازيل — ومن اليابان والهند والصين — لو انك سيدى رأيت ذلك المؤتمر وقد تمثلت فيه جميع الاجناس واللغات ، كما تمثلت فيه جميع المذاهب والجماعات ، مابين ارثوذكسية وكاثوليكية وانجليكانية ، ومابين مشيخية ولوثرية ومعمدانية — لو انك شاهدت ذلك المنظر الرائع لعلمت كيف قابل العالم المسيحى بأسره تلك النهضة المباركة ، وكيف اقبل الجميع عليها يؤيدونها ويدعون اليها .

وكان اقطاب الكنائس المسيحية المسئولون فى مقدمة دعاة تلك الفكرة النبيلة ومناصريها ، وقد ساهموا فى العمل على تحقيقها — فرؤساء الكنائس الارثوذكسية باسرها ، ورئيس اساقفة كنتربرى وغيرهم من رؤساء الجامعات الاخرى — هؤلاء جميعهم قد اعلنوا للعالم بأسره رغبتهم الصادقة فى القضاء على مابين الكنائس المسيحية من نفرة وانقسام ، ليعيش الجميع فى وحدة مقدسة والفة وسلام .

وكانت الكنيسة الوحيدة التى كان لها مظهر الاعتزال عن تلك الفكرة والاعراض عنها هى الكنيسة الرومانية ولكن هذه الكنيسة الموقرة قد أعلنت اخيراً ارتياحها لهذه الفكرة ورغبتها فيها ، بالخطوة التى اتخذها حبرها الاعظم البابا بيوس الثانى عشر — ذلك الرجل الكبير الذى قد عرف بالحكمة وسداد الرأى والسياسة الرشيدة — وكانت خطوته هذه خطوة جديدة وفاتحة مباركة وسعيدة .

فقد نشرت جريدة الاهرام الصادرة فى ١١ مارس برقية لمراسلها الخاص فى اثينا تحت عنوان :

(علاقات الكنائس الغربية والشرقية) هذا نصّها :

« اذاعت جريدة فراديتى ان مدينة الفاتيكان أبلغت لأول مرة نبأ انتخاب البابا الجديد الى البطريرك المسكونى فى اسطنبول (وهو بطريرك الكنيسة اليونانية الارثوذكسية) فهذا العمل الذى قامت به مدينة الفاتيكان يدل على أن العلاقات المشروعة قد أعيدت بين الكنيستين الشرقية والغربية »

ونشرت جريدة مصر بعددها الصادر فى ١٨ مارس سنة ١٩٣٩ تحت عنوان (الكنيسة الارثوذكسية والكاثوليكية) البرقية الآتية عن (الوكالة العربية) :

(حدث حادث جديد له أهميته الخاصة فى العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والارثوذكسية كان موضع أهتمام الاوساط الدينية فى مختلف العواصم الارثوذكسية ويتلخص هذا الحادث فى ان وفداً خاصاً برآسة النائب الاكبر للقصادة الرسولية فى تركيا واليونان التى يقوم باعمالها صاحب الغبطة « رونكالى » ذهب الى البطريرك الارثوذكسى فى القسطنطينية يعلنه انتخاب البابا الجديد بيوس الثانى عشر ، كما قدم فى الوقت نفسه

الى البطريرك « بنجمان الأول » دعوة لحضور حفلة تتويج البابا فى كتدرائية اسطنبول الكاثوليكية .

وقد ألف البطريرك وفداً خاصاً مثّله فى هذه الحفلة يرأسه أرشيد ياكون البطريركية الاكبر « مكسيموس » وقد اعتبرت هذه الدعوة فى أول عهد قداسة البابا الجديد كأول خطوة فى ميدان السلام لوحدة الجميع ولا سيما وحدة المسيحيين فى سبيل السلم العالمى .

وبهذه الخطوة المباركة قد أعلن الحبر الاعظم للكنيسة الرومانية ان العالم المسيحى بأسره بات اليوم يؤيد فكرة التفاهم والتعاون ، ويستنكر سياسة التنابذ والقطيعة والتطاحن .

كنيستنا وفكرة الاتحاد المسيحى

ولكن قد تقول المعارضة ما لنا ولسوانا — فالمهم هو رأى كنيستنا والرجال المسئولين فينا .

وهنا نقرر بان كنيستنا لم تكن أقل من سواها رغبة فى هذه الوحدة المقدسة ، فهى تصلى من أجلها ، فى حرارة روحية تضرع الى الله أن يحصر الكنيسة بأجمعها فى وحدة مقدسة وأن يقضى على روح الانقسام فيها .

وها نحن نقدم فيما يلى بعضا من صلوات كنيستنا المقدسة ، وفيها ترى تعبيراً صريحاً عن فكرة كنيستنا عن الوحدة المسيحية ورغبتها الصادقة فيها . — ففى (قداس القديس اغريغوريوس) تبتهل الكنيسة الى الله متوجهة الى عرش رحمته ونعمته بالدعاء : « ... لتنقض افتراقات الكنيسة . حلّ تعاظم أهل البدع ، ونحن كلنا احسينا فى وحدانية التقوى » .

وفى خدمة (تكريس البيعة والمذبح) تسأل الله ضارعة « من اجل سلامة .. وألفة جميع الكنائس المقدسة » وتبتهل الى الله من اجل « نعمة الله القدوس المداوية لضعفنا والمكمّلة لنقصنا التى تؤلّف المتفرّقين وتعتنى بكلّ كنائس الله فى كل مكان » .

ولسنا ننتظر من كنيستنا المقدسة إلا ان تبدى هذه الرغبة وهى رغبة ربّها وفاديها ، ولا تنتظر من آباء قديسين إلا ان يعبّروا عن تلك الرغبة فى صلوات قد استرشدوا بروح الله فيها .

وكما عبّرت كنيستنا المقدسة عن هذه الرغبة فى صلواتها فكذلك عبّرت عنها بطريقة عملية فى تصرفات الرجال المسئولين فيها .

وكان أول من افتتح عهد التفاهم والسعى للوحدة والتعاون هو المثلث الطوبى الانبا كيرلس الرابع أب الاصلاح ، وها نحن ننقل لمحة مما كتبه المؤرخون فى هذا تحت عنوان (اتحاد الكنائس) فى كتاب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر جزء ٢

« كان من أشهى رغبات غبطته ان يشهد اليوم الذى تتحد فيه الكنائس

الارثوذكسية ، فسعى جهد المستطاع لجعل الكنيسة القبطية متأصّلة متحدة .. مع اليونانية التى تضم الامة الروسية تحت جناحيها .. على انه وضع نصب عينيه قبل كل شيء الابقاء **على مميّزات الكنيسة القبطية وخصائصها بالمحافظة على عقيدتها المستقلة** الرأى التى **بقيت من عهد تأسيسها** .. لذلك رأى رحمه الله وجوب التقارب خصوصاً بين الكنائس الموالية .. فبدأ بمسالمته جميع الطوائف ونشأ بينهم وبين رؤسائهم مودّة وتبادل ثقة ، وكان من اثر هذا ان اتهموه بالمروق والانتماء للدخول تحت كنف وحماية الدول الاجنبية مما ادّى الى الحنق عليه ، وكان قرب التفاهم فى مشروع الاتحاد قاب قوسين أو ادنى ..

قال صاحب الكافى : واحس كيرلس بعد رحيل وزير النجاشى بغيظ محمد سعيد باشا منه واتفق بعد أيام خروج كيرلس الى دير انطونيوس بالجبل الشرقى ومعه بطريركا الروم والارمن الارثوذكس ليقضيا فيه أياما ترويحا للنفس .. وطالت أيام عزلته وارسل القيصر يخابره فى أمر اتحاد الكنيستين القبطية والروسية وعندى انها حقيقة لايصح انكارها فقد كانت من اعظم رغائب كيرلس ، وكان اكثر الناس تعلقا بها وأشد تمسّكا باهدابها وقد بذل فى الوصول اليها النفس والنفيس ، وتقرّب ممن اشاروا عليه بذلك جهد الاستطاعة واستمالهم فأعانوه وصار اتحاد الكنيستين ادنى من قاب قوسين بل أمرا مقضيا ، فلما كان احد الأيام جاء اليه رسول من قبل محافظ مصر يستدعيه الى الديوان لأمر لايتم إلا بحضوره فلم يقبل الذهاب وصرف عنه الرسول فعاد ثانية وثالثة فلم ير بدا من الذهاب وسار معه وغاب ساعة ثم عاد ووجهه يقطر منه العرق وقد نزلت به حمى شديدة فلازم الفراش من ساعته واشتدت به الحمّى شدة بالغة .. ففقد الرشد وسقط شعر رأسه ولحيته على وسادته وانحلّ جسده ومات ..

وقضى رحمه الله فى ليلة الاربعاء ٢٣ طوبة ١٥٧٧ (سنة ١٨٦١) ، وقدّر أن يكون ماتقدم سبباً لافول نجم حياته فى قوّته ورجولته الكاملة .. »

وفى هذا الذى ذكرناه مايكفى لان يوّضح مركز رجل الكنيسة العظيم الانبا كيرلس الرابع من الرغبة فى الوحدة بين الكنائس ، وكيف تملّكت تلك الرغبة عليه وكيف سعى لتحقيقها ، حتى راحت حياته الغالية ضحية فى سبيلها .

وعلى هذه السياسة الرشيدة سار المثلث الطوبى الانبا كيرلس الخامس .

وقد مرّ بنا ماكان من أمره مع الكنيسة الاسقفية ، وما أبداه من روح الود والمجاملة فى تدشين كنيسة الخرطوم الانكليزية ، وفيه قد عبّر عن رغبته الخالصة فى توثيق عرى المحبة بين الكنائس الاخرى وكنيستنا القبطية ، وكان مركزه فى ذلك واضحاً وجلياً .

أما غبطة البطريرك الحالى فقد عبّر عن هذه الروح الطيبة والرغبة النبيلة فى مناسبات عديدة

ففى سنة ١٩٣٥ طلب وزير السويد المفوض — باعتباره رئيس شعبة الاتحاد المسيحى — بمصر — من غبطة البطريرك المعظّم السماح لهيئة الاتحاد المسيحى باقامة خدمة دينية متحدة بالكنيسة المرقسية الكبرى وقابل غبطته هذا بالقبول والرضا ، وفعلا

اقيمت بالكاتدرائية الكبرى تلك الخدمة المتحدة .

وفى نوفمبر سنة ١٩٣٦ زار سعادة البارون دى بلت غبطة البطريرك المعظم وابلغ غبطته رغبة الاتحاد المسيحى فى ان يندب عن غبطته من يمثل الكنيسة القبطية فى مؤتمر اكسفورد وادنبره ، وفى أول مايو سنة ١٩٣٧ اثناء زيارة المسيو كليفيه سكرتير الاتحاد المتجّول لمصر — ابلغت هذه الرغبة لغبطة البطريرك للمرة الثانية فتفضل غبطته باجابة الدعوة ، وكان ان وقع اختيار غبطته فى هذه المهمة على شخصى .

ورغم ماقام به القوم من جهود جبّارة فى سبيل الغاء فكرة الانتداب — مما سأشير اليه فيما بعد — فان غبطة البطريرك قد اصرّ على انفاذ الانتداب ، ضاربا بتلك المساعى والوشايات عرض الحائط دون ان يعيرها اهتماما أو يحسب لها أى حساب .

وتحقّقت فكرة الانتداب وبنعمة الله تنفّذت ، واحتلت كنيستنا القبطية كرسيها ، وبكرامتها احتفظت .

وفى ٢٨ ابريل ١٩٣٨ اقامت شعبة الاتحاد بمصر خدمة متحدة بالكاتدرائية الانكليزية الجديدة تمثلت فيها الكنائس المسيحية بمصر بأسرها — وقد تفضل غبطة البطريرك وانتدب جناب الاب الموقر القمص صليب ميخائيل وكيل البطريركية لينوب عنه فى تمثيل الكنيسة القبطية .

وفى هذه التصرفات جميعها قد اعلن غبطة البطريرك عن ارتياحه لسياسة التفاهم بين الكنائس وتوطيد روح التعاون فيها ، كما صرّح غبطته بمساهمته فى هذه الحركة المباركة ورغبته فى تعضيدها .

واذن فنحن لانقرر إلا الحقيقة عندما نصرّح بأن كنيستنا المقدسة تقرر فكرة الاتحاد المسيحى وتناصرها ، وكنيستنا قد اعلنت ذلك صريحاً فى صلواتها وتصرفات الرجال المسئولين فيها .

على ان جماعة المعارضين وقد هالهم ان يروا رجال الكنيسة المسئولين واصحاب الرأى فيها ، يعلنون هذا الرضاء من جانبهم عن حركة الاتحاد المسيحى ويناصرونها ، وجماعة المعارضين وقد عزّ عليهم أن يروا الكنيسة تشترك فى هذه الحركة بصفة رسمية ، وفى هذا مافيه من التدليل على مايحيط بحملتهم الطائشة على الاتحاد ومناصريه من افتراء وتضليل — نقول ان جماعة المعارضين لما رأوا هذا قاموا يتذرعون بكل وسيلة — مشروعة وغير مشروعة — ليظهروا الكنيسة بمظهر الخصومة لفكرة الاتحاد وليعلنوا للناس أن موقفها من هذه الفكرة انما هو موقف الاعتراض والقطيعة فكانوا — فى كل خطوة اتخذتها الكنيسة فى هذا الشأن فى عهدها الاخير — لايكادون يسمعون بما اعتزمته الكنيسة فيها ، حتى يتجنّدوا لمحاربتها ، ويبذلوا اقصى مجهودهم فى سبيل الغاء ماتقرر بشأنها ، وظهرت حربهم هذه على نوع خاص فى حركة انتدابى لتمثيل الكنيسة بمؤتمر ادنبره وقد ذهبوا فيها الى أقصى حدودها وشدتها ..

فقد توالت عرائضهم ووفودهم على غبطة البطريرك تحتج على هذا الانتداب وقد راحوا فى ذلك يلفقون من التهم ويخلقون من الاسباب ، ما تجاوز كل تقرير أو حساب ..

ولما رأوا مساعيهم مع غبطة البطريرك تذهب ادراج الرياح ، وتنتهى بالفشل الكامل وعدم النجاح ، تحولوا الى المجمع المقدس فأرسلوا له بالبريد المسجل فى ١٣ مايو ١٩٣٧ عريضة احتجاج ضمنوها رجائهم (ان يصدر المجمع المقدس بيانا للشعب وتحذيراً للكهنة يذكر فيه : ان لاصلة بين الكنيسة القبطية وبين هيئة الاتحاد المسيحى المذكور وان لاتمثيل للكنيسة القبطية فى هذا الاتحاد ...)

ولم يكن نصيبهم مع المجمع المقدس أوفر حظاً من نصيبهم مع غبطة البطريرك فقد قابل المجمع المقدس طلبهم بالاعراض وعدم الاكتراث ، وكان طبيعياً ان يسلك المجمع المقدس هذا السلوك فى أمر قد أصدر غبطة البطريرك قراره فيه ، ولما فشلوا من هذه الناحية حوّلوا وجوههم شطر المجلس الملّى العام فرفعوا اليه عريضة بتاريخ ١١ يونيو سنة ١٩٣٧ قالوا فيها بعد المقدمة (نرجوا أن يعير المجلس هذا الموضوع اهميته الكبرى وأن يدقق النظر على ضوء الحقيقة الواقعة وهى أن مؤتمر اتحاد الكنائس المخالف كل المخالفة لتعاليم كنيستنا القبطية ليس بالمؤتمر الذى يهم الكنيسة أن تشترك فيه ، كما ولا يخفى ان حضرة القمص ابراهيم لوقا عضو مشترك فى اتحاد الكنائس من قبل رسامته قسا ولايزال عضواً به ومبادئه تتفق مع مبادىء واغراض هيئة اتحاد الكنائس المبينة فى نشرته .. فهو ليس بالشخص الذى تستريح الكنيسة اليه ليعبّر عن صوتها بالرغم من مرضه ..

ونحن نترك المجال للمجلس الموقر ليتخذ القرار الحكيم فى هذا المضوع الخطير بالنسبة لمستقبل الكنيسة ..)

هكذا انتهت محاولاتهم جميعاً — مع غبطة البطريرك والمجمع المقدس والمجلس الملى — بالفشل والخيبة .

ويسوءنا ان نذكر هنا ان القوم فى هذه المحاولات الفاشلة قد سجّلوا على انفسهم انهم كانوا فى تصرفهم بعيدين عن كل تقدير مجردين عن كل حكمة وروية ، كما أثبتوا انهم ما كانوا فى سعيهم مدفوعين بغيرة على الكنيسة أو رغبة فى حماية العقيدة الارثوذكسية ، وانما كانت تدفعهم فى ذلك اغراضهم وشهواتهم الشخصية .

فلم يكن من الحكمة أو حسن التقدير أن يلجأوا للمجمع المقدس يطلبون منه الغاء قرار قد اصدرته الرآسة الدينية ، وما كان من الامانة للتقاليد الكنيسية المرعية أن يستعدوا المجلس الملى على غبطة البطريرك ليلغى قراراً اصدره غبطته فى حدود سلطته الروحية .

وكانت هذه سقطة ، وكانت سقطة مشينة مزرية .

وهنا أيضاً يسوءنا للمرة الثانية ان نذكر ان القوم فى هذا قد ارتكبوا غلطات مشينة لاتتفق فى شىء مع الاخلاق العالية ، والعقلية الراجحة والنفسية المتّزنة الرزينة فقد احلّوا لانفسهم ان يذيّلوا كلماتهم بتوقيعات كاذبة ومزورة — وفى هذا قد أقاموا الحجة على أنفسهم ، اذ قدموا البرهان على شعورهم بالكذب والافتراء اللذين كانا يحيطان بدعايتهم .

لقد أرادوا أن يلقوا آخر سهم فى جعبتهم — فنشروا بجريدة مصر فى ١٧ يونيو ١٩٣٧ كلمة قدموها للناس على انها آتية من جانب أحد اخواننا المسلمين وأرادوا بها ان يلقوا فى روعهم ان تمثيل الكنيسة فى الاتحاد المسيحى يتعارض مع النهضة الوطنية ، ويهدّد الوحدة القومية ، وهكذا افرغ القوم جهدهم فى محاربة فكرة الانتداب والقضاء عليها وتذرعوا بكل وسيلة ممكنة فى سبيل الغائها .

ولكن ..

ولكن بعد هذا الركض الطويل والسعى المتواصل والجهاد العنيف ، ابحرت باخرة النيل فى اليوم الخامس عشر من شهر يوليو ١٩٣٧ تقل هذا الشخص الضعيف ، الى حيث يؤدى واجبه من نحو كنيسته بما يتفق مع مالها من كرامة ومقام رفيع شريف — وهكذا انتهت مجهودات القوم الى فشل ذريع ، وكما حمّق الله مشروة احيتوفل فى القديم وخيّب تدابير هامان الشريرة ، فهكذا أفسد الله على القوم مؤامرتهم .

وتلك المجهودات التى بذلوها لم يقصر الأمر فيها عند حدّ الفشل الذى أصابهم ، ولكنها أيضاً ادّت الى عكس النتيجة التى أرادوها ، اذ سجّلت بطريقة عملية فساد النظرية التى طلعوا على الناس بها ، وأرادوا الناس ان يذهبوا مذهبهم فيها ، **فهم أرادوا بنا شراً أما الله فقصد به خيراً .**

لم يكن أمراً طبيعياً ان يلجأ القوم للمجمع المقدس لينقض قراراً قرره غبطة البطريرك واصدر أمره فيه ، ولا كان طبيعياً ان يطلبوا من المجلس الملى ان يتداخل فى أمر الانتداب ، فالامر فى هذا انما كان راجعاً لغبطة البطريرك وحده ، وقد وجهت الدعوة الى غبطته بالذات كالرئيس الدينى الأكبر للكنيسة القبطية ، وغبطته كان قد بت فى الأمر وأخذ الانتداب بذلك صفته الرسمية .

ولكن هكذا شاء الله أن يقحم القوم المجمع المقدس والمجلس الملى فى الموضوع حتى يكون قرار الانتداب صادراً من جميع هيئات الكنيسة بصفة رسمية ، من الرآسة الدينية ، ومن المجمع المقدس الذى يمثل الهيئة الاكليريكية ، ومن الشعب ممثّلا فى هيئته النيابية .

وهكذا أراد الله أن يعلن على الملأ ان فكرة الاتحاد المسيحى هى فكرة الكنيسة باسرها ، وان الكنيسة بازاء هذه الفكرة — تقف جميعها فى جانب ويقف فى الجانب الآخر منها بعض من يعلنون استنكارهم لها ويشهرون الحرب على كل من اتصل بالقائمين بأمرها .

احتجاج المعارضة على الاتحاد المسيحى احتجاج مردود

اثبتنا فيما مضى ان الاتحاد المسيحى فكرة تتّفق مع رغبة مسيحنا وتقرّها الروح المسيحية والتعاليم الرسولية .

ثم أثبتنا أن العالم المسيحي بأجمعه اليوم يشعر بالحاجة الى الوحدة بين المذاهب المسيحية ، وان أقطاب العالم المسيحي بأسره — وفى مقدمتهم رؤساء الكنائس الارثوذكسية — يناصرون فكرة الاتحاد المسيحي ويؤيدونها ، ويشتركون اشتراكا عملياً فى الجهود الموجهة لتحقيقها .

وأخيراً أثبتنا أن كنيستنا القبطية تؤيّد هذه الفكرة وترغب فى تحقيقها ، ودللنا على ذلك بصلواتها الموضوعة وتصرفات الرجال المسئولين فيها .

ولم يبق علينا بعد هذا إلا أن نعرض للاسباب التى يركّز المعارضون احتجاجهم على الاتحاد وعلينا ، للعلاقة القائمة بين الاتحاد وبيننا

ان أول اتهام وجّهوه فى أمر الاتحاد المسيحي كان اتهامهم الذى صوّبوه الىّ شخصياً — اذ ذكروا فى احدى نشراتهم انى ناديت فى سنة ١٩٢٧ (فى اجتماع عقدته هيئة اتحاد الكنائس فى فندق سيميراميس — انه حان الوقت لان يتبادل قسوس الطوائف المسيحية عموما الوعظ من على المنابر والخدمة من على المذابح فى الكنائس) .

هذا هو الذى ذكروه ، ويؤسفنا أن نقرّر انهم كانوا على طول الخط كاذبين فيما قرروه .

وأولا نقول ان الاتحاد المسيحي لم يعقد اجتماعاً واحداً بفندق سيميراميس ، كما تشهد بذلك سجلات هيئة الاتحاد بمصر ، وهذا يثبت ان القوم لم يكونوا فى هذا — كما هو الحال فى كل دعاياتهم — يبنون كلامهم على الوقائع الثابتة ولكن على الحدس والتخمين والادعاء الباطل لمجرد الوصول الى مأربهم وغاياتهم

ان هناك مؤتمراً عقد وفيه قد تكلمت — هذا صحيح — ولكن هذا المؤتمر كان غير المؤتمر الذى اشاروا اليه ، وكان الذى قلته فيه غير الذى ذهبوا اليه فالمؤتمر الذى قصدوه قد عقد بفندق (انطونيو) بمدينة حلوان فى ١٧ اكتوبر ١٩٢١ وفيه قد تكلمت عن وجوب التفاهم بين الكنائس ووجوب التعاون بين خدماتها — ولكن ليس (من على المذبح) كما قالوا فهذا أمر من الأمور التى لم يكن من شأن شخص مثلى أن يقرر شيئا فيها — بل فى انتشال الساقطين ، وخدمة الضالين وردّ النفوس التائهة الى أسقفها وراعيها .

على انى قد تكلمت كلاما غير هذا — ولكن شاءت الأغراض أن يهمل القوم هذا الكلام ولا يذكروه ، لانهم وجدوا فيه دليلا قاطعاً على اننا — اخوانى وانا — ما كنا فى اتصالنا بحركة الاتحاد المسيحي لكنيستنا خائنين بل على العكس كنا عن حقّ كنيستنا مدافعين ، وفى سبيل مصلحتها مناضلين ومجاهدين .

فقد حملت فى كلمتى هذه حملة شديدة ضد سياسة الضم التى تقوم بها الرسالات الأجنبية ، وفيها ناشدت الكنائس الاخرى فى أشخاص من كانوا يمثلونها فى ذلك المؤتمر أن يضعوا حداً لتلك السياسة الهدّامة ، وأن يصنعوا بمن يتصلّون بهم من الخطاة والضالين ، ماصنعه المسيح مع ابن أرملة نايين ، إذ ردّه الى أمه ليقوم من نحوها — وقد عادت الحياة اليه — بما يفرضه الواجب على البنين .

وكان من اثر هذه الحملة أن انبرت مجلة (الهدى) وهى لسان الكنيسة المشيخية بمصر فى عددها الصادر فى ١١ نوفمبر ١٩٢١ للرد علىّ — فقالت بالصحيفة ٥٤١ من العدد المشار اليه :

(... وهذه كما سبقت الاشارة اتت من جانب الام المحبوبة الكنيسة القبطية قال الشماس ابراهيم افندى لوقا « انى لا ألوم كثيراً شخصاً يخلّص خاطئاً ويضمّه الى الكنيسة وان كان الاجدر به ان ينصحه بأن يبقى فى كنيسته الأولى ... ولكنى بكل قوّتى ألوم الشخص الذى يذهب الى شخص حتّى فى كنيسة ويسعى فى ضمه اليه .. ان شخصاً يعمل هذا لا استطيع أن اضع يدى فى يده واصافحه كأخ مسيحي » فهل يسمح حضرته بتحليل كلامه هذا بروح المسيحية لابروح الغضب ، ان الخاطىء الذى يهتدى على يديك وهو أصلا من كنيسة غير كنيستك الا تفضّل أن يكون قريبا منك وتحت رعايتك ... وتخاف ان تضطّره بالرجوع الى الرعاية الأولى فيهمل امره كما كان فتضيع اتعابك فيها سدى ؟ ثم هل تقدر ان تجيبنى هل فعلت كما قلت مرة واحدة فى حياتك ؟ .. أما ضربك مثل ابن ارملة نايين فالامر مخلوط عليك انه لم يردّه اليها كمهتد روحياً .. ولكنه رده الى امه جسديا .. لذلك كان الشبه هنا لجانب ماتسميه ضما اكثر مما هى الى عكسه ..»

ان فى هذا الذى ذكرته مجلة الهدى تصريحاً واضحاً عن حق كنيستى وكنت فى ذلك الدفاع جد متحمّساً ، حتى نسبوا الىّ اني كنت فى موقفى هذا بعيداً عن الروح المسيحية غاضبا وثائراً ، ولهذه الشهادة من القيمة والاعتبار مالها ، باعتبارها آتية لا من جانبى ولكن من جانب من اعتبروا موقفى هذا موقف خصومة لهم وقاموا يندّدون علىّ بسببها .

وليت شعرى أيمكن التوفيق بين الادّعاء علىّ بأنى وقفت فى ذلك المؤتمر موقف الخيانة لكنيستى والكيد لها ، وبين تلك الشهادة التى سجّلت لشخصى الضعيف موقف الدفاع عن الكنيسة وحقّها ؟ فهناك احتجاج علىّ واتهام لي بالغضب والخروج عن الروح المسيحية فى سبيل دفاعي عن الكنيسة وكيانها ، وهنا اتهام لي فى امانتى لكنيستى والخلاصى لعقيدتها وإيمانها ، وليس بين هذا القول وذلك الاتهام توافق أو انسجام .

ان فيما سجّلته مجلة الهدى رداً كافياً على ما ادّعى به القوم فيما يختص بموقفى فى اجتماع الاتحاد المسيحي ، وبرهاناً قاطعاً على ان مانسبوه الىّ مما يعطى للناس معنى الخيانة للكنيسة ، ماكان إلا وشاية كاذبة ودسيسة .

على ان القوم ذهبوا الى ماهو أبعد من هذا إذ اتهموا الاتحاد المسيحي بانه حركة لايقصد منها إلا ابتلاع الكنيسة القبطية .

وهنا أولا نسأل القوم ماهو برهانهم على هذا الاتهام الجرىء ؟ واية وثيقة يستطيعون ان يقدموها تثبت صحة هذا الادعاء الخطير ؟ اننا نتحدّاهم ان يأتوا ببرهان أو دليل ان كانوا فى هذه الدعوى من الصادقين ، اما ان يلقوا القول جزافا ويكيلوا الاتهام كما شاءت لهم الاهواء دون برهان أو دليل ، فليس يكون هذا إلا ضربا من الافتراء والتضليل .

ان فى تقديم دعواهم هذه مجرّد عن كل برهان يعزّزها مايكفى لان يجعل تلك الدعوى ساقطة من ذاتها ، على أن هناك ادلة أخرى كثيرة تثبت الكذب والافتراء اللذين احاطا بها وها نحن نأتى فيما يلى عليها .

وأول برهان نقدّمه فى هذا هو حكم التفكير الصحيح والمنطق السليم .

وهنا نعيد ماسبقنا وقلناه فى هذا ــ ان اتحاداً يضم هيئات متفرقة من جميع انحاء العالم ــ تتمثل فيه جميع الاجناس واللغات ، كما تتمثل فيه جميع المذاهب المسيحية باسرها ، بما فيها الكنائس الارثوذكسية جميعها ــ ان اتحاداً كهذا لا يمكن ــ ان يكون ــ كما يدّعون ــ مؤامرة مدّبرة ضد الكنيسة القبطية وكانما العالم المسيحى بأسره ــ بما فيه من كنائس تقليدية وغير تقليدية ــ ليس له ما يفكر فيه إلا ضم الكنيسة القبطية للكنيسة الانكليزية !! ...

ثم نعود ونقول ان للكنيسة مجمعاً مقدساً ورآسة دينية ، وليس لكائن من كان ــ خارجا عن دائرة هذه الهيئة الرسمية ــ ان يتصرف فى كثير أو قليل فى كل مايتعلّق باستقلال الكنيسة وكيانها او بعقيدتها وايمانها .

فلو فرضنا جدلا ان الاتحاد المسيحى ما انشىء إلا لابتلاع الكنيسة القبطية ــ واذا فرضنا جدلا ان عشرات من الاقباط قد انضموا لهذا الاتحاد لتحقيق هذه النيّة ــ فماذا يفيد كل هذا مادام الامر فى ذلك لابد راجع الى المجمع المقدس والرآسة الدينية ؟

وهكذا نرى ان تلك الدعوى الجريئة من أى وجهة نأخذها ، لاتجد شيئاً من المنطق السليم فيها يعززها ويؤيدها .

وها قد انعقد المؤتمر وانتهى من جلساته ، واصدر قراراته وطوى سجلاته وقد انقضى على هذا جميعه الآن عام وقارب الثانى على الانصرام ، والكنيسة الانكليزية لم تبسط نفوذها على الكنيسة القبطية ، وكنيستنا ولله الحمد باقية كما هى صحيحة سليمة ، دون ان تمس فى شىء فى عقيدتها وايمانها ، او فى استقلالها وكيانها ، وان مقارنة بسيطة بين ما اثبته الواقع وبين ذاك الذى قالوه فى لهجة حازمة مقرّرة لتبيّن فى وضوح وجلاء ، ان القوم فيما يدعون به على الاتحاد من انه مؤامرة مدبّرة انما هم يحملون حملة طائشة متهوّرة ، لا يتوخّون فيها صدقا ولا حقيقة ، وانما تدفعهم اليها اغراضهم الخاصة .

وهنا نأتى على دليلنا الثالث والاخير ــ ذاك هو موقف جميع الهيئات المسئولة حيال الاتحاد وحفلاته والدعوة الى مؤتمراته .

فاذا كان الاتحاد مؤامرة مدبرة ضد الكنيسة واستقلالها ، فلماذا سمح غبطة البطريرك بأن يقيم الاتحاد خدمة متحدة بالكاتدرائية الكبرى ؟ لماذا سمح غبطته بذلك مع أن الدعوة كانت دعوة صريحة لاقامة خدمة متحدة ــ لالحضور خدمة قبطية كما قالوا فى نشرتهم العاثرة ، فالذى وجّه الدعوة :، وهو سعادة البارون دى بلت رجل أنبل وأرفع من أن يكذب أو يخدع ؟

ثم لماذا سمح غبطته بانتدابى لحضور مؤتمر الاتحاد بادنبره ؟

ولماذا لم يعرض المجمع المقدس على غبطته ان يلغى الانتداب أو على الاقل يعيد النظر فيه رغم العرائض التى قدّمت اليه فى ذلك ؟ ولماذا أعلن المجمع المقدس مصادقته على الانتداب ان كان فى الاتحاد مايخشى منه على استقلال الكنيسة أو المساس بعقيدتها وايمانها ؟

ثم لماذا قدمت لجنة الكنائس تقريرها الذى صرحت فيه بأن اشتراك الكنيسة فى مؤتمر الاتحاد ليس فيه ما يتعارض مع مصلحة الكنيسة أو مايخشى منه على مصيرها وكيانها ؟

واخيراً لماذا اصدر المجلس الملى قراره ــ الذى اتينا على صورته سابقاً ــ يعلن فيه موافقته على التمثيل والانتداب ؟؟

أكانت هذه الهيئات جميعها ــ التى تتمثل فيها الكنيسة تمثيلا قانونيا كاملا وصحيحاً ــ شريكة فى تلك المؤامرة الموهومة مساهمة مع الاتحاد فى القضاء على استقلال الكنيسة وكيانها ، ولم يبق إلا تلك الجماعة لتدافع عن الكنيسة وتذود عن ايمانها ؟

ان المنطق والواقع وتصرفات الرجال المسئولين هذه جميعا تثبت ان اتهام الاتحاد بأنه مؤامرة مدبّرة ضد الكنيسة القبطية ، هو اتهام باطل ودعاية كاذبة اراد بها القوم تحقيق اغراضهم الخاصة وشهواتهم الشخصية .

ولكن القوم ذهبوا ايضاً الى ماهو أبعد من هذا ..

فقد تجاوزوا حد اتهام الاتحاد كوسيلة لابتلاع الكنيسة الى حد الطعن فى الاتحاد نفسه وفى هذا يقولون ان اتحاد الكنائس (يخالف كل المخالفة تعاليم كنيستنا القبطية)

وفى وسط المحيط المظلم يحتاج العالم الى نجدة قوية ، والعالم لاينتظر تلك النجدة إلا من جانب المسيحية .. ولكن لاتستطيع ان تفعل شيئاً فى هذا إلا اذا عرفت أولا كيف تتعاون وتتقدم متحدة لمحاربة الشرور القائمة وفق الوصية الرسولية القائلة « مجاهدين بنفس واحدة معاً لايمان الانجيل » فيلبى ١ :٢٧

وهنا نسأل : هل يكون الضمير الذى يسمح بمناهضة الاتحاد والتعاون امام هذا ضميراً مسيحياً ؟ وهل يمكن أن يأتى مثل هذا التصرف من جانب قوم يخافون الله ويقدسون مشيئته الكاملة المرضية ؟

ان القوم بهذه الحملة الطائشة قد سجّلوا على أنفسهم انهم لايعبأون بالمشاكل القائمة الآن ضد الايمان والمبادىء المسيحية ، وليس يهمهم أن تطغى على العالم موجة الشرّ والاباحية ، وانهم بسرور يقدمون المبادىء الصالحة ضحية فى سبيل المنازعات الشخصية ، ويسوءنا أن يشترك فى هذه الجريمة قوم كانوا يوما يجثون فى خشوع امام عرش الله ــ يضرعون اليه ان يوحد بين قلوب المسيحيين اجمعين ، ليجاهدوا بنفس واحدة فى سبيل انتشال العالم من وهدة الكفر والشرّ والاباحية ، حتى يعيش الجميع عيشة مقدسة طاهرة روحية .

والقارىء يلاحظ هنا جيداً كيف تعمّد ناعوم السوريانى التحريف فى هذه الحملة واسقط ماذكرته فيها عن الكنيسة اليونانية ، وكان غرضه فى ذلك واضحاً وجليا ، يثبت ماكان يحدوه فى كتابته من سوء النية .

يضاف الى هذا أن تلك النشرة التى أخذ منها ناعوم ذلك التعبير تضمّنت بياناً وافياً لنقط الخلاف بين الكنيستين مع الدفاع عن العقيدة الارثوذكسية فيها ، ولكن ناعوم تجاهل كل ذلك الدفاع الطويل العريض ، ولم يجد إلا ذلك التعبير الذى قام يحرّفه ويتلاعب فيه ، ليتّخذه أساساً لنقده الخاطىء غير النزيه .

وفى هذا قد انكشفت نية الرجل السيئة ، وظهرت فى صورتها الواضحة الجلية ، نقول ثانيا ان المنهج الذى سلكه الرجل فى اتخاذ هذا التعبير برهانا على اعتقادى بالوحدة الكلية ، بين عقيدتى الكنيستين القبطية والانكليزية ، يدل على التضليل والمغالطة فى صورتهما الكاملة .

فكلمة « أقرب » لاتعبّر عن الوحدة الكاملة ، بل على العكس هى تعبير عن معنى الاختلاف فى الرأى — وكل الذى تشير اليه هو أن الكنيسة الانكليزية تأتى بعد الكنيسة اليونانية فى نسبة الاختلاف بين كنيستنا والكنائس الاخرى فى الطقس والعقيدة ، وهذا مانحن مستعدون لاثباته بالبراهين القاطعة ، والادلّة القوية السديدة .

هنا نتقدم للتهمة نفسها فنقول — ان ناعوم السوريانى قد حاول أن يقيم من هذا التعبير دليلا على أنني بشّرت بوحدة العقيدة بين الكنيستين ، وكان ناعوم فى هذا على



فى مؤتمر ادنبره

الحقيقة متجنّياً — فالحقيقة التى يؤيدها الدليل الواقع هو انني لست فقط لم أبشّر بهذا بل اني على العكس ناديت بوجود الخلاف بين عقيدة الكنيستين ، كما اني فى الوقت ذاته وقفت موقف الدفاع عن صحّة وجهة الكنيسة القبطية فى نقط الخلاف القائمة بين عقيدتها وعقيدة الكنيسة الانكليزية .

فلقد نشرت فى مجلتي (اليقظة) بالعددين السادس والسابع من سنتها الأولى جدولا يتضمن خلاصة عقيدة الكنيسة القبطية الارثوذكسية فى أصول الايمان والعقائد الاساسية مع بيان وجوه الخلاف بينهما وبين الكنائس الاخرى فيها ، وفى هذا الجدول قد أثبت نقط الخلاف بين الكنيستين القبطية والاسقفية فى العقائد الرئيسية المختلف عليها بينهما ، وهى العقائد الخاصة بانبثاق الروح القدس ووحدة الطبيعتين فى المسيح ، والتعيين السابق ، والاسرار السبعة المقدسة .

وشرعت ابتداء من العدد الثامن من السنة نفسها فى اثبات صحّة عقيدة الكنيسة القبطية فى هذه الأمور المختلف عليها مبتدئاً بالتقليد فالاسرار .

لابل واكثر من هذا فقد مرّ بنا اني فى نفس النبذة التى اخذ منها ناعوم السوريانى تلك الفقرة وحرّفها ، قد اتيت على ذكر أوجه الخلاف بيننا وبين الكنائس الاخرى بما فيها الكنيسة الاسقفية مع التدليل على صحة وجهة نظر الكنيسة القبطية فى كل منها .

على ان الأمر لم يقتصر على هذا بل اني انتهزت فرصة وجودي بمؤتمر ادنبره للدفاع عن ايمان كنيستنا القبطية ونشر الحقائق الخاصة به على رجال الكنائس الاخرى عامة ورجال الكنيسة الانكليزية خاصة .

فطلبت من السكرتير العام للمؤتمر أن يسمح بنشر المحاضرة التى كنت قد جهزتها عن الكنيسة القبطية مترجمة الى الانكليزية على أعضاء المؤتمر وكان ان اجاب مجلس ادارة المؤتمر طلبى فى هذا وطبعت المحاضرة فعلا ووزّعت على أعضاء المؤتمر ، وكانت الكنيسة القبطية هى الكنيسة الوحيدة بين جميع الكنائس الممثّلة فى المؤتمر التى عوملت هذه المعاملة الخاصة وسمح بالتبشير عنها وعن ايمانها للعالم المسيحى بأجمعه الذى كان فى ذلك المؤتمر ممثّلا .

وها نحن ننشر فيما يلى نص الخطاب الذى وصلنى من السكرتير العام للمؤتمر جوابا على طلبي .

عزيزى القمص لوقا

يسرنى كل السرور ان اخبركم بأن لجنتنا فى جلستها التى عقدت مساء اليوم قد خولتنى حق طبع محاضرتكم عن الكنيسة القبطية وتوزيعها على أعضاء المؤتمر — وعلى ذلك قد قمت بتنفيذ هذا الأمر .

المخلص لكم : ليونارد هودجسن

WORLD CONFERENCE ON FAITH AND ORDER

CONTINUATION COMMITTEE

Chairman: Most Rev. WILLIAM TEMPLE, D.D., Archbishop of York. *Vice-Chairman:* Rev. ALFRED E. GARVIE, D.D., London. *Associated Vice-Chairmen:* Prof. D. DR. ADOLF DEISSMANN, Berlin; Most Rev. Metropolitan GERMANOS, Archbishop of Thyatira, London; Pastor CH. MERLE D'AUBIGNÉ, D.D., Neuilly-sur-Seine; Rev. J. ROSS STEVENSON, D.D., Princeton, N.J., U.S.A. *Treasurer:* Hon. ALANSON B. HOUGHTON, 3003 Massachusetts Avenue, Washington, D.C., U.S.A. *Acting Treasurer in England:* Rev. Canon TATLOW, Annandale, North End Road, London, N.W. 11 *Associate Secretary for America:* Rev FLOYD W. TOMKINS, 111 Fifth Avenue, New York City, U.S.A.

Assembly Hall,
The Mound,
EDINBURGH.

14th August, 1937.

Dear Canon Luka,

I am very glad indeed to say that our Committee this afternoon, gave me the necessary authority to have your paper on the Coptic Church multiplied and distributed to members of the Conference. I am therefore having this done

Yours very sincerely,

Leonard Hodgson

على اني لم اكتف بهذا — بل قدّمت المحاضرات بجملتها مترجمة للانكليزية للكاتون دوجلاس سكرتير عام مجلس اساقفة كنيسة انكلترا ، ورجوته أن ينشرها على رجال تلك الكنيسة فوعد بذلك ثم نفذ وعده اذ نشرها أولا بمجلة « الشرق المسيحى » بعددها الصادر عن النصف الاخير من سنة ١٩٣٧ ثم عاد ونشرها بنبذة خاصة قائمة بذاتها تحت عنوان « الكنيسة القبطية الارثوذكسية » .

أما النص العربى لهذا الجزء فهو :

وهذه التعاليم التى يظهر فيها هذا الفارق بين ماتعلّمه الكنيسة القبطية والكنائس الاخرى هى …

التعيين السابق — تعلّم فيه الكنيسة القبطية تعليما يجمع بين الشعور بنعمة الله وفضله فى تعيينا للخلاص منذ الازل لا لأعمال فى برّ عملناها نحن ولكن بمقتضى رحمته وبسابق علمه باستعدادنا لقبول دعوته وبين الشعور بالمسئولية الشخصية الذى ينشّط النفس وينبّهها بالاعتقاد فى رغبة الله لخلاص الجميع الذى يحفظ فيها روح الرجاء عندما يمتحن ايمانها .

اما تعليم الكنائس المخالفة لها فيه فانه يقود البعض للتراخى والكسل ، والآخرين للفشل واليأس ، وهذا ماقد اعترضت به تلك الكنائس صريحاً (انظر الفقرة ١٧ من كتاب الصلاة العامة ، وكتاب الاعتراف بحرية الايمان ، صحيفة ٢٤٩) .

الايمان والعمل — ان تعليم الكنيسة القبطية فى ضرورة الايمان والأعمال يحفظ للايمان مركزه الرئيسى فى الخلاص كما انه يحفظ للأعمال الصالحة مركزها الهام فى شرط وراثة الحياة الأبدية مما يدعو النفس للاعتماد على ايمانها فى ربّها وفاديها وفى الوقت ذاته يحركها للاجتهاد فى كل حين أن تقدم فى ايمانها فضيلة حتى تجعل دعوتها واختيارها ثابتين (بطرس الثانية ١ : ٥ — ١١) .

وهنا ملاحظة يحسن الاشارة اليها تلك هى ان هذا الجزء قد تضمّن تعليما تختلف فيها كنيستنا مع الكنيسة الاسقفية بالذات ، وقد اثبت فيه صحّة وجهة الكنيسة القبطية ، مدّللا على ذلك بما جاء بكتاب الصلاة العامة الذى هو كتاب الكنيسة الانكليزية .

والى هذا المجهود الذى سمحت عناية الله فأعانت الضعيف على ادائه أشار صاحب الغبطة البطريرك فى رسالته الكريمة الآنفة الذكر بقوله — (.. وسرّنا ماقمتم به من تمثيل كنيستنا القبطية الارثوذكسية خير تمثيل اذ نشرتم عقائدها السليمة وأظهرتم مكانتها السامية وتاريخها المجيد للذين اجتمعتم بهم من مندوبى الكنائس مما دلّ على شدة محافظتكم على مقام كنيستكم وغيرتكم على شرفها …) .

وعلى ذكر هذا الذى تم فى مؤتمر ادنبره استسمح القراءة عذراً فى الخروج قليلا عن هذا الموضوع الذى أنا فيه الآن لاذكّر القوم بان هذا هو الذى كان نصيب كنيستنا من اشتراكنا فى نهضة الاتحاد المسيحى وحضورنا مؤتمراته — ففى مؤتمر حلوان دافعت عن قضية الكنيسة فيما يختص بسياسة الضم التى تجرى عليها بعض الارساليات الاجنبية ، وفى مؤتمر ادنبره استغليت هذه المناسبة الفريدة لنشر ايمانها القويم وتاريخها المجيد



تحريراً بالمقر البابوي [illegible] ١٩٧٦

حضرة [illegible]



بابا وبطريرك الكرازة
المرقسية

حضرة [illegible]
[illegible] راعي كنيسة مصر الجديدة .

مباركة الرب

بعد [illegible] نحمد الله تعالى [illegible]
[illegible] الذي عقد في [illegible] من ١٢ يوليو إلى ١٩ منه [illegible] جلسات [illegible]
[illegible] الكنيسة القبطية الأرثوذكسية [illegible]
[illegible] الشكر دائماً .

الطلب ، فما كان موقفي في أي من هذه المؤتمرات ــ كما قالوا ــ موقف التآمر على الكنيسة أو الكيد لها ولكنه كان موقف الدفاع عن حقها بإعلان صحيح ..

« أيها الغلاطيون الأغبياء ــ من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق ؟ ... أهكذا أنتم أغبياء . أبعدما ابتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد ؟ ــ كنتم تسعون حسناً ــ فمن صدكم حتى لا تطاوعوا للحق ؟ ... » غلاطية ٣ : ١ ، ٣ ، ٥ : ٧

ولكن حقاً مقالة الرسول « خميرة صغيرة تخمر العجين كله » غلاطية ٥ : ٩

ليت الرب يهبكم نعمة حتى لا تفسد عليكم هذه الخميرة إلى النهاية ضمائركم ، وتعودوا كما كنتم قلباً واحداً ونفساً واحدة ... تلك التي الآن ترجع إليه أمركم ، والذي يعلم سركم وجهركم .

٤ ــ العقيدة

هنا نأتي إلى الدليل الرابع والأخير من أدلة اتهامهم لنا ــ ذلك هو ادعائهم علينا بالمروق عن العقيدة الأرثوذكسية والغيرة عليها ، وهم في ذلك قد قدموا حججاً وذكروا وقائع كلها منقبة علية ، بقدر ما كانت عريقة وطويلة .

اتهام باطل يسقطه الواقع

وقبل أن نعرض للأدلة التي قدموها برهاناً على صحة هذا الاتهام نقرر أن الواقع يكذب هذا الاتهام وينفيه ، ويقدم الدليل الكافي على بطلانه .

وهنا نعود لما قلناه في فاتحة بياننا ــ

أن للكنيسة سلطة روحية ممثلة في المجلس الاكليريكي والمجمع المقدس ثم الرئاسة الدينية ــ فإذا كنا قد خرجنا على عقيدة الكنيسة فلماذا بقيت هذه السلطات جميعها صامتة حيالنا ؟ لماذا لم يستعملوا السلطات التي تخولهم إياها كنيستنا المقدسة لمحاكمتنا ؟ بل لماذا يؤيدوننا ويناصروننا ؟ ولماذا يولوننا الشيء الكثير من حبهم لنا وعطفهم علينا ؟

فجمعية الأمناء في أنحاء القطر المترامية ــ من البحيرة والغربية والدقهلية شمالاً إلى أسوان جنوباً وفي صحراء الفيوم غرباً ــ تلقى من الآباء المطارنة كل تقدير وتشجيع ومساعدة .

وهذا العبد الضعيف ــ رغم المجهودات الجبارة المتوالية التي كان يبذلها أصحاب الأغراض في كل وقت ومناسبة ، في سبيل النيل منه واستصدار الأحكام الكنسية ضده ــ بقي بنعمة الله دون أن يمس كهنوته يوماً بأذى ، أو يصدر أحد من أصحاب الشأن حكماً عليه .

لابل على العكس كان هذا الضعيف — ولايزال — يلقى من آباء الكنيسة الموقّرين من العطف الذى لايستحقه الشيء الكثير ، ناهيك عن الرسائل الابوية التى كثيراً ماتفضلوا بتوجيهها فى مناسبات عدة ، يعلنون فيها رضاءهم الابوى وثقتهم الغالية .

وقد مرّ بنا تلك الرسالة الكريمة التى تفضل صاحب الغبطة البطريرك فوجهها عقب عودتى من مؤتمر ادنبره ، والتى اتينا سابقا على نصها وقد تضمّنت اسمى معانى الثقة فى اقصى حدودها .

هنا نعود مرة اخرى للسؤال — ان كنا حقا قد مرقنا عن العقيدة القويمة فلماذا لم تستعمل سلطانها ضدنا ، بل لماذا يعطف الرجال المسئولون فيها كل هذا العطف علينا ؟ هل تجرّدوا جميعهم من الأمانة للعقيدة ، ولم يبق أميناً لها يذود عنها ويحميها إلا ذلك النفر من الناس الذين لاتعترف لهم الكنيسة بأية صفة رسمية لا بل وواحد منهم قد جرّدته من رتبة الاسقفية ؟

ان تصرفات احبار الكنيسة ورجالها المسئولين يثبت فى وضوح وجلاء ، ان اتهام القوم لنا فى عقيدتنا انما هو اتهام باطل ومحض افتراء .

وان فى دليل الواقع هذا مايغنينا عن ان نقيم لاتهاماتهم وزناً ، أو ان نعترف لها بأية قيمة ، ولكننا مع هذا فاننا — رفقاً باصحاب النفوس الطيبة والقلوب السليمة نعرض لتلك التهم ليعلم الناس كيف تجنّى القوم فيها على الحقيقة ، ولتبقى قلوبهم من نحونا ومن نحو خدمتنا — كما هى — مطمئنة واثقة .

اتهام مردود

مرّ بنا أن القوم اتهمونا اننا تآمرنا على كنيستنا لضمها الى الكنيسة الاسقفية وكانت ادلتهم التى قدموها على هذا الاتهام هى حديث الكنيسة المستقلة المزعوم ، والريب والشكوك التى حاولوا أن يحيطوا بها صلات الود مع رجال الكنيسة الانكليزية والاشتراك فى نهضة الاتحاد المسيحى — وأخيراً ما نسبوه الينا من اعلان عضويتنا الرسمية فى الكنيسة الانكليزية بتناولنا من السر المقدس فيها .

واراد القوم بهذه الادلة فى مجموعها ان يقدموا دليلهم الاساسى على اتهامنا بالمروق عن عقيدة الكنيسة والخروج عليها .

وأظن أننا فيما سبق من استعراضنا لتلك التهم والرد عليها قد أتينا بما يكفى لتفنيدها ، ويغنينا عن العودة لذكرها وترديدها ، وجعل دليلهم الأساسى ساقطاً من ذاته ، وفى هذا ما يكفى للقضاء على الاتهام بجملته ، على ان القوم لم يكتفوا بتلك التهمة الرئيسية ولكنهم دللّوا على اتهامهم بأدلة فرعية ، وهذه الادلة الفرعية هى التى نعرض لها الآن لنثبت ما احاط بها من زور وبهتان .

وكان أول ادلتهم الفرعية ، التى قدموها برهاناً على مروقنا عن العقيدة الارثوذكسية ،

هو ادعاءهم علي بأني قد صرحت بأن هناك وحدة كاملة بين عقيدتي الكنيستين القبطية والانكليزية . وكان صاحب هذه الدعوى هو ناعوم السورياني (صاحب مجلة صهيون) فقد كتب عن هذا فى نشرته التى طبعها على نفقته (حضرة صاحب العزة جورجى بك ابراهيم ..!!) كلاما كثيراً افتتحه بقوله — (على اثر ما نشر وينشر حضرة القمص ابراهيم لوقا « المتنجلز » فى مختلف كتاباته التى يقول فيها « ان اقرب كنيسة للكنيسة القبطية هى الكنيسة الانكليزية » رددنا اكثر من مرة على هذا الزعم وبيّنا خطأ هذا القول والادعاء الكاذبين ..)

وأولاً نقول ان صاحب صهيون لم يكن فى هذا الذى قاله صادقا ، ولا كان فيه حسن النية صريحاً .

أما دليلنا على هذا فهو التحريف الذى سلكه فى نقل ماكتبته فى هذا الموضوع ، ان الفقرة التى يشير اليها هنا قد وردت بالصحيفة الثامنة من نبذة كنت قد نشرتها قبل سفري لمؤتمر ادنبره تحت عنوان « رسائل مجملة عن الكنيسة القبطية الارثوذكسية وعقائدها القويمة » ونصّ تلك الفقرة هو (وأقرب الكنائس عقيدة الى الكنيسة القبطية هى الكنيسة اليونانية الارثوذكسية وتليها كنيسة انكلترا) .

والآن نعود الى موضوعنا الأول فنقول .. أيكون من المنطق أن من يدافع عن عقيدة الكنيسة القبطية ضدّ التعاليم التى تخالفها فى الكنائس الأخرى بما فيها الكنيسة الانكليزية لابين الأوساط المصرية ، ولكن ايضاً من وراء البحار وأمام ممثّلى جميع الكنائس المسيحية ، ويبذل فى ذلك مجهوداً خاصاً مع رجال الكنيسة الاسقفية ، حتى يتطوعوا لنشر الدفاع عن العقيدة الارثوذكسية ، فى مجلاتهم وبنشرات يطبعونها ويوزعونها على حسابهم ، مع مايتضمنه هذا الدفاع من النصّ على وجوه الاختلاف بيننا وبينهم بالذات **وعلى صحة وجهة نظر الكنيسة القبطية فى أوجه ذلك الخلاف — نقول .. أيكون من المنطق المعقول ان الذى يبذل هذا المجهود فى سبيل الدفاع عن العقيدة الارثوذكسية ، هو بعينه الذى يثور على عقيدة كنيسته وايمانها ، ويحاول ان يجامل الآخرين على حسابها ؟**

استخدام الارغن

هنا نأتى الى التهمة الاخيرة ...

تلك هى تهمة استعمال الارغن فى الكنيسة وهى التهمة التى كان لها حظ وافر فى نشراتهم العديدة الكثيرة .

وللارغن حديث قديم .. والحديث فيه طويل ذو شجون .. وكنا نود ان نتبسط فى هذا الحديث ليعلم الملأ ما كان من سره المكنون ، وليعرف الناس أجمعون ان تلك

الحملة لم تكن بريئة نزيهة ــ منشأها الغيرة على العقيدة والرغبة فى الدفاع عنها ، وانما كان منشأها المصلحة الشخصية والحرص عليها ــ وفى أيدينا من الادلة والاسانيد مايثبت ان القائم بتلك الحملة العنيفة ضد الارغن واستعماله انما قام بها تحت تأثير اعتقاده الخاطىء بان فى استعمال الأرغن تعطيلا لمساعيه وقضاء على آماله .

هنا نفترض جدلاً بأن الحملة التى قامت على استعمال الارغن كانت حملة بريئة ونزيهة .. وفى ايجاز على قدر المستطاع نعرض لهذه التهمة لنثبت انها تهمة باطلة بعيدة كل البعد عن الحقيقة ، وان استعمال الارغن ليس فيه مايتعارض مع مبادىء الكنيسة أو مايمسّ العقيدة .

ان العهد القديم يصرّح فى وضوح وجلاء بان الوحى الالهى لم يبح استعمال الموسيقى على اختلاف آلاتها وانواعها فحسب ، ولكنه أيضاً اعتبرها جزء لازماً من اجزاء العبادة وركنا هاماً من اركانها .

ففى حفلة ارجاع التابوت « أمر داود رؤساء اللاويين ان يوقفوا اخوتهم المغنين بآلات غناء بعيدان ورباب وصنوج مسمّعين برفع الصوت بفرح .. فكان جميع اسرائيل يصعدون تابوت عهد الرب بهتاف وبصوت الاصوار والابواق والصنوج يصوّتون بالرباب والعيدان » (أيام أولى ١٥ : ١٦ ، ٢٨)

وبعد ذلك يقرر الكتاب لنا ان داود بعد ان فرغ من وضع تابوت الله وسط الخيمة « جعل أمام تابوت الرب من اللاويين خداماً .. بآلات رباب وعيدان .. وترك هناك أمام تابوت عهد الرب آساف واخوته ليخدموا أمام التابوت دائماً خدمة كل يوم بيوم .. ومعهم هيمان ويدوثون بأبواق وآلات غناء الله » (أيام أول ١٦ : ١ ــ ٧ ، ٣٧ ــ ٤٢)

وهذا النظام الذى قد وضعه داود قد قدسه شعب اسرائيل فى دقة كاملة وعناية فائقة .

فنفذه سليمان (أيام ثان ٥ : ١١ ــ الخ ، ٧ : ٦) وحافظ عليه حزقيال الملك فى أيامه (أيام ثان ٢٩ : ٢٥ ــ ٣٠) واهتم عزرا ونحميا عند تجديد اورشليم باعادته (عزرا ٣ : ١٠ ونحميا ١٢ : ٢٧و٢٨) .

والكلمة الالهية تعلن لنا ان عبادة الله فى العهد القديم عموماً كانت تصاحبها الآلات الموسيقية على اختلاف انواعها ، وتسبيحات داود المفعمة بروح التقوى كان الروح القدس يفيض بها عليه على نغمات الموسيقى (حزقيال ١٥ : ٢٠ ، مزمور ٤٣ : ٤ ، ٥٧ : ٨ ، ٩٢ : ٣ ، ١٠٨ : ٢ ومقدمات المزامير ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٦) .

كما انها تعلن لنا ان روح الله كان يفيض بالنبوة على أفواه الانبياء على نغمات الموسيقى (صموئيل أول ١٠ : ٥)

لابل اكثر من هذا ان الكتاب يخبرنا ان هذه النغمات الموسيقية هى التى كانت توقظ روح النبوة فيهم وتضرمها ــ فقد ذكر عن اليشع النبى انه لما اراد ان يتنبأ مرة قال « والآن فأتونى بعواد . ولما ضرب العواد بالعود كانت عليه يد الرب » (ملوك ثان ٣ : ١٥)

ثم ماذا ؟ ثم ان تلك الكلمة عينها تخبرنا بان الروح الشرير كان يهرب أمام سماع أصوات الموسيقى الروحية فشاول عندما كان يبغته الروح الردىء ، ويوقع له داود على العود يطيب قلبه والروح الردىء يفارقه (صموئيل أول ١٦ : ١٤ ــ ٢٢)

وأخيراً نقول ان الكتاب المقدس يأمر صريحاً فى أماكن عديدة باستعمال الموسيقى على اختلاف انواعها فى عبادة الله (مزمور ٢٣ : ٢ ، ٦ ، ١٤٧ : ٧ ، ١٥٠ كله)

هذا ما كان من شأن الموسيقى الكنسية فى العهد القديم ..

اما تقليدنا الكنسى فانه يثبت بأن كنيسة العهد الجديد قد قدّست بدورها النظام الذى وضعه الله فى العهد القديم ، القاضى باستعمال الموسيقى فى العبادة والتسبيح والترنيم .

وما استعمال الدف والمثلث ــ وهما آلاتان موسيقيتان إلا برهاناً عملياً على صدق هذه النظرية واذا تذكرنا ان الكنيسة قد رتّبت جميع الحانها على تقسيمات موسيقية مضبوطة،لحكمنا فى الحال بأن كنيستنا لم تجز استعمال الموسيقى فحسب ، بل انها حفظت للموسيقى مركزها الهام فى العبادة ، يؤيد هذا الذى نقوله عن تقدير الكنيسة العظيم للموسيقى الكنسية ان كنيستنا كانت تعلّمها لطلبة اللاهوت كعلم من علومها الرئيسية ، فقد قال القديس غريغوريوس العجائبى اسقف قيصرية عن أستاذه العلامة أوريجانوس الذى كان رئيسا للمدرسة الاكليريكية بالاسكندرية (انه كان يعلمنا مع اللاهوت والفلسفة علم الطبيعة والمنطق والهندسة والرياضة والفلك والموسيقى)

واظن أن فى هذا القدر مايكفى لان يثبت أن استعمال الآلات الموسيقية فى الكنيسة على اختلاف انواعها ليس فيه ما يتعارض من قريب أو من بعيد مع تعاليمها أو يمسّ شيئاً فى عقيدتها ونظامها .

هنا ننتقل من الكلام عن الموسيقى عامة الى الكلام فى الأرغن خاصة فنقول .. ما الارغن إلا آلة من الآلات الموسيقية ، بل هو انسب الآلات للاستعمال فى الالحان الكنيسية ، والارغن ماوضع إلا لهذا وهو لايكاد يستعمل إلا فى هذا بعكس الدفّ والمثلث اللذين يستعملان بين آلات الموسيقى الخارجة عن دائرة الروح والكنيسة .

وليس يضير الأرغن انه لم يكن مستعملا فى القديم ــ فلو انه كان موجوداً على حالته الحاضرة منذ القدم والكنيسة حرّمت استعماله لكان للاعتراض هنا محلّه من الاعتبار والتقدير ــ اما انه اختراع حديث فهذا لايمنع استعماله مادامت الكنيسة تسلّم بمبدأ استعمال الموسيقى عامة ، وكم من حديث وجديد قد ادخلناه فى الكنيسة طبقا لتطور الزمن ، وكل ما فى الكنيسة اليوم من طريقة بنيانها وانارتها وملابس الخدمة فيها والكتب المستعملة للقراءة بها ــ هذا جميعه حديث جديد والكنيسة لم تر مانعاً من الاخذ به ما دام بعيداً عن كل مايمسّ العقيدة أو النظام من قريب أو بعيد .

ومع ذلك فالأرغن فى ذاته لايصح اعتباره من مستحدثات العصر الاخير ، فالارغن كان موجوداً منذ القديم وكان مستعملا فى العبادة منذ القديم ، وكلّ مافى الأمر ان يد

التجديد هذبته ووضعته فى ثوبه الجديد وحسبك دليلا على هذا المزمور المائة والخمسون الذى يقول المرنم فيه « سبحوه بالأوتار والأرغن »

وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام — وهى — ان هذا المزمور بالذات هو الذى قد رتبت كنيستنا المقدسة ان يسبّح به العابدون اثناء التناول من السرّ الطاهر ، وليس من المعقول ان ترتب الكنيسة بان يرنّ الصوت فى ارجائها فى كل خدمة من خدماتها مناديا الشعب ان يسبحوا الله بالارغن بينما تنظر هى الى هذه الآلة الموسيقية نظرة التحريم والكراهية .

اما فيما يختص بموقف البطريركية بازاء الأرغن فى الماضى والحاضر ، فبين ايدينا من البراهين القاطعة والأسانيد العديدة مايثبت ان الحرب القائمة ضد الأرغن ما كانت آتية من جانب البطريركية ، ولكنها كانت وليدة المؤامرات الوافدة من الخارج عليها شأنها فى ذلك شأن الحملات التى اثيرت ضد كل نهضة تقوم فى الكنيسة وتتعارض مع مصالح اصحاب الأغراض الشخصية .

ويهمنا هنا ان نقرر بأن ماذكروه عن الخطاب المسجل الذى وصلني من البطريركية ينهانى عن استعمال الأرغن هى رواية بعيدة كل البعد عن الصدق ، والواقع ، فما وصلني فى هذا الشأن من البطريركية خطابات مسجلة أو عادية .

اما ماقالوه عن نظرية الالحان الصوتية وغير الصوتية ... فنعود ونقول ان الدخول فى هذا البحث سيضطرنا مرغمين الى ذكر حقائق كنا نودّ ، لاعتبارات خاصة ان تترك صحائفها مطوية،ويكفينا هنا ان نقول ان هذه النظرية لم تكن نظرية العلم والفن ، ولكنها كانت نظرية الاعتبارات الشخصية ، وان البرهان العملى قد اثبت ان الارغن هو من احسن الآلات التى تتفق مع التقاسيم الموسيقية لالحاننا الكنيسية ، وان توقيع هذه الالحان المقدسة الروحية على الأرغن قد كشف عما فيها من فن علمى بديع ودقيق ، واظهر مالها من التأثير الروحى العميق ، مما كان ولا يزال موضوع اغتباط الكثيرين من المخلصين والمفكرين .

على أننا نفترض جدلا اننا فى هذا التقدير كنا من المخطئين ، وان استعمال الأرغن فى الالحان الكنيسية لايتفق والقواعد العلمية الفنية فما دخل هذا جميعه فى العقيدة والنظامات الكنيسية المرعية ، والارغن كما تستعمله الكنائس غير التقليدية من مشيخية وانجليكانية ، فكذلك تستعمله الكنيسة الكاثوليكية وهى كنيسة تقليدية ، لابل وقد لاحظنا أخيراً ان الكنيسة اليونانية قد شرعت هى ايضاً بدورها تستعمل الارغن فى توقيع ألحانها الكنيسية .

هنا نعيد ماقلناه سابقاً — ان الأمر بين القوم وبيننا لايرجع الى امانة للعقيدة من جانبهم وخيانة لها من جانبنا ، ولكنه انما يرجع اختلاف فى العقلية بينهم وبيننا ، فهم يفهمون الارثوذكسية فى الموسيقى واللحن والترنيم ، ونحن نفهمها فى صلب العقيدة وجوهرهاءفى انبثاق الروح القدس من الآباء وفى وحدة الطبيعة فى المسيح ، وفى التعيين المبنى على سابق العلم ، وفى ضرورة الاعمال الصالحة للخلاص ،فى الاسرار السبعة

المقدسة ، فى وجودها وقدسيتها .. ثم فى لزومها وفاعليتها .

هنا نتّجه الى نقطة أخرى فنقول ان فى العناية بالترنيم واستعمال الارغن فى الكنيسة برهاناً على الغيرة على كنيستنا ومجدها ، والرغبة الخالصة فى نجاحها ونموّها .

فلماذا هجر من هجر كنيستنا ، وآثر الانضمام الى سواها ؟ ثم لماذا نرى الكثيرين من ابنائنا وبناتنا ممن لايزالون ينتمون الينا اليوم يفضلون تأدية العبادة فى كنائس سوانا ؟ لم يكن هذا لارتياح ضمائرهم فى تلك الكنائس وعدم اقتناعهم القلبى بصحة عقيدتنا ، فالله يعلم ان الاغلبية الساحقة ممن اندمجوا رسمياً بعضوية تلك الكنائس يجهلون كل الجهل نقط الخلاف فى العقيدة بيننا وبينهم ، وبالتالى لايعرفون كيف يدافعون عن صحة وجهة نظرهم .

ليست المسألة مسألة عقيدة ، وليست العقيدة هى السرّ فى انفضاض القوم عنا ، ولكن السرّ هو فى شيء واحد لاسواه ، ذاك هو النظام فى العبادة وما يتبع هذا النظام من مساعدة العابدين على الاشتراك القلبى فى الصلاة ومتابعتها والاحساس باللذّة الروحية فيها .

هنا يهيب الواجب بالغيّورين على سلامة صهيون ونجاحها ، وصدّ تيار هجرة ابنائها عنها ومساعدتها على الاحتفاظ بهم فى أحضانها ان يسعوا جهد طاقتهم فى استئصال كل الاسباب التى تقود البعض من ابنائها للانفصال عنها ، وان توفّر لهم كل أسباب النظام فى العبادة مما لايتعارض فى شيء مع عقيدتها وتعاليمها لتحتفظ بهم داخل حظيرتها .. وان الكنيسة مالم تستيقظ وتدرك هذه النقطة الحسّاسة وتوليها ماتستحقه من تفكيرها وعنايتها خارجة فى ذلك عما يستولى عليها الان من جمود ، ونافضة عنها ماترسف به فى وقتها الحاضر من اغلال وقيود ، كما فعلت من قبلها الكنائس التقليدية الاخرى فى سبيل حفظ كيانها فان مسافة الخلف ستتسع بينها وبين ابنائها كلما امتد الزمان بها ، وستفسح الطريق بنفسها أمام الكنائس الاخرى لتمدّ نطاقها وتبسط نفوذها على حسابها .

لهذا كان الغيّورون فى الكنيسة يرون ان الضمير وواجبهم من نحو كنيستهم يهيبان بهم أن يسعوا جهدهم فى الاخذ بكل سبب من أسباب النظام فى العبادة بالكنيسة واداء الخدمة المقدسة بها بما لايمس فى كثير أو قليل عقيدتها وتعاليمها .

وأظن انى لااحيد عن الحق ان قلت ان اعداء الكنيسة اليوم ليسواهم الذين يناصرون هذا المبدأ .. مبدأ توفيرا أسباب النظام فى العبادة فيها ... ولكن هم اولئك الذين يقاومون كل نهضة تقوم فى الكنيسة فى سبيل هذه الغاية وتحقيقها .

والذى حارت عقولنا فى فهمه هو — مالذى كانوا يريدونه من الكلام عن الحاننا الكنيسية وسموها — فهذه حقيقة لم نختلف معهم فيها بل أظن أنا — بحكم مالنا من الصلة الخاصة بالكنيسة والحانها — كنا أسبق منهم فى ادراك هذه الحقيقة والتبشير بها . وليس فيما فعلناه شيء يدل على اننا لم نقدّر الحاننا الكنيسية حق قدرها — سواء

كان من جهة روعة الفن الذى فيها أو من جهة مالها من التأثير الروحى العميق فى نفوس سامعيها .

ونحن مااهتممنا بتوقيعها على الأرغن إلا لما رأيناه فى ذلك ـــ كما رآه غيرنا ـــ من الكشف عن جمالها وقوة التأثير الكامنة فيها ، فكان هذا دليلا منها على ايماننا بما فى الحاننا من السمو والروعة .

اما اننا عنينا بوضع كتب للترنيم فهذا ليس فيه مايمسّ الحاننا الكنيسية فى شىء ، فللالحان موضعها وللترنيم وقتها ومناسبتها ، والكنيسة رغم مافيها من الالحان لم تمنع استعمال (المدايح) فيها ، و (المدايح) لاتخرج عن معنى الترانيم ووضعها .

ولو ان فى استعمال الترانيم مايخالف عقيدة الكنيسة اونظامها ، او ماينقص من قدر الالحان ويمس كرامتها ، لما سمح رجال كنيستنا من مطارنة وقمامصة وقساوسة باستعمالها ، والواقع غير هذا ـــ فالترانيم تستعمل فى الكنيسة فى جميع انحائها دون ان يقوم اى اعتراض على استعمالها .

وكان هناك محل للنقد لو اننا استعملنا فى الكنيسة ترانيم فيها مايمس عقيدتها وايمانها ، أو اننا رفعنا لحنا من الحان الكنيسة ووضعنا ترنيمة من تأليفنا مكانها .. أما وان شيئا من هذا لم يحدث فاذاً يكون هناك غرض شخصى يسوق اليها وهذه هى الحقيقة بعينها .

ويسوءنا هنا ان نقرر بصورة قاطعة ان ماذكر عن استعمالى للترانيم (فى خدمة القداس قبل تقدمة الحمل وبعده) هو افتراء جرىء ليس فيه شىء من الصدق او الحقيقة

كـــلمة الخـــتام

لقد كانت مأمورية شاقة ومؤلمة لنفوسنا ان نضطر لنشر هذا البيان .. وان رغم على ذكر مافصّلناه فيه من وقائع وحقائق كنا نودّ ان تبقى طى الكتمان ، فنحن من الجهة الواحدة منا لا نودّ أن نمسّ شخصية كائن من كان .. ولكننا نرغب من كل قلوبنا ان تبقى علاقاتنا على احسن مايكون مع كل انسان .

كما اننا من الجهة الاخرى ماكنا نود ان نقف موقف التفاخر بذكر ماكان منا من مواقف الاخلاص لكنيستناوالمسيح قد علّمنا اننا ان صنعنا كل البر فليس لنا إلا أن نقول عن انفسنا اننا عبيد بطّالون ، ونحن لم نصنع إلا ما يفرضه الواجب علينا .

واننا لنودّ من كل قلوبنا أن يعلم الجميع اننا ما عنينا بالردّ على مانسبه القوم الينا رغبة منا فى مقابلة الشرّ بمثله ، أو لاننا اردنا ان نفاخر بما قد اعانت نعمة الله ضعفنا على عمله ـــ ولكننا اردنا أمرا واحدا لاسواه ـــ ذاك هو أن نقضى على كلّ أثر قد تتركه تلك الدعاية فى اصحاب القلوب السليمة ، فتلحق بالخدمة الشبهات ، وتحيطها بشىء من الشكوك والعثرات .

والآن ...

والان ايها الاخوة وقد اتهمتمونا ودافعنا عن انفسنا ..

والان وقد انتهى الحساب بينكم وبيننا .. لم يبق لنا إلا ان نمدّ اليكم ايدينا نطلب صلحاً وسلاما بينكم وبيننا ـــ وان كنا قد أسأنا اليكم أو كنتم قد أسأتم الينا فالله يغفر لكم ولنا .

ايها الاخوة .. ان صوت يوسف البار ينادينا من وراء الابدية ، يوّجه الينا رسالته التى وجهها لاخوته « لاتتغاضبوا فى الطريق »

فالطريق اليوم أمام كنيستنا وعر شائك ، ونحن فى وقت أحوج مانكون فيه الى الوحدة والتعاون ، لا الى التنابذ والتطاحن .

« وكل بيت منقسم على ذاته يخرب » وليس وراء الشقاق والخصام ربح ولامكسب ، وكنيستنا اليوم تواجهها مشاكل كثيرة ، وهى فى حاجة ماسة لتوجيه جهودنا بجملتها لعلاج تلك المشاكل وحلّها .. وحرام علينا ان نصرف تلك الجهود فى نزاع ونضال ، ونترك عوامل الضعف والانحلال تعمل فى كنيستنا تعرضها للفناء والاضمحلال

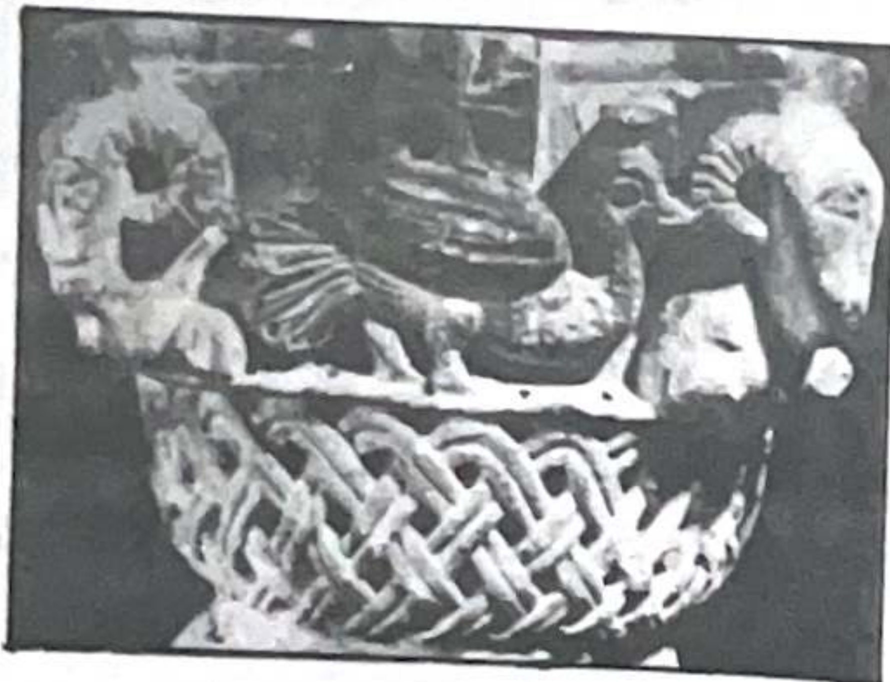
اله السلام يسحق الشيطان سريعاً تحت أقدامنا ، ويفيض بروح المحبه والاخلاص على قلوبنا .

الايغومانس
ابـــراهيم لـوقـا

حقا يا أبانا لقد عشت قبل جيلك بجيلين ! ...

فها هى الألحان والترانيم تقدمها فرق الكورال المختلفة مصحوبة بالآلات الموسيقة ، يشّجعهم فى ذلك بابوات وأحبار الكنيسة :

ونحن نذكر الحفل الذى قدّمه كورال « قاعة ابراهيم لوقا التذكارية » فى قاعة « سيد درويش » فى ذكرى مرور تسعة عشر قرنا على نياحة القديس مرقس ، وعودة رفاته الى مصر ، حيث قدموا بعضا من ألحان الكنيسة وترانيمها ..



الباب الخامس

الى المجد ...

اثر مجهود شاق شمل جميع النواحي الاصلاحية للكنيسة ، وبعد اجتماعات متعدّدة عقدها الايغومانس ابراهيم لوقا مع كبار رجال الاقباط لوضع أسس تنفيذ برنامج الاصلاح الذى أعدّه قداسته ، بعد هذا المجهود الجبار رقد فى فراش المرض صباح الأحد ٢٦ من نوفمبر ١٩٥٠ ، وعاده كبار الأطباء .. إلا أن أمر الله نفذ ، ورقد فى الرب مستريحا من أتعابه وانضمّ الى صفوف المجاهدين القديسين الأبرار فى تمام الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٩ من ديسمبر ١٩٥٠ ... ولم يكن قد بلغ من العمر عامه الرابع والخمسين .. وقبيل انتقاله — وكان قد عجز عن الكلام — سمع صوته يشدو فرحا ... « لما سفر الحق يفتح ... اسمع اسمى من هناك ينده » .

نقل جثمانه الطاهر الى كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة فى تمام الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم .. وقد أقيم قداس خاص عن نفس الفقيد صباح الأربعاء ٢٠ ديسمبر ، واستمرّت وفود المعزّين فى الحضور الى الكنيسة لنوال البركة الأخيرة من الراحل العزيز حتى بلغت الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر حيث احتفل بالصلاة .

وقد كانت الكارثة التى اصابت مصر عامة والكنيسة القبطية الارثوذكسية خاصة شديدة الوقع على النفوس بانتقال عظيم من احبارها وعلم من قادة الفكر الروحيين فيها ، وذلك نظراً للمركز الممتاز والصفات المثالية النبيلة النادرة التى قلّ أن تجتمع فى شخصية واحدة .. لهذا احتشدت ألوف زاخرة من جميع طبقات الشعب على مختلف المذاهب والأديان ، من مصريين وأجانب لتوديع الأيغومانس ابراهيم لوقا الوداع الأخير ، فلم يكن فى الكنيسة على سعتها ولا فى دورها الثانى أو ابهائها الخارجية موضع لقدم ، فوقف الناس فى الفناء الخارجي والشارع الرئيسى أمام الكنيسة يشاركون فى الصلاة على روحه الطاهرة ويودّعونه الوداع الأخير فى خشوع رائع وصمت رهيب وتأثير بالغ ، الكل يقدّر فداحة الخسارة وجسامة الخطب ، وكم من الدموع السخينة قد ذرفتها الدموع ألما على انتقال هذا الكاهن البار الأمين .

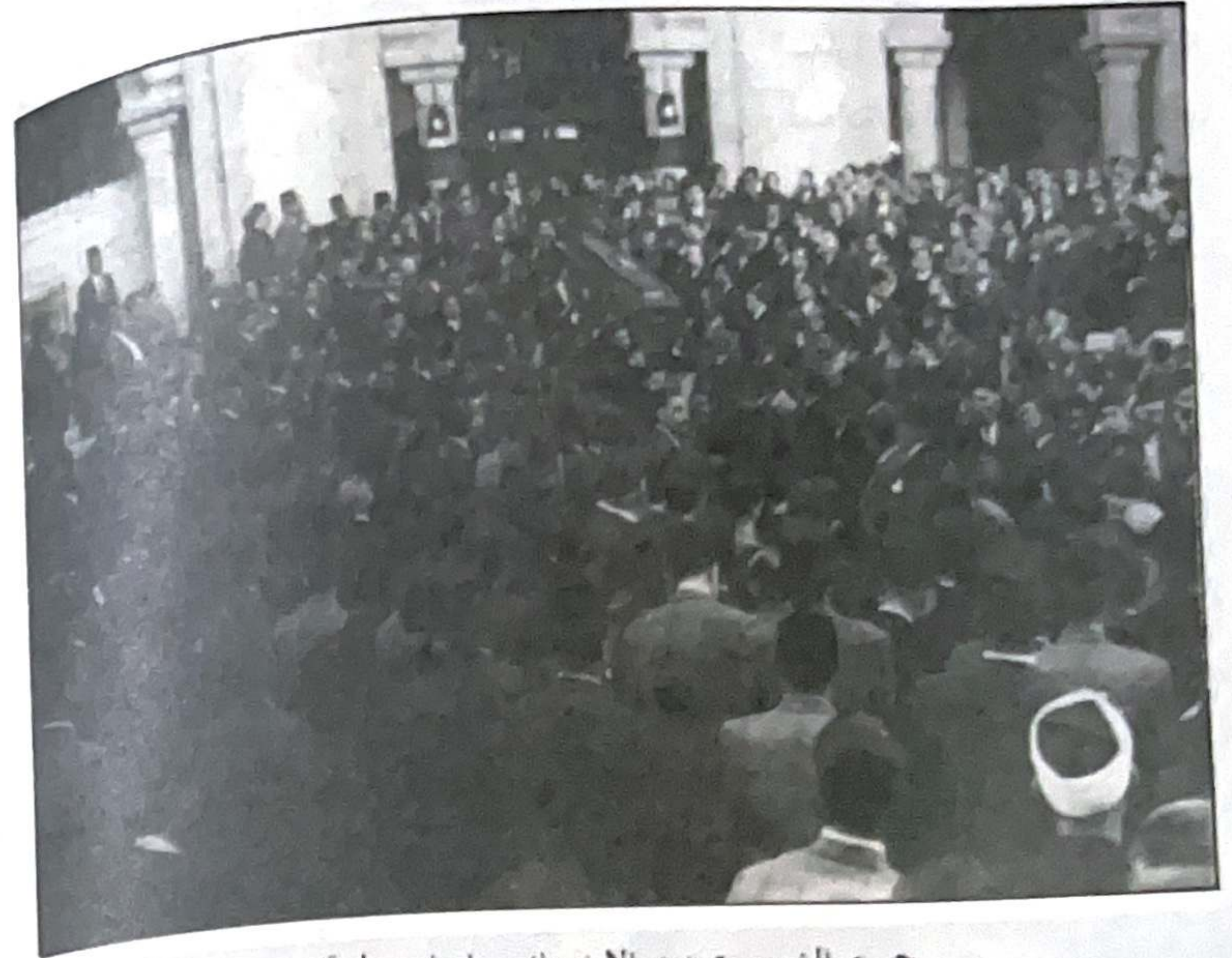
جلس فى صحن الكنيسة عائلة الفقيد وأصدقاء الراعى الأمين ورجال الدين يتقدمهم جناب الأسقف ألن وبصحبته قسوس الكنيسة الانجليزية ، ومندوب غبطة بطريرك الأقباط الكاثوليك ، ومطارنة وأساقفة الكنائس الكلدانية والمارونية والأرمن الكاثوليك والأرثوذكس والسريان الارثوذكس وقسوس الطوائف البروتستانتية ، ورجال الارساليات الدينية الانجليزية والأمريكية والفرنسية .. كما حضر ثلاثة قسوس اثيوبيون كلّفهم جلالة الامبراطور

هيلاسلاسى بذلك ... وقد حضر الصلاة سعادة تافسا هابت ميكائيل سفير اثيوبيا فى مصر مندوبا عن جلالة الامبراطور ، كما حضر سعادة مستشار السفارة البريطانية بمصر وكذلك مندوب خاص من السفارة البريطانية وأصحاب المعالى والسعادة ابراهيم فرج باشا وزير الشئون البلدية والقروية ، ومكرم عبيد باشا ، والدكتور نجيب اسكندر باشا ، وصليب سامى باشا ، والدكتور ابراهيم فهمى المنياوى باشا وكيل المجلس الملى العام ، والدكتور نجيب محفوظ باشا ، والياس عوض باشا ، والفريد ويصا بك وكيل الطائفة الانجيلية ، والدكتور بادو عميد الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، والأب دى ليملى مدير كلية الآباء اليسوعيين ، والشيخان المحترمان زكى ميخائيل بشاره وراغب اسكندر بك والنائب المحترم الحسينى زعلوك بك ، كما حضرت من الأقاليم وفود كثيرة ومثّلت جميع الجمعيات والهيئات القبطية .

وقد وضع الجثمان الكريم محاطا بأكاليل الزهور ترمقها القلوب المتألمة والعيون الدامعة ، ووضعت أمامه النياشين التى أنعم بها عليه جلالة امبراطور اثيوبيا على عباءة ملكية مهداة من جلالته .



قداسة البابا يوساب الثانى
فى طريقه للصلاة على الايغومانس ابراهيم لوقا



جموع الشعب تودع الايغومانس ابراهيم لوقا

قام بمراسيم الصلاة صاحب القداسة البابا يوساب الثانى يعاونه صاحبى النيافة الانبا توماس مطران الغربية وسكرتير عام المجمع المقدس، والأنبا يؤانس مطران الجيزة ولفيف كبير من الآباء والشمامسة ثم ألقى الارشيدياكون عياد عياد كلمة مؤثرة — نشرت فيما بعد ثم حمل بعض من الآباء الكهنة جثمان الفقيد يتقدمهم الكهنة الاثيوبيون ، وطافوا به حول المذبح ثلاث مرات ثم بصحن الكنيسة ثلاث مرات أيضاً ليودّعوه من هيكل الله وكنيسته التى خدمها نحو ربع قرن ، ذلك بين دموع الأسى وزفرات الألم الصادرة من قلوب شعبه الذى أحبّه وبذل ذاته من أجله ، وكان الشعب ينحنى مقبّلا الجثمان لنوال البركة ....

ولا يستطيع القلم أن يعبّر عن مشاعر المشاركة العجيبة التى بدت من الشعب الوفى على اختلاف طبقاته وهيآته ، الكل يعتبر المصاب مصابه الشخصى ، والفقيد فقيده .. والكل يطلب عزاء لأنفسهم ولكنيستهم .

وقد أبى الشعب إلا أن يودّع راعيه راجلاً الى مقبره الأخير ، فسارت هذه الألوف وراء العربة التى تحمل جثمانه حتى قرب مدافن ألماظة ، حيث أودع الجثمان كنيسة المدافن وكان أول جثمان يودع بها ... وأقيمت الصلوات الخاصة بالمدفن وأنتهت الخدمة حوالى الساعة الخامسة والنصف مساء .

وهكذا طويت صفحة الجسد الفانى لتفتح صفحة جديدة من الحياة الخالدة ..

يـا أبـا الشـعب

كلمة الاستاذ عياد عياد فى حفل توديع الايغومانس ابراهيم لوقا

أبانا ابراهيم يأبا الشعب

خسرتك الأرض فربحتك السماء ..

عشت عزيز النفس ، مرفوع الرأس موفور الكرامة ...

وارتحلت عنا ... فخسرت فيك الكنيسة النزية الأول ، والصريح الأول ،والنبيل الأول ...

ماهذا النبع الفياض الذى اندفق من قلبك العطوف ، يروى النفوس العطشى ، ويشبع القلوب الجائعة ؟

ما هذا التيار الجارف الذى انساب من روحك ، فغمر أرواح الشباب والشيوخ ، وأسر لطفك الصغار والكبار ؟

ما هذه المحبة القوية ، التى ألفّت بين قلبك وقلب الشعب فى شتّى طبقاته ومختلف ثقافاته ؟

يـا أبـانا ابـراهـيم ....

أكرمت الله فأكرمك ، وخدمت الشعب فى نزاهة فعظّمك ..

هذه النزاهة التى نفتقدها اليوم فلا نكاد نجدها إلا فى النذر اليسير ، توافرت لديك وكان عندك منها الكثير ..

لم تتلّوث يدك بشىء غير شريف .. فلا المال يغريك ، ولا المركز يطغيك ، ذلك لأن نعمة الله عاملة فيك ...

كنت النزيه الأول .. لم تستغل رتبتك الكهنوتية أو نفوذك الكبير ، أو صلتك واسعة النطاق بالكثيرين وبينهم كبراء وعظماء وأغنياء .. لم تستغل هذه المكانة لنفع ذاتىّ أو لغرض شخصى .. وأين هذا من أولئك الذين جعلوا المال معبوداً آخر فأسرهم وكبّلهم بقيود ، وكادوا أن يقدموا له دون الله السجود ! ....

يـا أبـانـا ابـراهـيم ...

لقد كنت الصريح الأول ... صراحة صافية جريئة .. جرأة فى الحق لأن مصدرها الحق ، وكان شعارك دائما شعار سيدك يوم قال « لأنى لأجل هذا ولدت ولأجل هذا أتيت الى العالم لأشهد الحق »

كانت صراحتك تهدف الى الاصلاح ... الاصلاح الذى قوامه الصلاح ! .. كانت رغبتك تقويم المعوجّ وتعديل المائل ، هذه التى لم يكن فيها أسفاف أو تنزّل أو تبذّل ، انها صراحة المسيح ..

فى غير مواربة قلت للمسىء أسأت مهما يكن كبيرا ، وللمحسن أحسنت وان يكن

صغيراً ، انها الصراحة المهذّبة المؤدّبة .. مهذبة فيما كتبت ، مؤدّبة فيما نطقت ... قلم عف ، ولسان عفّ ، وكانت صراحتك تصدر دائما عن نفس عفيفة تعاونها يد كريمة نظيفة، فلئن شُتمت فلا تشتم عوضا ، ولئن افترى عليك قد سامحت وصفحت ووعظت ، ذلك لأنك قد تربيت ، ورضعت لبن النعمة ، ونشأت فى كنف الايمان ، وترعرعت تحت ظلال المحبة ، أشبعت بالروح فلم تعمل مطلقا بوازع الجسد .

كنت صريحا فى عصر ساد فيه الرياء ، وكنت وديعا فى زمن تفشّت فيه الكبرياء ، وكنت محبا عطوفا فى وقت رفع عليه علم البغضاء .

يا أبانا ابراهيم ....

كنت النبيل الأول ... عشت عزيز النفس ، ساميا فى روحك ، نزيها فى قصدك ... وعشت مرفوع الرأس ، صريحا فى قولك ، أمينا فى عملك ... وعشت موفور الكرامة ، طاهراً فى قلبك ، والطهارة هى أساس النجاح ، والحياة الروحية هى أساس القوة والانتاج فى الحياة الأدبية والاجتماعية .

لم تسع لنيل الكرامة ، لكن الكرامة أتت اليك طواعية ..

ليست الكرامة التى يضفيها المركز أو الجاه أو السلطان ، فتلك كرامات وهمية ان فرضتِ على الناس فرضا فستزول بزوال تلك العوامل القهرية التى فرضتها ... أما كرامتك أنت يا أبانا ابراهيم فإنها كرامة نابعة من الداخل ، من نقاء القلب وصفاء الذهن ، وسلامة النيّة وحياة الضمير .. وفى هذه جميعها أكرمت الله .

أكرمته فأذعت مجده بقدوتك الطاهرة ، وبتعاليمك السامية ...

قدوتك من قدوته ، وتعاليمك من تعاليمه .. لأجل هذا ستكرمك مادامت لنا فى الحياة بقية ، وستكرمك الأجيال ... سينشرون بين الناس شذاك ، وينقلون الى الأزمنة صداك ، ويتحدث القادمون بذكراك ، وسيرددون هتافنا الذى نهتف .. طوباك ثم طوباك ...

يا حبيبنا ابراهيم ...

كنت الرائد الأول ، والقائد الأول والمجاهد الأول ..

كنت رائداً للشباب ، الشباب الجائع الى كلمة الله ... الشباب المشتاق الى نور الحياة .. الشباب المتوافد الى العمل المنتج لمجد الله ، ولكنه لا يجد من يرشده أو يقوده .

شباب يعد بمئات الألوف قلّ من يسأل عنه أو يبالى بمصيره ... سمع صوتك فأتاك ، وفتحت قلبك فتلقيته فرحا مسروراً .. وفتح الشباب قلبه لأب عطوف محبّ مخلص ، فاعترف بخطاياه ، واتخذ كل شاب منك صديقا وفياً ، فكنت له ولياً ..

يا أبانا لقد خلقت نعمة الله فيك من الخمول نشاطا ، وغيّرت من الشر الى الخير ، وبعثت الأمل فى قلوب يائسة ، وأنعشت الضمائر فى نفوس بائسة ..

وهكذا صنع الرائد الأول ... الرائد الذى عرف قيمة الشباب أنه عدّة الجيل وعامود النهضة .

يا أبانا ان خسارة الشباب فيك جسيمة ، لكن هكذا أراد الله ... ومن يستطيع أن يدرك حكمته السامية العظيمة ؟!

يا أبانا ابراهيم ....

كنت القائد الأول ... قائد النهضة ..

لكن أية نهضة ؟ ليست نهضة الجعجعة أو الادعاء أو الدعاية ، لكنها النهضة التى لها أساس سليم من الدعائم الروحية القوية .

لقد أدركت أنه لايصلح لبناء الاصلاح إلا من كان مبنياً على التقوى والاصلاح ..

ثم أدركت أن الأسرة اذا مادّعمت على العبادة الحقة فى ملء الروح القدس فى كل أفرادها ، كانت بيتا مقدساً للرب ، وأخرجت للكنيسة أشبالا يكونون فى القريب رجالا أبطالا ومن هنا كانت رعايتك الحقّة .. افتقادا دائماً لاينى ولا ينثنى ..

كنت الأب الرحيم لكل فرد من الابناء ، وادركت أن أبا لايشبع بنيه لاخير فيه وأعلنت برعايتك الساهرة أنك أب مشبع مقنع ففرحت بك الرعية ، وأحلّتك فى القلب مكانا علياً ..

يا أبانا ابراهيم ....

كنت المجاهد الأول ... جاهدت وناضلت ضد الركود وضد الجمود .. وما من شىء يقلق قلبك المؤمن ويقض مضجعه أكثر من الركود البليد ، لا نمو ولا ازدهار ، بل على العكس تأخر وانذار بالانهيار .

والجمود البائس جمود فى العقلية وجمود فى النفسية ، تلك العوامل التى تنزل بالنفس الى الحياة المادية ، أو المظاهر الخداعة التى لاتغنى الكنيسة ولا تنفعها .

وأعلنت بتصرفاتك أن المسيحية نشاط وجدّ وعمل متواصل .. لارغبة فى الظهور ، ولا اندفاعا بغرور ، وإنما هو الثمر المتكاثر ، أو أنه إذاعة مجد الله ونشر أشعة النور .

وكنت عدواً للفوضى .. فحاربت الفساد إينما وجد ، وقاومت الشر حيثما كان وفى أى انسان .. احببت النظام وتعلمت الترتيب وسلكت بلياقة وشعارك قول الرسول « اسلكوا بترتيب ولياقة »

ولئن بدا أن هذا الجهاد قليل الانتاج ، فحقيقة الأمر أنها البذرة الصغيرة المخبوءة فى الأرض ، تنمو وئيداً ثم تضطرد لتصبح شجراً جذوره فى الأرض وفروعه فى السماء ... ثمره شهى فيه غذاء وفيه عزاء .

هذا هو الرجل الذى عرفته ...

النزيه الأول ... والصريح الأول ... والنبيل الأول ...

الرائد الأول ... والقائد الأول ... والمجاهد الأول ...

ولئن كنا اليوم نودعه بالدموع ، فإنه قد ارتقى الى حضن يسوع .

« ومن يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى كما غلبت أنا وجلست مع أبى فى عرشه »

« المجد الذى أعطيتنى قد اعطيتهم »

« ومتى أظهر سنكون مثله لأننا سنراه كما هو »

عزاء للنفوس المتألمة ، والقلوب المكلومة ..

عزاء للأسرة الحزينة ، وللكنيسة الجريحة ..

أما هو فلا يحتاج الى البكاء وقد شمله النور فى مجد السماء ..

وإنما الرثاء هو للكنيسة وأى رثاء !

فليتطلع اليها رب المجد من السماء ، إنه قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم ..

فى أثيوبيا

أقيمت خدمة صلاة فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٠ اشتركت فيها الكنيستان الاثيوبية والقبطية وحضرها معظم المصريين وكبار رجال الدولة الاثيوبين وعلى رأسهم دولة رئيس الوزراء ، أما جلالة الامبراطور فكان متغيباً فى داخلية البلاد .

وقد كانت آلام الاثيوبيين شديدة جدا وعلى رأسهم نيافة الانبا تاوفيلس أسقف هرر ودولة رئيس الوزراء بتودد ماكونن والأميرة شاشورك زوجته .

نعى القمص ابراهيم لوقا من ستين هيئة ، كما بلغت برقيات التعازى فى انتقاله أكثر من خمسمائة برقية من انحاء العالم المتفرقة .. كما حضر للتعزية قداسة الانبا مرقس خزام بطريك الاقباط الكاثوليك . وفيما يلى جزء يسير من هذه البرقيات :

— حزن الأميرة شاشورك وحزني عميقان للخسارة العظيمة ، نبعث للعائلة الكريمة أعمق عواطفنا ونرجو لها من الله قوة الاحتمال .

— ببالغ الحزن وبقلب دامى نشاطركم والأسرة مصابكم الذى هو مصاب الكنيسة فى ابنها البار وخادمها الأمين المتنيح القمص ابراهيم لوقا ، فله الرحمة ولكم وللأسرة جميل العزاء .

كيرلس مطران قنا

— حبيبنا رقد بسلام ، لاتحزنوا كالذين لارجاء لهم ، فإن مات فهو يتكلم بعد

مطران القدس

— لقد خسرنا شخصيته الفذّه وربحنا سيرته العطرة ، ففى كنيسة الأبرار مسكنه ، وعزاء لنا ولحضراتكم

يؤانس مطران الجيزة

— بقلوب متألمة قابلنا نبأ انتقال الطيب الذكر الراحل الكريم ، فإله الكنيسة التى تفانى فى خدمتها نسأل لكاهنها الأمين السماء ولكم الصبر والعزاء .

مطران اسيوط

— حزننا عميق لفقيد المسيحية العظيم ، رحمة واسعة للراحل العزيز ، وعزاء قلبيا للأسرة الكريمة .

الأنبا اسحق غطاس

— علمت بألم بالغ وفاة الأب الحبيب ابراهيم لوقا ، لقد أحببته لأنه بذل نفسه أكثر من جميع رجال الله ، وكانت تتجمع فيه جميع الصفات التى تخلق القديسين ، انى أبكيه مع عائلته ، كما أن حزنى عميق لعدم مشاركته مسكنه الأخير .

مدير مدارس الليسيه دى كومنين

— نقاسمكم الأحزان العميقة لهذه الكارثة الكبيرة والمحنة العظيمة التى وقعت على الشعب القبطى المسكين ، الله يعزينا ويصبرنا .

كامل بولس حنا

— ما مات ابراهيم فهو مخلداً   بصلاحه وكلامه وافعاله
هو فى السماء شفيعنا ورجاؤنا   ودليلنا فى أرضنا بمثاله

جورج موسى

— الى سماء المجد مع المختارين والأبرار حبيبنا وعزيزنا رجل الجهاد والاصلاح والبر والتقوى ، سلاما ونياحا لروحه الطاهرة ، وعزاء وصبرا لأسرته الكريمة ولابناء الكنيسة والأمة .

أسعد عبده

— بمزيد الحزن والأسى أشاطركم مصابكم الجلل ، بل مصاب الكنيسة والأمة بأسرها ، والراحل ينعم الآن فى ملكوت السموات بعد جهاد مقدس فى سبيل الكنيسة ، نسأل الله أن يلهمنا الصبر والعزاء ، ويرشدنا لنسير فى الطريق التى سار فيها الفقيد العظيم .

رفلة جرجس

تعزية مطران اثيوبيا

زار صاحب النيافة الأنبا باسيليوس مطران أثيوبيا وبصحبته نيافة الأنبا ثاوفيلس أسقف هرر وسعادة الفيتورارى تافسا سفير اثيوبيا بمصر وسعادة مرسى حزن وكيل وزارة العدل بأثيوبيا والقس مرقس داود عائلة مثلث الرحمات الايغومانس ابراهيم لوقا فى الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الخميس ١١ يناير ١٩٥١ لتقديم عزاءهم فى الفقيد العظيم ، وكانت امارات التأثير والحزن والألم العميقة بادية على وجوههم ، وقد عبّر نيافة المطران وسعادة السفير عما قدّمه الراحل العزيز لاثيوبيا من الخدمات .

وقد أقام كذلك نيافة الانبا باسيليوس يعاونه نيافة الانبا تاوفيلس وفريق من الرهبان الاثيوبيين قداسا خاصا عن نفس ابينا ابراهيم لوقا صباح الخميس ١٨ يناير ١٩٥١ بكنيسة مارمرقس بمصر الحديدة ، وقد أهدى نيافته الى مذبح المتنيح صليبا كبيراً .

تعزية ولىّ عهد اثيوبيا

تفضل صاحب السمو الامبراطور الأمير أصفا وصن ولى عهد اثيوبيا بزيارة عائلة الايغومانس ابراهيم لوقا فى الساعة الواحدة بعد ظهر السبت ٢٤ فبراير ١٩٥١ وبمعيته السامية سعادة تافسا هابت ميكائيل سفير اثيوبيا بمصر لتقديم عزائه الشخصى للأسرة .

الصديق لذكر ابدىّ

حفل التأبين بالاسكندرية

أقامت جمعيات الأسكندرية جنازا لتأبين المتنيح الايغومانس ابراهيم لوقا بكنيسة السيدة العذراء بمحرم بك يوم الأربعاء ١٧ يناير ١٩٥١ حضره عدد كبير من أعضاء الجمعيات القبطية بالاسكندرية وصفوة شعبها .

وقد اشترك فى رفع الصلوات الآباء الأجلاء كهنة الاسكندرية الموقرين ، واشترك معهم شمامسة نهضة كنائس الكرازة المرقسية ، وقد رنّم تلميذات مشغل جمعية الاخلاص القبطية ترانيم روحية معزّية .

ثم تحدث الاستاذ روفائيل حبشى باسم جمعية أصدقاء الكتاب المقدس بالاسكندرية والقى كلمة جامعة عن الفقيد كرائد وراع لجمعية أصدقاء الكتاب المقدس المركزية بالقاهرة وفروعها المختلفة بالقطر المصرى ، ورجا أن تكون ذكرى الفقيد العزيز والاجماع على تكريمه خير حافز للشعب على التضامن فى سبيل تنفيذ رسالته الاصلاحية الكبرى .

وألقى بعد ذلك الاستاذ ابراهيم حنين شاعر جمعية الاخلاص بالاسكندرية قصيدة عامرة الأبيات ثم وقف الاستاذ ألبرت برسوم سلامه وألقى كلمة حافلة نيابة عن جمعيات الاسكندرية وتحدث عن الايغومانس ابراهيم لوقا كرسالة وعقيدة ، وذكر بعضاً من أعماله الجليلة التى قدّمها لكنيسته فى أوربا وفى اثيوبيا .

ثم تحدث الاب الموقر القمص مرقس باسيليوس راعى كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك وأحد تلاميذ الراحل العزيز عن رسالة القمص ابراهيم لوقا الاصلاحية ، وجهوده الموفقة لتوحيد بعض الكنائس على أساس ايمان كنيستنا القويم .

وأخيرا تكلم المهندس فايز رياض باسم العائلة المتألمة وشكر لشعب الاسكندرية الوفى ممثلا فى اكليروسها وجمعياتها وشعبها الذين تضامنوا على تكريم الراحل المحبوب .

حفل جمعية التوفيق القبطية بالقاهرة

وفى يوم الأحد ٢٨ يناير ١٩٥١ أقامت جمعية التوفيق القبطية الخيرية بالقاهرة حفلا كبيرا لتأبين رجل الاصلاح الايغومانس ابراهيم لوقا تحت رعاية قداسة البابا البطريرك الانبا يوساب ، وأعدّت لذلك سرادقا كبيرا بفناء مدارسها بميدان بركة الرطل ضاق على سعته بجموع الشعب الكريم .. وقد استمر الحفل من الساعة الرابعة الى الساعة السابعة مساء .

وقد رأس الحفل نيابة عن قداسة البابا البطريرك صاحب النيافة الأنبا توماس مطران كرس الغربية وسكرتير المجمع المقدس حيث بدأ الحفل بالصلاة ، ثم ألقى سعادة الاستاذ راغب اسكندر بك وكيل جمعية التوفيق كلمة الجمعية وتلاه الاب الموقر القمص غبريال اسحق راعى كنيسة البطرسية ثم القمص بولس شنوده راعى الكاتدرائية المرقسية فتحدثا نيابة عن الاكليروس القبطى ، ثم تلاهما سعادة سكرتير السفارة الاثيوبية الذى ألقى كلمة سعادة السفير الذى تخلّف عن الحضور لغيابة عن القاهرة ، ثم تكلم سيادة الاسقف ألن مطران الكنيسة الاسقفية ثم القس ابراهيم سعيد عن الكنيسة الانجيلية والاستاذ توفيق حداد عن الطوائف الكاثوليكية ، ثم وقف سعادة الدكتور ابراهيم فهمى المنياوى باشا وكيل المجلس الملى العام وارتجل كلمة عن ابينا ابراهيم والاصلاح الملى .

ثم تكلم معالى الدكتور نجيب اسكندر باشا عن الوزراء السابقين ، والاستاذ أسعد مرقس بك الذى ألقى كلمة الجمعية الخيرية القبطية الكبرى ثم المستشار الاستاذ مقصود قوسه بك نيابة عن مجلس كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة ، فالاستاذ لبيب المنقبادى رئيس تحرير جريدة مصر عن الصحافة وتحدث عن الايغومانس ابراهيم لوقا الصحفى ، وتلاه الاستاذ جفرى عصفور رئيس جمعية ثمرة التوفيق القبطية ثم كلمة جمعية الاخلاص القبطية بفم الخليج .

ثم ألقى المهندس أنور نسيم كلمة الاستاذ عياد عياد سكرتير عام جمعية أصدقاء الكتاب المقدس الذى اعتذر عن الحضور لمرضه .

وأخيرا وقف نيافة الحبر الجليل الانبا توماس وارتجل كلمة بليغة عن الدور الكبير الذى أدّاه الايغومانس ابراهيم لوقا فى سبيل التوفيق بين الكنيستين الاثيوبية والقبطية وكم من صعوبات لاقاها فى هذا السبيل ثم ختم كلمة بقوله :

« اننا نغتبط جدا لاجماعكم على تكريم الرجل العظيم القمص ابراهيم لوقا » ،
« لأنه واحدا منا أى من الاكليروس ، وكم كنت أود أن يتمكن غبطة »
« البابا من حضور هذا الحفل ، ليرى كيف يقدر الشعب المسيحى على أختلاف »
« طوائفه الايغومانس ابراهيم لوقا ، وهو ابنه العزيز وصديقه الوفى »

وختم الحفل بكلمة شكر من الأسرة ألقاها الاستاذ يوسف كامل ثم تليت بالصلاة الربانية حيث كانت الساعة قد بلغت السابعة مساء .

فى كنيسة مار يوحنا بحلمية الزيتون

وقد أقامت أيضا كنيسة مار يوحنا بحلمية الزيتون قداسا خاصا ثم جناز عن الراحل العزيز صباح الجمعة ٢ فبراير ١٩٥١ ، وبعد الصلاة تحدث الاب الموقر القمص انطون عبد الملك راعى الكنيسة عن زميله وصديقه القمص ابراهيم لوقا وعن صفاته وخدماته ، مما كان له أبلغ العزاء فى قلوب النفوس المحبة المتألمة .

ذكرى الاربعين
بكنيسة مار مرقس بمصر الجديدة

أقامت كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة فى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ٢٦ يناير ١٩٥١ صلاة جناز الأربعين عن نفس المتنيح الأيغومانس ابراهيم لوقا برئاسة صاحب النيافة الانبا توماس مطران كرسى الغربية وسكرتير المجمع المقدس والانبا بنيامين أسقف كرسى المنوفية موفدين من قبل قداسة البابا البطريرك الانبا يوساب الثانى .

وكم كان الحفل رائعا ومؤثرا لمشاعر المشاركة الجميل الذى أظهرته جميع الكنائس المسيحية من نحو الراعى العظيم فقيد المسيحية فى مصر المتنيح الايغومانس ابراهيم لوقا ، كما بدا من تقدير الشعب القبطى بجميع طبقاته وهيآته لشخصيته الفذّة وجهاده العظيم ... كان لهذه الصورة ولهذا التقدير أجمل الأثر وأبلغ العزاء فى نفوس العائلة المتألمة والأصدقاء والزملاء الأعزاء وللكنيسة الجريحة .

وبعد الصلوات والالحان الجنائزية التى كانت تستدر دموع المصلين الذين كانوا يترحّمون على ذلك المجاهد الكبير وعلى تلك الخدمات العظيمة التى افتقدوها فى هذه الشخصية الفذّة ، تكلم جناب القس ابراهيم سعيد عن الكنيسة الانجيلية ، وتلاه سعادة الدكتور ابراهيم المنياوى باشا ثم معالى الاستاذ مكرم عبيد باشا ثم الاستاذ نجيب المندراوى فالقمص عبد المسيح المحرقى فصاحب العزة الأميرالاى اسكندر فهمى أبو السعد بك واختتم الحفل الدكتور نصيف سيدهم سكرتير مجلس كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة بكلمة شكر وكانت الساعة قد بلغت السادسة والنصف أى استغرق مدة ثلاث ساعات .



الذكرى الأولى
للايغومانس ابراهيم لوقا

فى مصر الجديدة :

احتفلت كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة بالذكرى الأولى لانتقال خادم الله الأمين المتنيح القمص ابراهيم لوقا يوم الجمعة ٢١ ديسمبر ١٩٥١ فأقامت قداسا طاهراً فى صباح ذلك اليوم حضره جموع كثيرة من ابناء الفقيد ، وبعد الظهر أقيمت خدمة الجناز برئاسة قداسة البابا يوساب الثانى وبحضور نيافة الانبا يؤانس مطران كرسى الجيزة ورجال الدين المسيحى من مختلف طوائفهم ، كما حضر الحفل رجال السفارة الاثيوبية وعدد كبير من عظماء الاقباط وكبرائهم يتقدمهم أصحاب السعادة دكتور نجيب محفوظ باشا وابراهيم فهمى المنياوى باشا ونجيب اسكندر باشا وكامل يوسف صالح بك وكيل المجلس الملى العام والنائب المحترم الاستاذ الحسينى زعلوك بك ، ورجال الجمعيات القبطية بالقاهرة وعدد غفير من جميع طبقات الشعب الوفّى الذى يقدر للراحل الكريم جهاده .

وبعد انتهاء مراسيم الصلاة تعاقب على المنبر الخطباء فبدأ جناب وكيل بطريركية الاقباط الكاثوليك ثم الاستاذ رياض سوريال استاذ اللغة العربية بالكلية الاكليريكية الذى ألقى قصيدة رائعة ، ثم تكلم القس زكريا خليل عن الشخصية التى لاتعوض ثم القى الاستاذ يوسف كامل كلمة نيابة عن الأسرة وأخيراً تحدث الدكتور نصيف سيدهم سكرتير مجلس الكنيسة نيابة عن المجلس عن أعمال الراحل العزيز وجهاده الطويل ومشروعاته العظيمة ثم ختم الكلمة بتوجيه الدعوة الى قداسة البابا يوساب الثانى ليتفضل فيضع بيده الكريمة حجر الأساس لقاعة الايغومانس ابراهيم لوقا التى قرر مجلس الكنيسة فى أول اجتماع له بعد نياحته أن يستعين ببركته وبذكرى مجهوداته الاصلاحية والانشائية فى أن يقوم بتنفيذ هذه المشروعات على أن يطلق اسم الراحل العزيز على القاعة التذكارية .

وهنا انتقل الحاضرون الى حديقة الكنيسة من الجهة الشرقية القبلية الملاصقة للأرض التى اشتراها الراحل الكريم لتنفيذ المشروعات الانشائية ، وتلى محضر ارساء الحجر الأساس فتفضل بتوقيعه قداسة البابا المعظم ونيافة مطران الجيزة وكبار الحاضرين وأعضاء مجلس الكنيسة ، ثم أرسى بيده الكريمة الحجر الأساسى ، كما أزاح الستار عن اللوحة الرخامية التى أعدت لهذا الغرض ، كما تفضل قداسته فافتتح قائمة التبرعات المخصصة لتنفيذ هذا المشروع الجليل وتبعه الاستاذ فرج مينا عضو المجلس الملى العام ، كما أرسل الدكتور جورج عقداوى خطابا يعتذر فيه عن الحضور وأرفقه بمبلغ خمسين جنيها تقديرا للراحل العزيز .

فى الاسكندرية :

وقد دعت الجمعيات القبطية بمدينة الاسكندرية الشعب السكندرى لحضور حفلة التأبين الكبرى للذكرى السنوية الأولى لانتقال خالد الذكر المتنيح الايغومانس ابراهيم لوقا ، وما أن وافت الساعة الخامسة من مساء الأحد ٢٣ ديسمبر حتى اجتمع بكنيسة السيدة العذراء بمحرم بك صفوة اقباط الاسكندرية ، وبعد اقامة الصلوات أنشد تلميذات مشغل الاخلاص لحنا كنسيا .

ثم تحدث الاستاذ روفائيل حبشى باسم أصدقاء الكتاب المقدس وذكر فضل القمص ابراهيم لوقا فى توجيه الشباب الى الحياة الروحية وتضحياته فى خدمة الكنيسة كراع أمين أدّى رسالته الاصلاحية ، وعرج على ما صادف الفقيد فى سبيل تأدية خدمته ، وعاهد روحه الطاهرة باسم الأصدقاء أن يترسموا خطاه لتحقيق برنامجه الاصلاحى ..

وأعقبه الاستاذ فريد اسكندر أبو الهول بقصيدة عامرة ، ثم تلاه الاستاذ الكبير ألبرت برسوم سلامه المحامى وعضو المجلس الملى بالاسكندرية فتكلم عن أعمال الفقيد التى تنمّ عن ايمانه القوى ثم تلاه جناب الموقر القمص مرقس باسيليوس فتحدّث عن ذكرياته عن الفقيد وما تحلّى به من صفات ممتازة رفعته الى مركز سام لا يدانى فى وسط شعبه وأمته .

وفيما يلى بعض الكلمات التى قيلت أو كتبت عن القمص ابراهيم لوقا بمناسبة انتقاله وفى ذكراه .

رجل الاصلاح
لنيافة الانبا كيرلس مطران كرسى قنا

لقد عرف القبط خلق القمص ابراهيم لوقا وماكان عليه من صفات ممتازة جليلة ، وخبروا فيه النزاهة وشرف النفس فقدّروه وأحلّوه من قلوبهم مكاناً سامياً حتى انهم لقبوه برجل الاصلاح لأن نشأته الطيبة وسيرته الفاضلة كفلت له نصيباً اكبر فى الجهاد والتضحية ، وجعلته يعمل فى الكنيسة والعائلة والمدرسة الجندى الصالح والوكيل الأمين .

كان أصدقاؤه وخصومه على السواء فى احترامه وتقديره واكباره .

كان عفّ اللسان نزيهاً مترفّعاً عن الصغائر والماديات ، مثالاً صالحاً نتطلع اليه اليوم فى ألم وحسرة وتلهف .. لم يقل أحد انه انتفع من وراء خدمته أو أثرى ، بل كان يبذل من جيبه الخاص لعشرات الفقراء والمعوزين الذين أخنى عليهم الدهر .

زرته فى منزله قبل وفاته بشهر فوجدت عنده رجلين عظيمين لهما وقفة مشرّفة فى خدمة الكنيسة ، أحدهما محام قدير نابغة ، والآخر طبيب ممتاز ، فتكلم معنا الراحل عن حالة الكنيسة وما وصلت اليه فى تألّم وحسرة ... لقد ترك فراغاً فى الكنيسة يعزّ ملؤه خصوصاً فى القرن العشرين الذى ارتفع فيه مستوى الاستهتار الباطل .

دعا الى تكاتف الطوائف ، وكان فى دعوته كمن له سلطان ونفوذ ومقدرة بين الجميع ، تخطّى نفوذ الرؤساء ، وكان يعمل هذا بلا هوادة بغض النظر عن الجنس أو المذهب أو العقيدة ، تاركا ما تباين من هذا للظروف الملائمة وارادة الله ، وولّى وجهه شطر الوحدة فى المسيح الذى هو الكلّ وللكلّ ، وكان هدفه الأعظم ان يجعل الكلّ كتلة واحدة ، وارادة ورأيا واحداً وشعوراً واحداً ومطالب واحدة ، ليربط بهذا الاتحاد الجميل قلوب المؤمنين ، وكم كان يحبّ ان ترجع الكنيسة الى ما كانت عليه قبل الانشقاق فلا يقال كاثوليكى أو بروتستانتى أو خلاف ذلك من المذاهب الاخرى بل يقال ارثوذكسى فقط (مستقيم الرأى) .

أجل انه كان يتقرب الى الكنائس على هذا الأساس لكى تكون كنيسة المسيح كنيسة واحدة جامعة رسولية ، تقدر أن تقف أمام هذه التيارات المضادة للمسيحية .

قد تكون الكنيسة فى غدها أحسن من يومها لو بقى هذا الرجل قليلا أو كثيراً ، ولكن لتكن إرادة الله لا إرادتنا فانه انتقل مأسوفاً عليه من الكنيسة التى خدمها خدمة الراعى الأمين .

اخي وصديقي وسميّ

« فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم ابراهيم فقال هائنذا »
(تكوين ٢٢ : ١١)

كلمة القس ابراهيم سعيد

راعى كنيسة قصر الدوبارة الانجيلية

فى حفل جناز الاربعين بكنيسة مار مرقس بمصر الجديدة

حين كان طالبا فى المدرسة السعيدية ، قبيل اندلاع نار الحرب الكبرى الأولى ، التقيت به فى خيمة اجتماع مقدس ، وكان فى ذلك الوقت شاباً فى ميعة الصبا يفيض قوة وحيوية ، وعيناه البرّاقتان ينبعث منهما نور قوى هو نور الطهر يمازحه الظفر بالحاضر ويقين الرجاء بالمستقبل ، فاسرّ إلىّ بعزمه أن يكرس نفسه لخدمة الله فقلت له : « أربأ بشبابك ياأخى واحرص على مستقبلك ، فالايام تبتسم لك ، ويوماً ما تدعى لتكون وزيراً أو رئيس وزراء فى هذه الديار » فابتسم ابتسامة تفيض بالمعانى العميقة وقال « ولكن خدمة ربى وفاديّ أشرف عندى من أى مركز عالمى هل نسيت ان الله جعلنا ملوكاً وكهنة فلماذا أنزل عن هذا المركز الرفيع ؟..

نفذت هذه الكلمات فى قلبى كالسهم ، فاكبرت فيه الهمة التى تحدوها التضحية ، والرجاء الذى يحفّزه اليقين ، والبديهة الحاضرة التى كانت تتمثل فيها « اليقظة » حسّاً ومعنى منذ الصبا ، وقلت له مودعاً « احمد الله الذى ملأ قلبك بهذه العزيمة الصادقة وانى ادعوك ان تصلى لاجلى لانى قد صمّمت على حمل الصليب مثلك .. ولكن فى بيئة غير البيئة التى اخترتها أنت »

كان رجل الاصلاح ، الذى فهم الاصلاح على حقيقته ، فتحقّق ان الاصلاح المنشود ، ليس اصلاحاً مالياً ولا اجتماعياً ولا ادارياً ، انما هو الاصلاح الروحى لان الاصلاح الروحى هو روح الاصلاح ، وقد سعى الى هذا الاصلاح من أساسه ، اذ أحبّ الكتاب المقدس ، وكان فى مقدمة العاملين على تأسيس « جمعية أصدقاء الكتاب المقدس » وكان الراعى المثالى لجمعية « صديقات الكتاب المقدس » وكان على الدوام ينادى بضرورة الميلاد الثانى كأساس للاصلاح المنشود .

لم يفهمه أغلب الناس ، بل أساؤا الظن فيه ، فتصوره بعضهم ، انه يريد ان يسلّم الكنيسة القبطية الارثوذكسية ، سلعة رخيصة لاحدى الكنائس ، وأنا أشهد أمام الله ، وأمام ضميرى وأمامكم ، اننى لم اجد فى كل حياتى رجلاً قبطياً متعصباً لكنيسته القبطية الارثوذكسية مثل هذا الرجل ، بل هذا البطل ، ولو اتيح له لجمع كل الكنائس فى كنيسته ، فهو لم يكن ضعيف الايمان بكنيسته ، بل كان قوىّ الايمان برسالته .. رسالة اتحاد الكنائس تحت لواء المسيح الواحد .

اننا نحتفل اليوم برمز كنّا ننشده فى الخيال فرأينا فيه حقيقة واقعة ، اذ تجمّعت فيه صفات ومزايا ، قلّ أن تجتمع فى غيره ، اننى أثق ان زميلى وسمىّ وأبى وصديقى هذا ، كان عيبه ان عاش قبل جيله بقرنين .. ولو عاش متأخراً لفهمه الذين عاش بينهم ، وهذا هو السرّ فى انه عاش غير مفهوم ، بل عاش مضطهداً ممن جاء يخدمهم ، فتم له ما تم لبروفتيبوس حامل النور ، الذى قضى عليه اعداءُ النور بالعذاب المرير ، ولا عيب فيه ، ولا ذنب أقترفه ، إلا انه حمل النور الى البشر وهكذا يجازى حملة المشعل الالهى .

اننى اذكر عنه ايضاً فى هذا الموقف انه كان خير مبعوث لنا نحن المصريين وللكنيسة القبطية الارثوذكسية بنوع خاص ، بل كان سفيرنا المصرى غير المتوج فى كلّ مكان حل فيه .

ذهب مندوباً عن الكنيسة القبطية الارثوذكسية فى مؤتمر ادنبره ، وكان الناس ينتظرون انهم اذا رأوا شخصاً بتلك الملابس التاريخية التقليدية السوداء ، رأوا انساناً لايعرف إلا العربية أو اللغة القبطية ، ولكن فى مؤتمر ادنبره ، وقف هذا الرجل الذى لم يكن عملاقاً كما كان شاول ، بل كان رجلاً مقداماً فصيحاً متيناً ، يتكلم اللغة الانجليزية ويكتبها كأحد أبنائها ، وقف فى وسط مؤتمر ادنبره ، وكان ذلك المؤتمر غاصاً بالمندوبين ، وجابههم بالقول : أيها القوم بل أيها المرسلون ، انتم تقولون ان المسيح أقام ابن أرملة نايين ، وهذا حقّ ، ولكن اياكم أن تنسوا أيها المرسلون انه بعد أن أقام ابن أرملة نايين ، « ردَّ الصبى الى أمه » فاذا جئتم الى بلادنا ، وبشّرتم وناديتم وخلّصتم النفوس ، فايّاكم ان تنسوا ان تردّوا الشباب المخلص الى أمه الحنون وكنيسته الأولى ، فدخل كلامه هذا الى سويداء قلوبهم من غير استئذان .

فلم ترسل مصر ــ ولعل مصر لاترسل ــ سفيراً أو مندوبا عنها ، مثل السفير المتواضع الوديع القلب ، الذى كلّما حل مكاناً كان لمصر العزيزة خير سفير .

دعوته مرّة الى الكنيسة التى شرّفنى الله برعايتها لكى يقول كلمة فى يوم عيد الميلاد ، وفعلا جاء اليها وقال كلمة مدوية فعّالة فانطلقت فى البلاد « قبلة » ، « لقد مضى القمص ابراهيم لوقا الى كنيسة ابراهيم سعيد وسوف يصبح بروتستانتياً » ، وتألّب بعض الناس عليه ولكن فى لحظة ما كان يدرى بها أحد ، جاءت برقية من بلاد أثيوبيا ، تقول ان جلالة امبراطور أثيوبيا أنعم على الايغومانس ابراهيم لوقا بنيشان رفيع ، فقيل لهم اسكتوا ياقوم لأنكم إذا حكمتم عليه ، حكمتم على أنفسكم ، وانتزعتم من بلادكم ، ومن كنيستكم ، ألمع جوهرة هى جوهرة الكنيسة الاثيوبية وبها يتألق تاج الكنيسة الارثوذكسية المصرية منذ القدم .

هذا هو الرجل الذى كان فى ذاته رجلاً بسيطاً ، فلم يكن مطراناً ، ولم يكن بطريركاً ، ولكن أمام بساطته ، كان ينحنى اجلالاً ، امبراطور اثيوبيا ، هذا الرجل اذا مامضى يوما الى سيادة الاسقف جوين ، أو سيادة الاسقف ألن ــ الموجود معنا الآن ــ قدّم له كل اجلال وكل احترام ، لأنه رجل عرف كيف يكرم نفسه ، وارغم الآخرين كيف يكرمونه ، وكيف يكرمون كنيسته فيه .

التقيت به مرة فى وزارة الداخلية ، فقال لى : « لماذا جئت ؟ » قلت : « نستصدر أمراً ملكياً ببناء الكنيسة التى نريد أن نعبد الله فيها » قال : « أتريد منى مساعدة » ؟ قلت له « أشكرك لأن فضلك على العين والرأس » . ثم دعوته ليأتى معى الى البيت ، لكى يستريح قليلا . فقال لى « اتركنى لأن لدى مسؤوليات عديدة ينبغى علىّ ان أتممها » فقلت له « وما هى المهام التى أمامك ؟ » . وأخذت منه على رغم ارادته مفكرته اليومية وتصفحتها عن كثب ! . فماذا وجدت فيها ؟ ــ اغاثة عائلة نكبها الدهر وهى مستورة عن العيون ــ وسعى لدى وزير لانصاف شاب مظلوم ، والسعى لالحاق شاب باحدى الوظائف فى احدى الشركات ، وسعى لدى وزير الداخلية لاستصدار مرسوم ملكى لبناء الكنيسة القبطية الارثوذكسية بالمندرة .. وان مضى زميلنا وصديقنا الى المجد ، وذلك المرسوم لم يصدر بعد ، فلا بد أن يصدر ، لان سعيه سوف يرى ولابد ان سعيه سيكون مشكوراً ، فقلت له : « ياأخى ويازميلى وياأبى . أنت رحيم بالكل لكنك قاس كل القسوة على نفسك . فارحم نفسك ، وارحم شبابك ، وارحم رجولتك وارحم اسرتك » . فقال لى : « لارحمة لى إلا فى المكان الذى استطيع ان ارحم فيه انسانا ، ولا شفقة عندى إلا فى المكان الذى أستطيع فيه ان اغيث ملهوفا ، ولا تاج لى إلا حيث اقدّم خدمة لانسان فى مسيس الحاجة الى الخدمة ، فلست انا ملكا لنفسى ، لكننى ملك لربى وفاديّ فى خدمة أخوتى » .

وفى آخر مرة التقيت به فيها ، كنا فى جمعية اتحاد الكنائس فى بيت سيادة المطران ألن ، فاستقبلنى والبشر طافح على محيّاه ، ولكن الداء كان يأكل قلبه فى الخفاء ، فمدّ يده اليّ وقال « هنئنى » قلت له : علام اهنئك مع انى على استعداد ان اهنئك باستمرار ؟ قال : « لاننى اشتريت ثالث بيت على مقربة من الكنيسة لنقيم منه ناديا لشباب الكنيسة » .

قلت له : « بارك الله فيك وفى مجهودك ياأخى فأنت لاتجمع مالا لولد ، ولا لغير ولد ، ولا تبنى عقاراً لانسان من أقاربك ، ولا ممّن تربطك بهم صلة الرحم » . قال لي : « أتقول هذا وأنت لاتدرى ان كل شباب مصر الجديدة هم أولادى وبناتى ؟ » قلت له : « هنيئا لك هذا ياأخى فقد تمّ لك قول الكتاب من ترك ابا أو اخا أو أخوة من أجلي فسيرث فى هذه الحياة مئة ضعف وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » .

غالبا جداً لم تشعر السماء أخيراً بفرح قدر الفرح الذى شعرت به يوم انطلق ابراهيم لوقا رجل الله الى السماء ، فاننى اقول ان انطلاق ابراهيم الى السماء كان اكبر ربح للسماء ، وللملائكة . فهنيئا لملائكة السماء ، برفقة رجل طيب قديس وقور ،عفيف ، نزيه اليد ، نزيه اللسان ، نزيه القلم ، نزيه الفكر ، فمع انه كان يبغى الاصلاح ، إلا انه لم يبلغه على حساب أحد ، ومع انه كان يريد أن يبنى لكننى لم أره يوماً من الأيام يهدم ، فهنيئا له هذا الجوار المقدس ، جوار الله لذلك اسمعه مناشداً إياكم بهذه الابتسامة الحلية الطاهرة ... وهو يشارفنا من علاه فى المجد .

« يازملائى ، رجال الدين : لاتتركوا رسالة الاتحاد ، التى بدأت بها ، ويابنائى وبناتى من اعضاء كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة : اياكم أن تنسوا رسالتى ، فعليكم ان تكملوا هذه الرسالة وأن تحملوا هذا المشعل من بعدى بعد أن سقط من يدى .. »

وأنت ايتها السيدة ، وذريتك التى من بعدك ، لقد قرر لك الله أن تتحملى هذا الألم ، ولكن الله رفعك فجعلك شريكة هذا الرجل العظيم ، ولو أنه دخل السلك الحكومى لكان فى مقدمة وزراء الدولة ، ولكنه وضع عليه رسالة ، فمن واجبك أن تؤدى هذه الرسالة ، وأن ترفعى العلم الذى سقط من يده فى الميدان ..

فان آلمنا انتزاعه منا ، وفقدان جسمه عنا ، فما هذه إلا صور ، فان مضى عنا جسمه الفانى فقد بقى لنا ذكره الباقى ، والناس سير .. عزاؤنا فيه انه لم يمت ، انما لبّى النداء .. فى المرّة الأولى حين دعاه الله خادماً اليه على الأرض ، وفى المرّة الثانية حين دعاه الى خدمته فى السماء .. فقال هأنذا فى المرّتين .

ابراهيم لوقا

« تعريب الكلمة التى ألقاها سيادة الاسقف ألن بحفلة تأبين جمعية التوفيق »

انى ابعث بعزائى الخاص وعزاء كنيستى الأسقفية الى عائلته كما الى الكنيسة القبطية والى اعضاء الكنائس الأخرى لأننا نقدر جميعاً الخسارة الجسيمة التى نشأت عن انتقاله من وسطنا .

وانى أودّ أن احدثكم أولاً عما كتبته فى مجلتنا التى يقرأها أعضاء الكنيسة الأسقفية بمصر وأثيوبيا وعدن وكثير من أعضاء كنيستنا بانجلترا الذين يهمّهم العمل بمصر .

لما كتبت رسالتى لعدد يناير سنة ١٩٥١ كنت قد سمعت تواً عن انتقال « ابراهيم **لوقا » فكتبت مايلى :**

كان « **ابراهيم لوقا** » هو الشخص الذى له روح القداسة المسيحية ، وهذا هو السبب الذى أهّله لأن يكون فى مركز القيادة ليس فى كنيسته القبطية فحسب بل فى بناء الاتحاد بين الكنائس المسيحية . عزاؤنا نقدمه الى عائلته وكنيسته القبطية واننا لنشعر بأن خسارتهم هى خسارتنا فى كنيستنا وفى جميع الجهود التى تبذل للتعاون بين الكنائس .

فى السنين القلائل التى قضيتها فى مصر تعلمت كيف أقدره واحترمه ، وكم أعجبت بشجاعته وحكمته ، قد يختلف البعض معه ولكن أحداً لن يخطىء فى الشعور بأنه يتكلم ويعمل باخلاص ويقين عميقين فى خدمة ربنا يسوع المسيح ، وأشدّ ما أعجبنى فيه ما يمكننى أن أسميه شخصيته الفياضة بالنعمة ، تلك النعمة التى تظهر على أولئك الناس الذين يعيشون فى عمق السلوك فى المسيح ويتنسّمون نعمة روحه القدس ، ففى أشد أوقات متاعبى الروحية كان لى بين الرجال القلائل فى الكنائس الذين اسرع اليهم ملتمساً عزاء ونصحاً وارشاداً .

لقد كان له عملاً أساسياً فى بناء وحدة الشعوب المسيحية التى لأجلها صلى الرب نفسه ، نظراً لعمق الروح التى كانت له فى المسيح والتى هى أسمى وأجل من مظاهر التقليد الخارجية .

قد يظن البعض ان وحدة الكنائس لاتأتى إلا عن طريق انضمام باقى الكنائس الى نظامهم لانهم هم المحقون وحدهم ، غير ان البعض الاخر تأتى اذا تم الانفاق فى التعاليم المسيحية الأساسية بغض النظر عن اختلاف مظاهر العبادة الخارجية ، ولا أظن شخصياً أن رغبة السيد ستتحقق عن طريق اى من هذين المعتقدين ، وانما يجب ان نتحد جميعاً فى العمل والصلاة من أجل اتساع الوحدة فى المسيح — وهو سيدنا وربنا الأوحد — الذى نقدم له خدماتنا المختلفة ففى الوقت الذى يجب فيه أن نحترم ونحافظ على ماتسلمناه بحسب تقاليدنا المختلفة يجب أن نحترم أيضاً تقاليد الآخرين وأنى متيقن ان هذه كانت وجهة نظر القمص ابراهيم لوقا .

لقد كان أميناً ومخلصاً من كل ناحية لعضويته فى الكنيسة القبطية وكان له فى كل طائفة أصدقاء كثيرون ، وكان يقدر ويحترم مايعزه الآخرون من تراث ، وهذه هى الروح التى بها سنتعاون سوياً على التفاهم حتى يأتى اليوم الذى تجد فيه الكنيسة وحدتها فى المسيح .

سوف لانبكى القمص ابراهيم لوقا لأنه مع السيّد الذى خدمه ، وحين نفكر فيه دعنا نذكر كلمات بولس عن نفسه والتى نستطيع ان نقولها عن كل من يموت فى المسيح « لي اشتهاء ان انطلق واكون مع المسيح ذاك أفضل جداً » فليبى ١ : ٢ و ٣ ومن جهتنا نحن فاننا سنشعر بالحزن العميق والخسارة الجسيمة لغياب صديق عزيز وانى متأكد أن رغبته هى ان نقوم بحمل رسالته واتمام عمله .

الصلاح ... والاصلاح ...

كلمة مكرم عبيد باشا

فى جناز الأربعين بكنيسة مار مرقس بمصر الجديدة

لست وايم الحق ادرى من هو الأولى بالرثاء .. هل هو الميت الذى يفنى الى بقاء .. أم هو الحى المغمور والمأخوذ بالحياة الذى يحس انه يبقى الى فناء .

ولما كنا قد فقدنا رجلا وأى رجل .. هو مثال الورع والتورع — الاب ابراهيم لوقا — فانى اسائلكم واسائل نفسى من منا الأجدر بالرثاء ؟.. هل هو الفقيد الكريم الذى شاء له الله فى رحمته أن يموت عن هذه الديار الباقية ؟..

أم هو هذا الشعب المسكين الذى خسر رجلا من كبار المصلحين يعز عليه ان يفتقده ، فلا يجده بل يعز فيه العزاء !..

أى وربى ، فلقد فقدنا فى الراحل العزيز رجلا من رجال الدين ، حسبه فخراً وذكراً انه استطاع ابان حياته ان يضرب المثل حياً وعملياً ، على ان الدين هو المثل الأعلى لدنيانا ، وان الفضيلة فى الدين هى السبيل الى الفضل فى الدنيا !..

ذلك الفضل الذى به نستعين ، نحن الذين ابتلينا بشرور الحياة الدنيا على مقاومة بلوانا والانتصاف لشكوانا ..

ولعل الفضل أبرز الفضل الذى تميّزت به شخصية الفقيد رحمه الله ، انه كان لنا فى الدين أباً ، وفى الدنيا أخاً .. فعلّمنا ان الدين سبيلنا الى الدنيا ، سبيلنا الى الدين ، ما عشنا وما حيينا .. وان الدين ماهو إلا المدرسة الحية والخالدة التى نتعلم فيها نحن الاحياء ان الله حى فينا .

ولا أرانى فى حاجة الى تحليل شخصية برزت للناس عناصرها ، وقد تعددت فى الخير مظاهرها ، وهى مظاهر الصلاح والاصلاح فى وقت معاً .

فمن الناحية الوطنية ، كان الفقيد من أكبر المؤمنين بالوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين من أبناء هذا الوطن .

وحسبكم ان تقرأوا كتابه « المسيحية فى الاسلام » لتتبينوا كم هو عميق ودقيق فى تفهم الدين بأسمى معانيه ، وان الايمان بوحدة الله لايكفى فيه ان نوحد الله ، بل يجب أيضاً ان نتوحد فى الله .. كما ان الايمان بوحدة الوطن لايكفى فيه مجرد الوحدة فى الجنس بل الوحدة فى الشعور — والشعور الأوحد والموحد هو الذى يجمع بيننا فى الحرية والاخاء والمساواة أو قولوا الحرية من تحكم الاجنبى والاخاء الوطنى فى المحبة والمزاملة ، والمساواة فى المعاملة .

ولم يكتف الفقيد الكريم بالعمل للوطن داخل حدوده ، بل امتدت به الغيرة الوطنية الى خارج الحدود . فكان من أول العاملين على التقريب بين مصر وأثيوبيا ، وتوثيق العلائق الوطنية والدينية بينهما ، حتى انه سافر الى انجلترا فى سنة ١٩٣٥ وألقى خطاباً رائعاً أمام النواب البريطانيين فى ٢٢ يوليو ١٩٣٥ تأييداً للقضية الاثيوبية .

وفى ٢١ اغسطس ١٩٣٧ زار الفقيد جلالة الامبراطور هيلاسلاسى فى لندن ، وقد شكره جلالته على صادق شعوره نحو الاثيوبيين ، اذ كان لهم بمثابة الاب العطوف فى وقت محنتهم ، وغربتهم اثناء الحرب الايطالية .

ولما وفق الله امبراطور اثيوبيا والشعب الاثيوبى الى استرداد مكانتهم الدولية واستقلالهم ، سافر الفقيد المثلث الرحمات الى اديس ابابا بدعوة من جلالة الامبراطور فى ١٧ يناير ١٩٤٩ ، وقد نزل ضيفا على جلالته طوال هذه الزيارة ، التى أنعم عليه فيها جلالتة الامبراطور بنيشان نجمة اثيوبيا ، تقديراً لجهوده المثمرة فى التوفيق بين الكنيستين والبلدين .

أما جهود الفقيد فى الاصلاح فهى تجل عن الحصر ..ولو لم يكن له إلا مأثره إنشاء هذه الكنيسة الكبرى فى مصر الجديدة على أحدث وأروع مثال لكفاه من انشائها ذكراً .

رحمه الله حقـــاً ....

للاستاذ مسعد صادق

هوى الطود بالأمس بعد ما ناء ، بل ضاق به عالمنا هذا .. فانتقل الى السماء !!

لهفى عليه وهو يغالب أسقام الجسم بعد ماتغلب على أسقام النفس ، لقد كانت نفساً كبيرة حتى تعب فى مرادها الجسم !!

لهفى عليه وهو يتقدم الى اللانهاية فى خطوات وئيدة كأنه يستمهلها الى أن يهدأ باله ويطمئن خاطره على كنيسته وشعبه .

لقد رحمه الله ، مما كان يرى بعينيه كل يوم من عبث اولئك الذين يتسللون الى البناء الذى شيده وأراده حصناً للكنيسة ، فاذا به يراه وقد انقلب وكراً للمتألبين على الكنيسة !!

رحمه الله من الاصدقاء قبل الخصوم ! ومن القريبين قبل البعيدين ! ومن الذين يلثمون يده قبل ان يشيحوا بالوجه عنه .. !!

رحمه الله من التحرق على القيم الاخلاقية وهو يراها تنحدر بأيدى القوّامين عليها ! ومن التحسر على رسالة الدين ينال منها بعض المسئولين .

رحمه الله من هذا كله ، ومن هؤلاء جميعهم .. وأخيراً رحمه الله من ذلك الجسد الفانى الذى طالما ناء بما حملت نفسه الكبيرة .. !

رأيته آخر ما رأيته ، منذ شهر واحد ، فى جمعية أصدقاء الكتاب المقدس ، أقبل علينا وهو أوفر ما يكون صحة ونشاطاً وما كاد يلمحنى الى الصديق الاستاذ عياد حتى انفجرت اساريره عن فرحة صافية نقية وتقدم الينا وهو يجهش ويحيّى ويشدد القوى والعزائم !!

ولم أكن ادرى انه آخر لقاء ، ولكننى كنت أجدنى مقبلاً عليه بكيانى ووجدانى ، واستملى البصر طويلاً من محياه ، كأننى لم أره من قبل .. أو كأننى لن أراه بعد .. ولم اعرف إلا بالأمس .. لماذا كنت أحدق فيه البصر هكذا .. لم أعرف إلا بعد ما نعى الناعى .. القمص ابراهيم لوقا ..

كانت لحظة قصيرة جلسناها سوياً ، مرت كأنها فى طرفة عين ، ولكنها كانت مليئة بالقوة والحياة وهكذا كان يصنع القمص ابراهيم دوماً وفى كل مكان ، يبعث القوة ويضاعف فى الحياة .. حتى نضب معين القوة .. ونضحى بالحياة ..

كان يواجه فى كل يوم ، وفى كل مكان ، ومن كل عتاباً ، عتاب الخلصاء الذين استجابوا لدعوته فى تشييد بناء العهد الحالى ، حتى اذا تم البناء لم يجد الخلصاء فيه مكاناً ، بل لم يجد هو أيضاً مكاناً فيه ، وكان يتقبل العتاب فى صدر رحيب ، أما هو ، هو البرىء الحسن النية .. فعلى من يعتب .. وهل يفيد العتاب .. !

لقد كان كل ذنبه أنه أحسن النية ، وان كان قوى الرجاء ، فخاب الرجاء .

وفى اللقاء الأخير ، ما كاد ينتقل الحديث الى الشكاوى من إفلات زمام المسئولية حتى رأيت الدموع تترقرق فى عينى القمص ابراهيم ، وما لبث ان اجهش بالبكاء فى صوت عال وهو يردد عبارات ينسب بها الذنب الى نفسه ، كأنه يعاقب نفسه بنفسه .

ويعلم الله انه ما اذنب ، وما أساء لقد كان ينشد الخير لكنيسته ، وكان يتلهف الى اليوم الذى يرى زمامها فى أيد حكيمة ساهرة نقية متفانية ، وكان يؤمل الخير ، ولكن ما لبث أن تبدد الأمل وتلاشى وما كان يتوقع انه سوف يتبدد أو يتلاشى ؟!

ومنذ ثلاثة شهور ، ما كاد القمص ابراهيم لوقا يعلم وهو فى مصيفه بجبل عتاقة ان تحقيقاً يجرى معى فى نيابة الصحافة بشأن ما أكتب من دعوة الى النصفة والمساواة ودفاع عن الاقباط المضطهدين حتى كتب رحمه الله رسالة لعل قراء « فى الصميم » ما زالوا يذكرون عباراتها التى تفيض غيرة وعزيمة وإيماناً ..

وكان رحمه الله يوالى السؤال والاستفسار ، حتى اذا علم بقرار حفظ التحقيق بادر فأرسل الىّ مرة أخرى مهنئاً مؤيداً .

ما أكبر الخطب الذى رزىء به الشعب بالأمس ، انه لم يفقد راعياً فحسب ، بل فقد صدراً رحيباً طالما احتمل الآلام وفقد يداً رحيمة طالما مسحت الدموع . ان العزاء ليكبر فيه ، إلا من رب العزاء .

الفاجعة

« داود بعد ان خدم جيله بمشورة الرب رقد » أعمال ١٣ : ٣٦

كلمة الدكتور نصيف سيدهم سكرتير مجلس كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة

قد غاب عن سماء الكنيسة نجم لامع من نجومها وانطفأ من جنباتها سراج منير ، ونكّس علم من أعلامها المرفرفة فى ربوعها ، ففقدت الكنيسة بوفاته زعيماً من زعماء الاصلاح الذين قلّ أن يجود الزمان بأمثالهم ، وعالماً جليلاً من علماء اللاهوت الذين توافروا على دراسته دراسة وافية ، حتى أصبح بحق معلّم الكنيسة الأول فى حل معضلاته ومشكلاته ، وجهبيذاً من جهابذة القوانين الكنسية ، وباحثاً ومنقبا فى زوايا التاريخ الكنسى حتى انه كان يستشهد بالحوادث التاريخية فى مناقشاته بقوة الذاكرة التى تحوى فى ثناياها المجلدات الضخمة التى استوعبها وهضمها فاندمجت فى خلايا مخّه اختلاطا وامتزاجا لا انفصام له ، وواعظا قديراً طالما هزّ المشاعر الراكدة وأيقظ الضمائر النائمة ، مبكتا بحنان الأبوة ، راسما لهم برقة الراعى الأمين طريق التوبة ، وفاتحاً أمامهم آفاق الغفران ، ولطالما ربح بعظاته أنفسا كانت ضالة ومنغمسة فى حمأة الرذيلة ، ولطالما انتشل بسحر بيانه نفوسا كانت قابعة فى هوّة الخطية تنتظر كلمة الخلاص من راع له قوّة جنانه وسحر بيانه ، طالما هزّ المنابر هزاً فى الدفاع عن الكنيسة وكرامتها ومجدها ، ولم يكن مجهوده محصوراً فى مصر وحدها بل شقّ له آفاقا أخرى فيما وراء البحار عندما انضم الى المؤتمرات العالمية الدينية ، فكان مجاهداً كبيراً وعلما خفاقا أنصف كنيسته وسط المؤتمرات الدولية بخطب رنانة باللغة الانجليزية التى كان يخطب بها بطلاقة وفصاحة حتى خلب لب مندوبى كنائس العالم ووجه أنظارهم نحو أقدم وأمجد كنائس العالم ، وانى لأذكره يوم وقف وأراد ان يشرح معتقدات الكنيسة فقيل له ان المؤتمر لا يبحث فى معتقدات المذاهب ، فلم يضعف وأخذ يدفع قولهم بالحجة الدامغة تتلوها الحجة الدامغة حتى ارغم المؤتمر على سماع صوت الكنيسة يتجلجل من فوق منبر المؤتمر ، فاستحوذ على ألبابهم وقرروا ان تطبع خطبته وتوزع على اعضاء المؤتمر ، ولا أنسى خطبته الرنانة فى مجلس العموم الانجليزى ملفتا أنظار نواب بريطانيا الى مركز الكنيسة فى التاريخ كأقدم وأمجد كنيسة بل معلّمة الكنائس كلها ، وما أشبهه بحامى الايمان القديس اثناسيوس الرسولى البطريرك العشرين فى جهاده وقوة حجته وصلابته فى عقيدته .

منذ بضع سنين حلّت به أزمات ماليه ومرضيه وكان صندوق كنيسة مصر الجديدة — اذ ذاك — يعانى ازمة مالية فعجز عن دفع مرتبه الشهرى ستة شهور ، وكان قد انشأ حينذاك صندوق الرحمة يجمع له التبرعات من الخيرين لدفع الكوارث عن الاسر المنكوبة بطريقة سرية حفظا لكرامتها من الامتهان ، وكان صندوق الرحمة يشكو ازمة وكان رحمه الله يداين الصندوق رغم مايعانيه من أزمة . وفى يوم من الايام وصل اليه شيك من مجهول

من السويس بمبلغ ثلاثين جنيها فظن رحمه الله أن الله قد فرّج أزمته بهذا المبلغ الذى يداين الصندوق بضعفه ، ولكن سرعان ماوفد اليه ربّ عائلة محجوز على أثاث منزله بمبلغ ثلاثين جنيها فما كان منه ألا ان أحنى رأسه وقدم المبلغ الذى كان يأمل ان يفرج به أزمته الى ذلك الرجل الذى لولا هذا المبلغ لبيع أثاث منزله ولافترش الأرض وشرد هو وأولاده ، وأما الحادثة الثانية فهى أبلغ فى الدلالة على مبلغ زهده فى المادة الى درجة الايثار ، ففى أثناء مرضه الأخير وقبيل نياحته بأقل من اسبوع كان كل ما فى جيبه جنيهين وفد الى منزله شاب رقيق الحال وطلب مقابلته فقيل له أنه مريض والأطباء يحرمون عليه مقابلة أحد فألح فى المقابلة ، فلما علم رحمه الله بذلك أمر بادخاله عليه واختلى به لحظة خرج الشاب على اثرها . وعلم أفراد العائلة بعدئذ انه أعطى كل مافى جيبه لهذا الشاب وقال لأفراد عائلته هذا الشاب سوف تعيش اسرته بهذا المبلغ بقية هذا الشهر . سقت هذين المثلين لأدلّل على زهد هذا الراعى الأمين واحتقاره للمادة فى وقت هو احوج مايكون اليها .

فقدت الكنيسة بوفاته راعياً جريئاً فى الحق يعلنه على رؤوس الاشهاد غير عابىء بوعد أو وعيد يعلنه على الكبير كما للصغير ، لايرعى فى اعلانه إلا ضميره ، اعلاء للحق وتمجيداً للحق .. شغل منصب وكيل البطريركية ردحاً من الزمن وحاول أن يصلح من أمورها ماعوج ، فلما عجز عن اصلاحها صارح غبطة البطريرك بخطاب رسمى ولم يكتف بذلك بل نشر خطابه على الملأ فى مجلة اليقظة وسيف الشلح مسلط على رأسه وانى أشبهه فى هذا الموقف بيوحنا المعمدان الذى وقف فى وجه هيرودس الملك وقال له « لايحق لك » وبأيليا النبى الذى وقف فى وجه آخاب الملك وقال له « يامكدر اسرائيل » .

ويكفى أن تلقى نظرة فاحصة على مكتبته لتجد كتبه ومجلداته ومذكراته ومؤلفاته منسقة تنسيقا بديعاً بيد فنان ماهر . فما أن تحدثه عن أى موضوع لاهوتى أو كنسى ألا ويمد يده ليقدم لك ماتريد من المراجع ، والذى يدهشك ان تعلم ان عظاته التى ألقاها فى الثلاثين سنة الماضية كلها مدونة جملة وتفصيلاً ، وهى ذخيرة ثمينة ستموّن مجلته (اليقظة) بمادة تضمن لها حياة حافلة بالنشاط والتقدم .. بل تعال معى الى كنيسته التى تعهدها بهذه العبقرية الفذّه حتى أضحت تحفة فنية فى العظمة والرواء ، وأصبح نظام العبادة فيها مضرب الامثال فى الدقة والترتيب ، ولا يستغرب القارىء اذا علم ان نصف الاكاليل فى منطقة القاهرة كلها يعقد بكنيسة مصر الجديدة .

لقد فقدت فيه الكنيسة حبراً جليلاً كان محط أنظار جميع الطوائف ويشغل المكان الأول المرموق بين زعماء المسيحية فى مصر فى كل مايمس المسيحيين والمسيحية ، ولا أعدو الحقيقة إذا ماقلت انه كان محلّ الاعتبار والاحترام عند مواطنينا المسلمين .

لقد عاش الفقيد رحمه الله عيشة المسيحى الحقيقى الكامل ، والكاهن الفاضل والراعى الصالح ، ورب الأسرة الحدوب الحنون . ثم انه ــ كتلميذ وفىّ للسيد معلمه

ــ كان يحمل صليبه فى كل مرحلة من مراحل حياته شجاعاً جلوداً فى غير ضعف ولا ملل .

على ان هناك ناحية اخرى من حياة الفقيد العزيز قد لايعرفها سوى إلا القليل ــ هى التى حفزتنى الى ايفائه بعض حقه علىّ وعلى الطوائف المسيحية جمعاء فى هذا البلد الأمين .

فالى جانب نشاطه الفذ فى جميع النواحى كان رحمه الله عضواً فى لجنة اتصال الطوائف . بل استغفر الله كان أحد مؤسسيها ، منذ ست سنوات ونيّف ــ علماً منه ان المرء قليل بنفسه كثير باخواته ــ وان وصلنا الى شىء من حقوقنا الطائفية المغموطة ــ أقرب التحقيق والنوال فى التعاون معاً منه فى السعى منفردين ــ كل منا مستقل برأيه وشعبه .

وفى الواقع لقد خلّف لنا رحمه الله تراثاً عظيماً فى هذا الصدد ــ اذ انه ــ جرياً على دقته ونظامه فى العمل ، انشأ سجلا خاصاً لكل مسألة من مسائلنا الطائفية الحيوية ولست أرانى بحاجة الى سردها فهى كثيرة .

أخص بالذكر منها مايلى : التعليم الدينى ــ بناء الكنائس ــ المحاكم الملّية ــ تغيير الدين ــ الخدمة العسكرية واعفاء المدارس الاكليريكية ورجال الاكليروس منها ــ وتوحيد الاعياد الرئيسية بين الطوائف ــ عدم التميز فى الوظائف العمومية ــ اشاعة حسن التفاهم فى الصحافة الطائفية ــ العدل فى الاذاعة العامة ــ وعشرات المسائل غيرها من هذا القبيل .

فما اجتمعنا مرّة فى اللجنة أو فى منزله أو فى مكان آخر إلا كان أحد هذه الأمور مدار بحثنا ، وكلها كما ترون حضراتكم فى الدرجة الأولى من الخطورة والأهمية . لانها انما تنطوى على الدفاع المشروع ــ الدفاع المستطاع عن مصالحنا المشتركة وعقائدنا المقدسة ومستقبل حياة ابنائنا بل مستقبل الكنيسة المسيحية عامة .

وفى الحق كانت الغيرة المسيحية المتأصلة فى نفسه تدفعه ــ كما كانت تدفع آباءنا الأولين من قبل ــ الى بذل كل جهد . دؤوباً نحو الغايات السامية التى توخاها ولو أفنى فى سبيل تحقيقها ذوات العدد ولو أضنى صحته وضحى بحياته .

فهو المؤمن قولاً وعملاً ، الذى ينطبق عليه بحق قول السيد المسيح من أراد ان يخلص نفسه فليهلكها » بل لقد صدق فيه رحمه الله مثل صاحب الوزنات الأول وصحت قوة الآية الكريمة المطبوعة بحق على صورته التذكارية .

« نعما أيها العبد الصالح والأمين كنت أميناً فى القليل فاقيمك على الكثير ادخل الى فرح سيدك »

دكتور
نصيف سيدهم

اليقظة

للاستاذ عبد الشهيد يس المحامى

اسمى مجلته اليقظة فكانت عنوان حياته وكفاحه وما ينشده لكنيسته وشعبه .

وهى عنوان حياته لانه كان يقظاً طوالها ناظراً الى ما للحياة الطاهرة النقية السائرة فى خطى المسيح من نجاح روحى وراحة ضمير ، فعاش عف القصد واللسان واليد صاحياً ضد عوامل الشر ، مقاوماً لتجارب ابليس سواء فى صحته أو فيما قابله من عقبات .

عنوان كفاحه لانه كان يقظا لايهدأ اطلاقاً مثابراً مواصلاً ليله بنهاره فى كفاح لايني وصبر لاينفذ .

عنوان ما يرجوه لكنيسته لانه كان يقظاً فى العمل لما فيه مصلحتها أو رفعة شأنها ، فهو فى كل ناحية اصلاحية فى الصدارة بل ويمكننى ان اقول باطمئنان انه كان دائماً الموحى بالفكرة ، المستنهض الهمم ، الموقظ المقوى للنفوس الضعيفة ولا اكون مغاليا اطلاقاً ان قررت فى ايمان وثقة انه كان المدافع الأول عن عقائد الكنيسة وتقاليدها ..

ويكفينى ان اذكر أن آخر عمل له فى هذا الشأن كان فى نوفمبر ١٩٥٠ أى قبل مرضه مباشرة وهو مفاوضته مع أقطاب الكنيسة اليونانية فى شأن الخلافات المذهبية ، وبعد ان اقتنعوا بوجهة نظره المؤيدة لتعاليم الكنيسة القبطية الارثوذكسية رفعوا لرئاستهم الدينية تقريراً يتضمن الموافقة الشاملة على ماتتجه اليه كنيستنا من معتقدات ومبادىء ، ومن هنا يتضح مبلغ ماوصل اليه معاندوه من بعد عن الخلق المسيحى الكريم فيما كانوا يشيعونه عنه فى هذه الناحية وكان أولى بهم ان يعاونوه لا أن يحاربوه .

لقد كان مع ايمانه العميق بتعاليم الكنيسة القبطية الارثوذكسية وشدة دفاعه عنها يرى بحق ان هذا لا يتعارض مع قوة صلته برجال المذاهب الأخرى ، بل ان ذلك يدفعه بالأولى الى ان تتوثق صلته بهم وبرجال الاديان المختلفة حتى يتمكن بقوة حجته وعمق ايمانه ان يكسبهم لرأيه .

ان كل من قرأ كتابه « المسيحية فى الاسلام » يقر تماماً بانه لاتعارض بتاتاً بين قوة الايمان بالدين والتمسك به وبين المجادلة بالحسنى والمناقشة الهادئة التى ترغم الغير على تقدير وجهة النظر حتى مع عدم التسليم بها ، ومن هنا جاء احترام اخواننا فى الوطنية لمؤلف هذا الكتاب وفى مقدمتهم أئمة الدين الاسلامى اذ كان كتابه ومازال مثالاً رفيعاً قل أن يجاريه شخص فى قوة المعارضة مع سلامة المنطق وسموّ المناقشة .

هكذا كان شأنه دائماً يقظاً فى الدفاع عن كنيسته وانى اوردت مثلين وعتهما الذاكرة الآن .

واخيرا كانت اليقظة عنوان ماينشده وما أحبه الى المنتهى..

كان يقظاً فى هذه الناحية يقظة مملوئة بالعمل والأمل ، حاول الاصلاح مهما كانت العقبات لانه كان قوىّ الايمان بربّه وبكنيسته ، فكافح وناضل رغم تخلف الكثيرين من

حوله مؤثرين الراحة ، راحة اليأس والتسليم ، كان يقول ان التلاميذ عندما رأوا السيد المسيح على خشبة العار والذل حسبوا ان الأمل المرموق لهم فى ملك أرضى زمنى قد خاب بموت زعيمهم ولكن هذه الخيبة وذلك الفشل انبتا لهم ملكا روحياً شمل العالمين السماوى والارضى ، لقد شع النور فى جميع الأرجاء ، فكانوا ملوكاً وكهنة لملك واسع أبدى ، هذا ما كان يقوله صاحب اليقظة لمن حوله ممن يعملون فكانوا ينهضون ويثمرون .

وهكذا كان يقظاً ويقظته يعوزنى الوقت والذاكرة عن الالمام بشتى نواحيها . يقظة نحو شعبه فى مصر الجديدة ويقظة للشعب القبطى عامة .

اقتطف منها ما عمله جاهداً فى أربع نواحى لها قيمتها الأولى هى ناحية الشباب اذ كون لجنة تعمل للخدمة بين الشباب الجامعى والثانوى لتدريس الدين لهم مع ايجاد نهضة قومية حقيقية بينهم ، وهذه اللجنة توالى عملها فعلا ، والثانية هى اقامة ناد قبطى عام يضم شتات الاقباط يبحثون فيه مشاكلهم ويوحد بينهم ليعبّر عن أمانيهم .

والثالثة هى الجريدة القبطية التى تدافع عن مصالح الأقباط خاصة والمسيحيين عامة ، على ان تكون قومية وطنية تدافع عن حقوق البلاد واستقلالها ، وقد قارب جهاده فى هذه الناحية ان يصل الى نهايته فى التوفيق اذ وجد أن المتولّين أمر جريدتنا « مصر » يقفون معه فى الغرض والسبيل .

وأخيراً علاقتنا بأثيوبيا تلك البلاد العزيزة التى أحبها وعرف اخلاص شعبها للكنيسة القبطية وقدر ان المعاملة الطيبة والصلات الودية لابد ان تؤدى الى توثيق العلاقات .

ثم ناضل حتى وصلت الكنيستان الى اتفاق عادت الأمور بعدها الى مجاريها ، وحاول بعد ذلك حتى فى اثناء مرضه العمل على ارسال شبان اقباط لتلك البلاد فى بعثات اجتماعية طبية وكاد ان يوفق لولا ظروفاً خارجة عن إرادته ، ومع ذلك لم ييأس فاستمر فى كفاحه حتى يوم وفاته .

اليك يارجل الله وقد توجّت بأكليل المجد نرفع اليك عواطفنا ضارعين الى الله ان ينيّح روحك الطاهرة فى فردوس النعيم ، وان يسكنك مساكن الابرار الصديقين .

كان عظيماً

للاستاذ ناشد لوقا

أرأيت قطعة الماس الثمينة ذات الاضلاع المتعددة تشع النور متلألئا من كل ضلع من أضلاعها بلون يختلف عن الآخر ، فإذا جمعتها الى بعضها حصلت من مجموعها على شعاعة كاملة من نور الشمس .

هكذا كان القمص ابراهيم لوقا مجموعة من المزايا المتنوعة أو من نواحى العظمة المتفرقة اجتمعت فيه ، وقلما تجتمع فى شخص واحد ، لكى تكوّن من مجموعها صورة من صور الكمال .

كان عظيما فى نفسه .. عظيما فى قلبه .. ذلك القلب الكبير الذى جمع فيه المتناقضات .. العطف والرقة بجانب الصلابة والحزم ، والشجاعة والبطولة ، فى صراحة كاملة فى الحق .

قال لى أحد المتحدثين « ذهبت الى الكنيسة فرأيته على المنبر أسدا زائراً يلتهب ثورة وحماسا ، ثم ذهبت الى منزله فوجدته حملا وديعاً مدعاباً فرحاً عطوفاً » .

كان عظيما فى روحه .. بل أقول أنه كان مدعواً من بطن أمه للحياة الروحية ، فحتى فى طفولته لم يعرف الشجار ولا المعاكسة ولا شقاوة الأطفال ، بل كان هادئا وديعا مسالما محبوباً من الجميع صانع صلح بين المتخاصمين ، مثالا للتقوى والطهارة فى شبابه ، وهذه الفضيلة كانت الحافز له على الأهتمام بطهارة الشباب فوق كل موضوع آخر حتى كان يدعى أحيانا بواعظ الشباب ، وهو أمر بارز فى كتاباته ومؤلفاته ومواعظه ..

كانت عادتنا أن نلبس قماشاً واحداً ونحيك ملابسنا عند ترزى واحد ، واذ شرعت مرة اشترى قماشا جديداً حسب العادة قال لى .. اشتر القماش على قدر كسوتك وحدك لأن ضميرى غير مستريح الى النفقة والمجهود اللذين يصرفان فى الملابس ، وأنا عزمت من الآن أن اشترى الملابس الجاهزة البسيطة الرخيصة الثمن ، وقد نفذ هذا الكلام فعلا وهو شاب يافع فى سن العشرين سن الأناقة والتجمل ..

وكان عظيما فى عقله وعمله .. فى قلبه ولسانه ، وهنا يحار القلم ماذا يكتب ، لا لقلة مايجده للكتابة ولكن لكثرته وشهرته ، فإن سبعة وثلاثين عاما قضيت كلها فى التحرير والتأليف والوعظ لايمكن الاحاطة بها فى مقال مهما طال ..

ولكى نعرف شيئا عن الجهد الذى كان يبذله فى مؤلفاته ، أورد هنا ما حدث عند تأليفه كتاب « العفاف » فإنه أراد أن يعزز نصائحه للشباب بشهادة الطب فجال على بعض أصدقائه من الأطباء يأخذ من كل منهم بضعة أسطر يستشهد بها وكان من بينهم الدكتور حنا حنا وكان حديث التعارف به ، وقد علم أن موعد عودته من عيادته هو الساعة الواحدة بعد الظهر وكان صيفا ، فلما جلس إليه لاحظ أن الدكتور متململ من جلسته ، بل كان يغض على شفتيه أحيانا ، فقال له ألعلى ضايقتك بحضورى فى وقت غير مناسب يادكتور ، أجابه بل بالعكس ان حضورك عندى متعة أتلذذ بها ، ولكنى أفكر فى الفرق الشاسع ، فأنت تأتى إليّ فى هذا الطقس المرهق لكى تأخذ بضعة أسطر تضعها فى كتاب لصيانة الشباب ، وأنا قادم الان من عيادتى فى شارع كلوت بك ، وقد مررت على أقرانك الجالسين الى الموائد بلا حياء وأمامهم قنانى الزبيب وأطباق المزة .. إن دمى يغلى فى عروقى غليانا !

بقيت هناك ناحية لاتضاف الى نواحى العظمة ولكنها يصح أن تكون من نواحى الكمال ولا يعرفها عنه إلا من كانوا ملتصقين به أو ملازمين له فى مجالسه الخاصة ، تلك هى روح الفكاهة أو المزاح ، فهو رغم ماكان يثقل كاهله من الاعباء والمسئوليات والمضايقات ومايقضى على حياته من الأمراض كان خفيف الروح حلو النكتة ، حاذق

التقليد ، جذّاب الشخصية لاسيما فى تلك الأوقات التى كان يصفو له الجو فيها فيجنح الى الترويح والترفيه .

هذه المجموعة الكاملة من الفضائل والمواهب التى خصه بها الخالق لم يستخدم منها شيئا لنفسه بل جعلها كلها وقفا لخالقه ، فرد الوزنات الخمس الى مولاه رابحة مضاعفة بكل أمانة واخلاص حتى آخر يوم من حياته قبل ملازمته الفراش حين بارح منزله فى الثامنة صباحاً ولم يعد إلا فى المساء .. وفى كل هذا الوقت الطويل لم يعمل عملا يخص شخصه .. أليس هذا حقا أحق بلقب القديس ، وان لم يكن هذا قديساً فكيف تكون القداسة ؟ .. وكيف يكون القديسون ؟

آباء الاصلاح

القمص ابراهيم لوقا ...

أنبا كيرلس الرابع ...

للدكتور صادق انطونيوس بقطر

كان كل منهما متوسط القامة . ممتلىء الجسم قوى البنية صحيح الأعضاء حاد النظر والذهن ، كبير الرأس عريض الجبهة كثيف اللحية ، كثير الأمثال جذّاب فى حديثه . قلّما يلقى عبارة لايسندها إلى مثل ، غاية فى العفة والتقشف لايشرب الخمر ، شديد الكراهية لبهرجة النساء ، يحب لهن الثقافة والحرية مع الفضيلة والطهر ، حليما بعيداً عن الغضب ، شديد القسوة على الأكيروس إذا اخطأ .. كلفاً بمخالطة العلماء ومجالسة الفضلاء .

عاش كل منهما مايقرب من خمسين عاماً ، قضى ثلاثة أخماسها فى خدمة الكنيسة فى سلك الكهنوت .

فى الثانية والعشرين من أيام غربتهما بارك الأنبا صرابامون الأسقف القديس أحدهما ، وبارك صنوه الانبا مكاريوس شبيهه الآخر .

فى الخامسة والعشرين رغم حداثتهما اختير داود بن توماس بن باشوت (كيرلس الرابع) رئيسا لمجمع رهبان الانبا انطونيوس بالاجماع ، واختير ابراهيم بن لوقا بن مرقص رئيساً لمجتمع الاصلاح القبطى الذى يضم الخلاصة النقية التقية من اعيان الأمة وقادة الرأى فيها ، وتألق نور مواهبهما حيث بادر كل منهما إلى وضع نظام لرعايتهما ولرعيّتهما .. دستور خالد من جيل الى جيل .. أساسه إصلاح حال الامة والكنيسة روحيا وأدبيا ، ورفع الروح المعنوية فى جماعة المؤمنين ، واعتبار الترتيب والنظام جزءاً من الايمان والثقة بالنفس وبالعمل .

كانت الثقافة وسعة الاطلاع وقوة الحجة فى الحديث وفى الخطابة والوعظ وإجادة اللغات الحية فى عهدهما من أهم القرائن الواحدة فيهما ، الأمر الذى جعلهما موضع احترام وتقدير جميع الهيئات ومختلف الجماعات .

سافر كل منهما سفيراً لامته وكنيسته لاثيوبيا مرتين ، وتحمّل كل واحد منهما فى سفره المشقات والضيقات المختلفة ، ولكنهما رجعا متوجين بأكاليل المجد والفخار ، فقد عملا لتقوية أواصر المحبة الطاهرة بين الكنيسة الام وكنيسة اثيوبيا حتى لقد بنيت بأسبابهما العلاقات الخالدة على أساس من حسن التفاهم والمودة متغلبين على كل كيد .

أمّا رسالتهما لخدمة رجال الاكليروس فقد كانت واضحة فى ترتيب اجتماع الست للكهنة حيث كان الواحد منهما يعمل على زيادة معلومات الكهنوت فى علوم الدين والتفسير مع شرح واجباتهم وآداب الخدمة وحقوقها حتى ينال الراعى حظوة واحتراماً فى قلوب الرعية ، كما عملا على تنظيم رواتب للكهنة متناسبة مع شرف الخدمة وحقوق الرعاية ، على أساس تنظيم العضوية الثابتة فى الكنيسة .

وكما أدخل كيرلس الرابع نظام فرق الشماسة وملابسهم وبدرشيناتهم ، وانتقائهم من بين المشهود لهم بالتقوى والورع وحسن الصوت مع العناية باجادة الالحان فان القمص ابراهيم لوقا هو أول من أوحى بفكرة تخليد ألحان الكنيسة القبطية وتسجيلها على النوتة الموسيقية وإبعاد الدخيل عليها حتى أمكن إيقاعها على الآلات الموسيقية الحديثة .

وكما تشابهت كل أركان البناء فى بيت مجدهما فانهما تشابها أيضاً فى حمل صليب الالم بما حيكت حولهما من دسائس متنوعة . ففى سبيل وحدانية الكنيسة الكاملة الجامعة الرسولية تجرع الانبا كيرلس الرابع السم فى الدواء حتى سقط شعر رأسه ولحيته على وسادته وانحل جسيده ، وأصيب القمص ابراهيم لوقا بالذبحة الصدرية مرّة فعاش يقاوم السهم المصوب للقلب مناديا بسلام الكنيسة الجامعة وبعلامتها حتى أتاه السهم الاخير .

لقد كان كل منهما فى دفاعه عن كنيسته حاذقاً نبيها طلق اللسان عارفاً بالتاريخ مدققا فى علوم الدين المسيحى ، محافظاً على حدود المذهب ، ماقتا للرشوة ، غير مكترث بالمال .

وانتقل كل منهما الى أحضان القديسين فى مساء الثلاثاء من احد ليالى الشتاء .

والآن والقديسان الطاهران فى أحضان ابراهيم واسحق ويعقوب هل نطلب من الآب العلى أن يرسلهما ثانية بعد ماقرعا الجرس مرتين خلال حقبة قدرها مائة من السنين ، أم قد نبّه القوم الى قيمة رسالة الله فيهما ، وقد وضعا أساساً متينا للبناء نرجو بنعمة الله ان يزيد ويعلو .

اننا نطلب من الله أن يتعهد الغرس فينمو ويكمل صرح الاصلاح فى هذه الامة على أساس مابنى قديساها .

ان الابن البار هو الذى يكمل عمل ابيه .

وانتم ياشباب الجيل أبناء كيرلس الرابع — ابراهيم لوقا أبرّ الابناء لاطهر أبوين .. هيا للاصلاح ، والمسيح فيكم رجاء المجد .

أبى ...

للسيدة لوئيس ابراهيم لوقا

أبى ....

دعنى أردد هذه الكلمة ولو الى حين ، فإن لصدى نغماتها حنين فى قلبى .. دعنى أرددها ولو أنى أعلم ان علاقة البنوة الجسدية قد أنتهت .. ولكن علاقة الروح بالروح مازالت قائمة ، وما اسماها من علاقة ، بل شتان بين هذه وتلك ! ..

أبى ....

كلما أردت التحدث عنك أو إليك أجد أمامى مواضيع كثيرة أحار فى أيها أتكلم لذلك سأكتفى ببعض مقطفات من العام الأخير من حياتك على الأرض .

عفواً يأبتاه إذا قلبنا بعض صفحات مذاكراتك ..

دعنى أقف لحظة أمام صفحة يرجع تاريخها الى قبل أنتقالك بعام ، حين ذهبت الى الاسكندرية لتفاوض غبطة بطريرك الروم الارثوذكس لضم الكنيستين اليونانية والقبطيّة .. وحين عدت كتبت هذه الكلمات « وحين يتم هذا المسعى أقول الآن أطلق عبدك ياربِ بسلام » واستغرقت هذه المفاوضات والمباحثات عاماً كاملاً ذهبت فى نهايته مرة أخرى للاسكندرية وعدت الى مصر فرحا متهللا بنتيجة مسعاك إذ لم يتبق سوى خطوة صغيرة على اتمام هذا المسعى ، ولكن لم يمض يومان على ذلك حتى استلمت فراش المرض ، الذى شعرت فيه روحك الطاهرة بضيق الجسد فانطلقت منه تنشد جواً أسمى فى سماء أعلى .

أما ذلك العام فقد كان غريبا إذ كان مملوء بالتجارب والاختبارات المنوعة ، تجارب روحية من قوات الشر وأعوانه على الأرض ، وتجارب جسدية ما كانت لتنهى واحدة منها حتى تقبل الأخرى .. واذكرك وقد رددت أكثر من مرة هذه العبارة « أنا شاعر بحرب غير طبيعية ، ولكن لاتخافوا » هذا كان تعليلك للموقف عند كل تجربة ... ومرت الأيام ، وصح هذا التعليل ، فحقا لقد كانت حربا روحية كنت أنت المقصود بها وحدك ، نعم لقد كانت فترة اعداد للمجد ، صفيت فيها نفسك كما يصفى الذهب بالنار ، فطهرت من كل شائبة وأصبحت أهلا لنوال المواعيد المقدسة ، فهنيئا لك " بما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لم يخطر على قلب بشر "

نعم .. هنيئا لك يأبى ، وصبرا وعزاء لنا ..

أبى ...

لست أجد حرجا من ان اعترف لك اعترافا علانيا أمام الناس فأقول : ان أكثر لحظة فى حياتى شعرت فيها بوجود الله وبقوته الخارقة ، هى نفسها أحرج لحظة مرت بى ، لحظة انطلاقك من الجسد .. ذلك لأنى ماكنت أتصور أننا سنحتمل مثل هه الصدمة لشدة

تعلقنا بك ، لما كنت تحبونا به من محبة فائقة وعطف بالغ .. ان لسانى وقلمى ليعجزان عن وصف وجودك فى وسطنا بالنسبة لنا ، لذلك كان يصعب علينا أن نتصور وقع هذه التجربة على نفوسنا ، ولذلك شعرنا بتلك القوة الخارقة للطبيعة التى جعلتنا نتحملها والتى أشعرتنا فى تلك اللحظة العصيبة بيد رحيمة تمتد فتلمس جرح القلب الدامى فتضمّده وتمس أعماق النفس الثائرة فتهدئها

نعم هدأت .. ولكن بقى سؤال حائر .. هو سؤال العشم فى محبة الله ؟

لماذا أخذته ولم يتمّم رسالته بعد ؟

لماذا أخذته والكنيسة تجتاز ظروفا عصيبة ، وفى حاجة ماسة لمن يخدم بأمانة واخلاص ؟

جالت هذه الخواطر باذهاننا .. وبأذهان الكثيرين ..

عفوا رباه ! .. نحن لانعترض على حكمتك ، ولكننا نطمع فى محبتك لأنك قلت « مع التجربة أعطى المنفذ لكى تستطيعوا أن تحتملوا »

ولم يخيب الله الرجاء حين هرعنا الى الكتاب المقدس فوجدنا رسالة السماء « من وجه الشر يضم الصديق ! .. »

من وجه الشر ضممت يأبى ، وماأكثر وجوه الشر فى هذه الحياة .. هذا هو التحليل الذى وجدنا فيه عزاءنا فلم نحزن من أجل رحيلك ، لكننا حزننا على انفسنا إذ حرمنا من الكثير والكثير جدا .. لقد فقدنا مثلنا الأعلى فى الحياة .. فقدناك وإن كنت عالقا بأذهاننا ، ماثلا أمام عيوننا ، وستظل كذلك مادامت لنا حياة ، ومادام فينا عرق ينبض .

الايغومانس ابراهيم لوقا والصحافة

« كلمة الاستاذ لبيب المنقبادى فى حفلة تأبين جمعية التوفيق »

« انها الآن ساعة لنستيقظ ... »

كانت هذه الآية الكريمة من رسالة بولس الى أهل رومية — شعار فقيدنا القمص ابراهيم لوقا — فقد سعى الى يقظة أمته التى أحبها ، وأخلص اليها ، فوجد ان أقرب سبيل لتحقيق ذلك هو سبيل الصحافة .

ولهذا لم يحجم عن سلوك هذا السبيل ، على مافيه من مشاق ومتاعب وتضحيات .

كان فقيدنا صاحب رسالة ومن كان هذا شأنه استسهل كل صعب لاداء رسالته .

تقدّم راغباً فى خدمة الكنيسة فى سنّ مبكرة ، فبدأ فى سنة ١٩٢٣ بانشاء جمعية الاصلاح الادبى لمقاومة روح الاستهتار والانحلال الخلقى بين الشبان ، والدعوة الى نشر الفضيلة والاخلاق القويمة ، وكانت هذه الجمعية تصدر رسائل شهرية مجانية كان بعضها يحمل عناوين (الطهارة) و (الثبات على المبدأ) و (كلمة الله)

وأعدّ بعد ذلك دراسات للكتاب المقدس ، أصدرها فى رسائل شهرية .

كان شاباً فى الخامسة والعشرين من عمره ، حين وضع مؤلفاً قيماً بعنوان « بحث

فى حقيقة الايمان » أثار اعجاب جميع من اطلّعوا عليه ، حتى ان أحد المستشرقين قال عنه : ان هذا البحث يظهر عبقرية مؤلفه .

وضاقت آماله الواسعة ، واستعداده الفطرى لخدمة أمته عن ان تسعها مثل هذه النشرات أو المؤلفات ، فأقدم فى سبتمبر ١٩٢٤ ، على حمل لواء صاحبة الجلالة « الصحافة » وانشأ مجلة « اليقظة » .

وكان موفقاً فى اختيار هذا الاسم لمجلته ، فاعرب به عن ميول صحيفته وخطتها ، لانه قصد من انشائها ان يوقظ أمته وان ينهض بها .

وشقت « اليقظة » طريقها فى ميدان الصحافة ، على الرغم مما لقيه فى بادىء الأمر من صعوبات مادية ، وغير مادية ، بل نجح وتفوق فى هذا الميدان على كثير من الصحفيين لانه كان موهوباً .

وبزغت شمس اليقظة وأخذ ينشر بها تباعاً دراساته وبحوثه ومقالاته الخاصة عن اللاهوت والعقيدة ، وسياسة الكنيسة وتاريخها وقوانينها ، كما لم يغفل شئون الشباب ومشاكل الأمة الداخلية والاصلاح وغيرها من المسائل التى تمسّنا فى الصميم ، وكان يكتب الاصلاح بصراحة تامة متوخيّا فى ذلك الصالح العام .

وقد أصبحت « اليقظة » بفضل جهاده ومثابرته أعمق مجلة اجتماعية دينية أدبية ، بل أصبحت عنوانا أسمى للصحافة القبطية النبيلة .

ولقد كان قبل وفاته بأيام يعنى بدراسة وسائل النهوض بالصحافة القبطية مع نخبة من رجال الصحافة وذوى الرأى ، وكان يأمل أن يصل الى نتيجة عملية تكفل للاقباط صحافة قوية ، ولكن الوقت لم يمهله ، فغربت شمسه فى وقت نحن فى أشد الحاجة اليه .

وأن الصحافة المصرية قد فقدت فى الراحل العظيم صحفيا مجاهدا ، وكاتبا قديراً ، ومصلحا كبيراً ، وتشعر بفداحة المصاب ، بقدر ما تشعر الكنيسة من ألم لفقد راعيها المخلص الأمين .

انتصر البطـل .. !

نعم انتصر البطل ابراهيم !

لقد كان داعية من دعاة التطهير ، بل لعله رجل الكنيسة الوحيد الذى صوب سهامه الى كبد الفساد وصارعه فى وضح النهار صراعاً دامياً ..

فلطالما نادى بتطهير الكنيسة والبطريركية من عناصر الشر والانحلال .. فلما صدوا عن ندائه ترك منصبه فيها غير آسف نادم لأنه وجد نفسه يختنق فى جو مسموم كريه ، فكرامة الكنيسة ومجدها وأقداسها تدوسها أقدام حماتها الذين أقيموا حراساً عليها .

اذكر يوماً انه ذهب مع بعض الاصدقاء الى البطريركية لمصلحة ما وكنت بصحبتهم ، وطلب منه الاصدقاء أن يرتقى السلم للسلام ، فقال بقلب يمزقه الاسى ووجه تنطق قسماته به « ان قلبى لايطاوعنى أن أضع يدى فى يد الرجال الذين أذلوا الكنيسة » .

كان يتكلم بكل قوة وجرأة ، وكان يكتب بكل حماس وشجاعة ، ويعقد الاجتماعات بكل همة ، ويتصل بالكبار والمسئولين ، ويصلى بكل حرقة طلباً للاصلاح والتجديد واليقظة والتطهير .

وسقط وهو يناضل فى الميدان شأن كل بطل صنديد ، وبكيناه كما لم نبك أحداً ، فقد كان أملا ومعقلا .. وكان مثلا نبيلا للخلاص والوفاء للرسالة .. وبكينا اكثر حينما تلفتنا يمنة ويسرة فوجدنا الفساد الذى حاربه مازال قائماً والطغاة مهيمنين ، فقد عز علينا أن نرى البار يمضى والاشرار يتسلطون ...

ولكن الله لم يخيب كفاحه ، كما لم يخيب رجاءنا ، فها نحن اليوم ، وبعد عامين من انطلاقة ، نرى آماله وقد تحققت أو كادت ، وجهاده وقد تكلّل ، ودعوته وقد انتصرت ، والتطهير يأخذ مجراه ..

شكراً لله الذى لايسمح ابداً أن يذهب جهاد الأبرار سدى ، لكنه يباركه ويسنده ويعطيه الثمر فى أوانه .

يامحبى الاب ابراهيم اذكروه اليوم بكل فخر واكبار ، وجدّدوا العهد بأن تحملوا المشعل ، وتتمموا الرسالة التى كرس حياته كى يؤديها .

اديس ابابا **أنطون يعقوب**

ابى الذى احببته ...

للسيدة مارى ابراهيم لوقا

كنت أحبه بكل ماتحوى كلمة محبة من معنى .. كان نوراً اهتدى به فى ظلمات هذه الحياة ... فكثيراً ماكنت ألجأ اليه فى المشاكل التى تعترضنى فيشرحها لى بطريقة عجيبة وابتسامة لطيفة حتى تبدو أمامى فى غاية من البساطة .

كنت أحبه عندما كنا نجتمع فى الصلاة العائلية واسمعه يصلى . كنت ألمس من نبرات صوته الغيرة المتأججة فى صدره من نحو كنيسته وشعبه .. كان يسكب روحه حقاً أمام الله ! وكانت صلاته تبعث الرهبة فى نفسى فتسمو بمشاعرى الى فوق .

كنت أحب ان اسمعه يخدم خدمة القداس .. وكنت ألتذ أن اراه واقفاً أمام مذبح الله فى خشوع ووقار ، فى انكسار وتذلل ، فى دموع وانسكاب ، وعندما كان يتلو الاعتراف ويردد هذه الكلمات « أؤمن .. أؤمن .. أؤمن » كان صوته يختلج اختلاجاً رهيباً فتسرى الرعدة فى جسمى وأشعر أنى فى حضرة الله .

أحببته إذ كان أب اعترافى .. كثيراً مالجأت اليه فى حجرة الاعتراف فى غير خوف أو وجل . اعترف بذنبى وأقر بخطيتى ، التمس عوناً ونصحاً وارشاداً ، فكان يعطينى الدواء الناجح ويعلمنى طريق النصرة فى رفق ولين وفى عطف وحنان . وهكذا رأيت فيه خير معين لي فى الحياة الطاهرة النقية المنتصرة .

كنت أحبه لاني كنت أرى فيه براءة الطفولة وحقاً لقد كان فيه كثير من المتناقضات فى غير تناقض ، فمع ماكان عليه من عقل جبار ، وأفق بعيد المدى ، كان لايعرف معنى للخداع والرياء .. وكثيراً ما كنا نحذره من بعض الذين يتظاهرون له بالودّ وهم يدبرون له المكائد فى الخفاء فكان يضحك ويطمئننا انهم مادامو يدخلون منزله فهم احباؤه واصدقاؤه .

كنت أحبه فى صداقته للشباب وكم كان يبعث السرور فى نفسى أن أرى بجانبه احد اللذين يعلق قلبه بهم ولن انسى هذه الواقعة ، فقد حدث عندما كان فى مصيفه بجبل عتاقة أن دخل عليّ يوماً متهللاً مسروراً ، فلما نظرت اليه مستفسرة سبب سروره ، اذا بشاب يدخل وراءه وقد تعرف به منذ ساعة تقريباً ، وبعد أن دخلا اجلسه بجانبه واخذ يربت على كتفه ويضمه الى صدره ويقبله فقد سره ان يلمس فى هذا الشاب روح التدين المسيحى ، وعندما ماهم الشاب بالانصراف وكانت الساعة قد قاربت العاشرة مساء صمم ابى ان يوصله حتى محطة الاتوبيس وكان لايزال يشعر بتعب أثر مرض ألزمه الفراش بضعة أيام فذهبت معهما ، وفى طريق عودتنا الى المنزل لاحظت انه خائر ، منهوك القوى ، ولكنه لم يبال بالمرض والتعب قائلاً مع بولس الرسول « فانى الآن اسكب سكيباً ووقت انحلالى قد حضر » .

كنت أحبه كاب ؟؟ حقاً ياأبى ! لقد كنت حلواً لي جداً . وقد تمتعت بك بأكثر ماتستطيع ابنة أن تتمتع بأبيها .. كنت احب ان أطيل النظر الى وجهك ولست ادرى ما السبب فى ذلك ؟ أهو الشعور الداخلى بأنى سأحرم منك بعد قليل ، أم هو لاعجابى الشديد بشخصك ؟ لن أنسى المرات التى كنت تأخذنا فيها الى مواضع خلاء وكنا نتذوق حلاوة احاديثك ولذيذ مسامراتك وكنت تقول انك تستمد الوحى منا ! فلم تكن صلتنا بك صلة الجسد ولكن كانت هناك صلة الروح وهى أعمق وأقوى .

وأخيراً كنت أحبه ككاهن .. وعندما كانت اقابله كنت انحنى وأقبل يده لانى كنت اشعر انى استمد منه بركة روحية . ولن انسى يوم انتقل طفلى الأول الى السماء . ولم يشأ ابى ان اترك الغرفة التى انتقل فيها طفلى حتى لايكون صعباً عليّ دخولها فيما بعد . وقبل ان ادخلها صلى فيها ابى صلاة قوية ثم مسحنى بالزيت واخذنى على ذراعه فى تلك الليلة ولا تعجب ايها القارىء اذا علمت انى نمت نوماً هادئاً الى الصباح فقد صلى هو من اجلى حتى يمنحنى الله هذا السلام العجيب .

والآن ياأبى .. وان كنا قد احببناك فى جسد مقيد فكم بالحرى نحبك وأنت روح طليقة فى السماء تشفع فينا عند يسوع . وان كنا لانراك بالجسد ولكننا نشعر بك إنك معنا فى كل ظروف الحياة ، سوف نلقاك فى المجد بجوار الحبيب ، هناك يمسح الله كل دمعة من عيوننا . هناك حيث لافراق ولا موت ولا بكاء بل مجد وفرح ولقاء .

مارى ابراهيم لوقا

قاعة ابراهيم لوقا التذكارية



تفضل غبطة البابا المعظم

الأنبا كيرلس السادس

بإقامة صلاة البركة والتكريس

للقاعة التذكارية والمشروع [illegible]

يوم الجمعة ٢٨ بشنس ١٦٨٠ الموافق ٥ يونيو ١٩٦٤

ابراهيم لوقا... الأب ...

أكرمني الله بأب .. أسعدني في طفولتي .. وأرشدني في شبابي .. وأنار المحبة طريقي ..

أكرمني الله بأب .. اجتمعت فيه صفات ــ لا أقول متناقضة بل متكاملة ــ تجمع بين الخوف والرهبة من غضبه .. والارتياح الى مشاعر العطف والحنان .. الى الحد الذي كنت أستطيع أن أفضي إليه بكل ما يداخلني .. يصحبني في غير إدانة .. بل بروح المشجع يفرح في التعاليم بمحبة وتفاهم قل أن يوجد بين جيلين ..

أكرمني الله بأب يتعامل بحكمة وقوة مع أكبر الشخصيات ، ويخاطب الأطفال في لطف وبساطة ، ويشاركهم ألعابهم كما لو كان واحداً منهم ..

استطاع أبي ــ رغم مسئولياته الضخمة المتعددة التي لم يتهاون في تحقيقها مهما كلفه من مجهود جسدي أو نفسي ــ أن يلم بكل صغيرة وكبيرة من أمور أسرتنا بكل دقة ورعاية .. ورغم أن الشعور السائد في وقته كان تمييز الأولاد عن البنات ــ ولم يكن له ولد ــ إلا أنه كان يشعرنا نحن بناته الثلاث بأنه فخور وسعيد بنا ، مما جعلنا نسعى دائما لكي نكون جديرات بهذا الشعور ..

وكان من دقة نظامه أن خصص لكل واحدة منا ألبوما يضم كل الصور التي ظهرت بها ، وملفا يحوي كل ما يخصها من أوراق وشهادات مدرسية وبطاقات صحية منذ ولادتها .. ولا زالت كل واحدة منا تحتفظ بها ..

كان يهتم ان يكون مظهر الكاهن مشرفا محترما في غير تأنق أو كلفة .. فكان أول من لبس العمامة بلون الطربوش الداكن ، كما واظب على لبس الياقة والاستور الناصعة البياض مع زيه الأسود فكان مهيباً وقوراً ..

غرس فينا منذ صغرنا من حسن الخصال العطف على المحتاجين ومساعدة المساكين .. علمنا يوما ألا نساوم مع الباعة المتجولين ، الذين يجولون الشوارع في أيام الصيف اللافحة وأصقع أيام الشتاء القارسة .. وسمى هذه المعاملات بالحسنة المستورة ..

كما غرس فينا روح التسامح ، فكم سامح وكم نسي اساءة الغير بل يلاطفها أحيانا بالاحسان .. ولا أنسى يوم ركبت معه الترام وإذا بشاب يعبر من الشارع ويبصق في وجهه ثم يفر هاربا .. ولما رأى عيناي دامعتين ابتسم وقال لي « لماذا تتأثرين ؟ ألم يبصقوا على وجه رب المجد نفسه !.. فمن أنا حتى أقارن به ؟.. وأخرج منديله وجفف وجهه !.. » والحلم ذكرياتي بذكر هذه الحادثة .. كنت جالسة بجوار فراشه في مرضه الأخير ، وكان صوته قد ضعف وأصبح لا يكاد يسمع .. وإذا به أخذ يرتل ..

لما سفر الحق يفتح .. أسمع اسمي من هناك ينده

وأخذ صوته يعلو ويعلو مع كل مقطع من هذه الترنيمة ، حتى أنني ظننت أن الذين في خارج الحجرة قد سمعوه ..

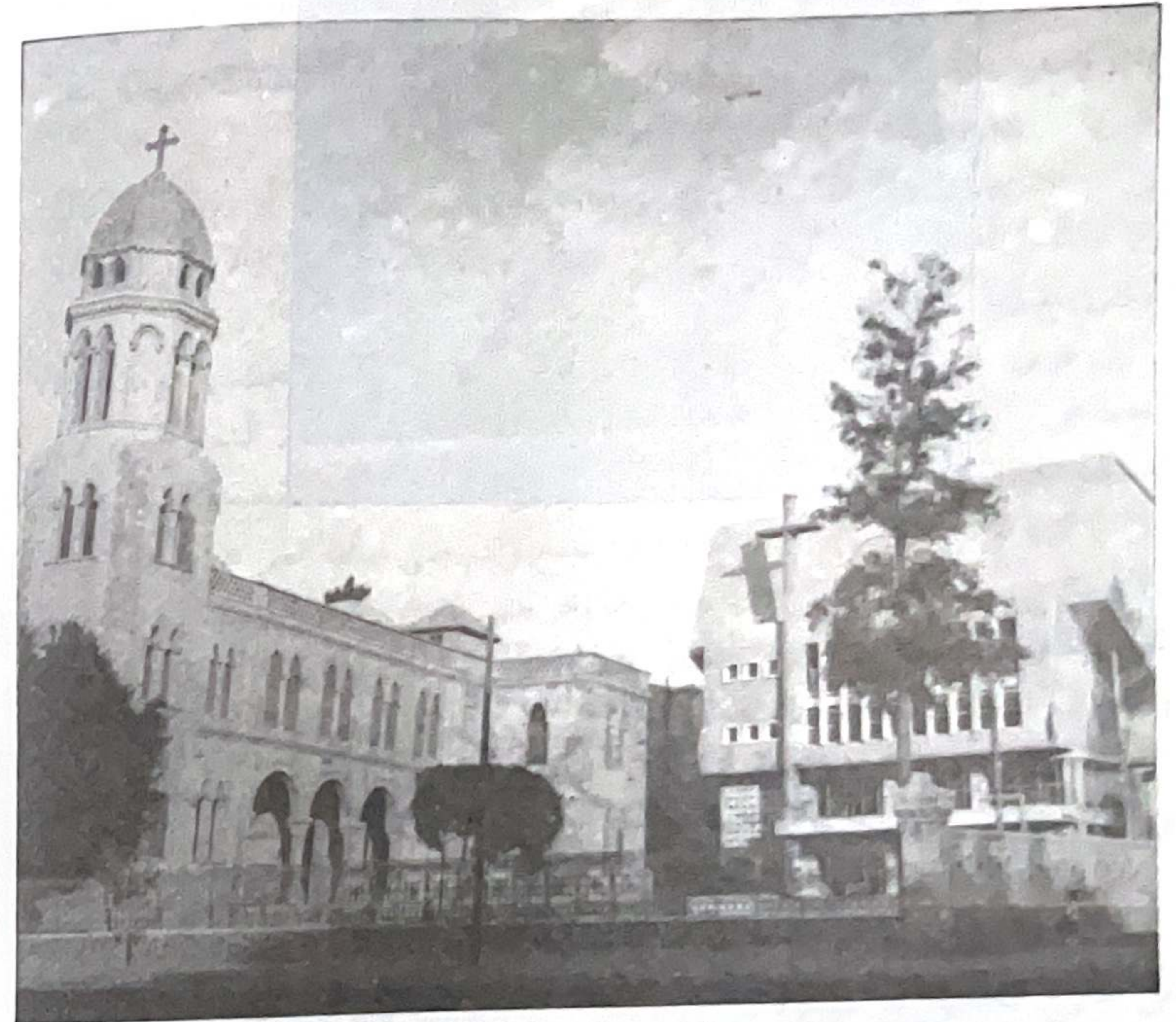
وكان هذا أكبر عزاء لي يوم انتقاله الى المجد ..

قاعة ابراهيم لوقا التذكارية

فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٠ شاءت ارادة الرب الصالحة المرضية الكاملة أن ينقل إليه خادمه الأمين الايغومانس ابارهيم لوقا وهو لم يكتمل بعد العام الرابع والخمسين من عمره ، وقبل أن يتمكن من اتمام البرنامج الانشائى الذى أعده لكنيسة مار مرقس بمصر الجديدة .

وتخليداً لذكراه العطرة ولصفحة المجد والفخار التى رسمتها حياته العطرة الذكية الطاهرة فى تاريخ الكنيسة القبطية الارثوذكسية قرر مجلس كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة فى أول اجتماع له بعد نياحته أن يستعين ببركته وبذكرى مجهوداته الاصلاحية والانشائية وأن يقوم مكانه فى تنفيذها على أن يطلق اسم الراحل العزيز على القاعة التى تقام بجوار الكنيسة .

وتفضل قداسة البابا يوساب الثانى فأرسى بيده الكريمة حجر الأساس لهذه القاعة فى الذكرى السنوية الأولى لانتقال ابينا ابراهيم ، وكان ذلك يوم الجمعة ٢١ ديسمبر ١٩٥١ .



منظر عام لكنيسة مارمرقس
وقاعة ابراهيم لوقا التذكارية

وبتاريخ ٥ يونيو ١٩٦٤ تفضل قداسة البابا كيرلس السادس بافتتاح « قاعة ابراهيم لوقا التذكارية » فى حفل مهيب اجتمع فيه عدد كبير من الاقباط .

وقد اصطحب قداسة البابا معه صاحبى النيافة الانبا مكسيموس مطران كرسى القليوبية والانبا اسطفانوس مطران كرسى عطبره وكان فى استقباله أعضاء مجلس كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة وفى مقدمتهم القمص مرقس افرآم والقمص انطونيوس أمين ، وتفضل قداسة البابا بقص الشريط ثم ازاح الستار عن اللوحة التذكارية للقاعة ..

ثم دخل قداسة البابا مذبح مار مينا الجديد بالقاعة لرفع بخور عشية وتبعه صاحبا النيافة والاباء الكهنه والشمامسه وكبار الضيوف .. ووقف جميع من بالقاعة فى خشوع واجلال يرفعون لله ذبائح على ذباح الحمد والتمجيد وروح الايغومانس ابراهيم لوقا ترف على المكان فرحة باتمام هذا البنيان الذى هو استكمال لرسالة الكنيسة .. ثم دخل قداسة البابا صالة القاعة الرئيسية يعطى البخور للشعب ويمنحه البركة .



مدخل قاعة ابراهيم لوقا التذكارية

وبعد انتهاء صلاة عشية رش قداسة البابا المياة المقدسة فى ارجاء القاعة .. وبدأت قاعة ابراهيم لوقا التذكارية رسالتها لتكون مركز اشعاع روحى ومصدر نعمة وبركة لشعب مصر الجديدة .. ومثلا يحتذى به فى سائر الكنائس .

ثم ألقى القمص انطونيوس أمين كلمة الافتتاح حيث رحب بتشريف قداسة البابا للحفل ثم تحدث عن هذا المشروع الكبير مظهراً أن هذه القاعة هى امتداد لأنظمة الآباء الأول ..

ثم ألقى الأرشيدياكون عياد عياد كلمة مجلس الكنيسة مرحبا بقداسة البابا والضيوف الكرام ، وتحدث عن هذا المشروع العظيم وعن صاحب الفكرة فى انشائه الايغومانس ابراهيم لوقا ذاكراً خدماته الجليلة للكنيسة وجهاده المنقطع النظير لربح النفوس .

وأعلن القس انطونيوس أمين عن تقديم أيقونة ذهبية تذكارية لقداسة البابا تخليداً لذكرى ذلك اليوم المجيد ، واعترافا بفضله فى تعضيد هذا المشروع ، وتوجيه القائمين عليه ، واقرارا بما تم من خطوات واسعة ومشروعات حية نابضة لتحقيق النهضة الروحية والاصلاحية فى كرازة القديس مرقس فى عهد قداسته .. وتحمل الميدالية صورة القديس مرقس مؤسس الكرازة على أحد وجهيها ، وذكرى الاحتفال السعيد بافتتاح القاعة على الوجه الآخر ، وقد قدمها لقداسته الاب الورع القمص مرقس افرام راعى الكنيسة عن الاكليروس واللواء سلامه يوسف عن مجلس الكنيسة والاستاذ بادير بك يوسف من الاراخنة عن شعب الكنيسة .

واعترافا بالجهود المباركة والخدمات الجليلة التى قام بها المهندسون فى سبيل اخراج هذا المشروع على هذا المستوى الرائع استأذن ابونا انطونيوس قداسة البابا ليقدم بيده الكريمة الميداليات التقديريه للسادة المهندسين الذين ساهموا فى بناء القاعة قائلاً .. المهندس عدلى أيوب رئيس مجلس ادارة شركة سبيكو التى قامت بمقاولة الأعمال الاعتيادية فأتمته فى وقت قليل ، ولتبرعه السخى للمشروع ، والمهندسان المعماريان عزت فايق وفؤاد نظمى كامل اللذان قاما بالتصميمات المعمارية دون مقابل ، والسيد الاستاذ الدكتور مشيل باخوم الذى تبرع بتقديم التصميمات الانشائية بما هو مشهود له من كفاءة نادرة دون مقابل أيضا ، والمهندس عدلى قلدس المدير العام بوزارة الاسكان وهو المستشار الهندسى للمشروع ، والفنان رداميس ناشد الذى أعد ديكور المبنى والاثاثات ، والفنان فؤاد وليم الذى أعد اللوحة الزخرفية الفريدة المقامه بالصالة الرئيسية ، والمهندس فايز رياض عضو مجلس الكنيسة المنتدب وهو الذى قام بالعبء الأكبر وأشرف على تنفيذ المشروع .

ثم ألقى القمص صليب سوريال كلمة شكر نيابة عن قداسة البابا ، أشاد فيها بهذا المشروع ومافية من خدمة لشعب الكنيسة عامة ولشبابها خاصة ، وأعرب عن أمله فى أن يلحق بكل كنيسة مثل هذا المشروع .

وهكذا يدوم ذكر الصديق الى الأبد

فى هذا الكتاب ...

صفحة

الموضوع

كتاب جهاد كاهن ....

- ☐ مدرسة حافلة بالعلم لكل من يريد أن يتعلم ...
- ☐ دائرة معارف تشع أنوارا لكل من يرغب أن يخدم ..
- ☐ باقة زهور تفيح شذاها عبر الأجيال والأيام ..
- ☐ كتاب تعليمى يحمل ثمرة تجارب منتصرة ..
- ☐ تاريخ أمين لحقبة هامة من جهاد الاصلاح فى تاريخ الكنيسة الحديث ..
- ☐ دراسة عميقة فى « مكتبة الايغومانس ابراهيم لوقا » ومذكراته ..

الايغومانس ابراهيم لوقا

- ☐ كاهن خدم جيله بمشورة الله الصالحة ..
- ☐ كاهن أكرم الله فأكرمه ..
- ☐ كاهن جاهد فى نزاهة وطهر ..
- ☐ كاهن كرّس حياته للجهاد والنضال والاصلاح ..
- ☐ كاهن ضرب مثلاً يحتذى فى الجهاد المثمر ..
- ☐ كاهن رسم صورة رائعة للكاهن المثالى ..

وهذا الكتاب

- ☐ نقدّمه وفاء لحق الكنيسة علينا ..
- ☐ ووفاء لجهاد كاهن بذل حياته فى سبيل الخدمة ..
- ☐ ولكى تنجح رسالة كل كاهن أمين ..
- ☐ ومن أجل أن تثمر رسالة الكنيسة فى هذا العالم المضطرب .

الثمن جنيهان

لتكون كلمة الله بانية